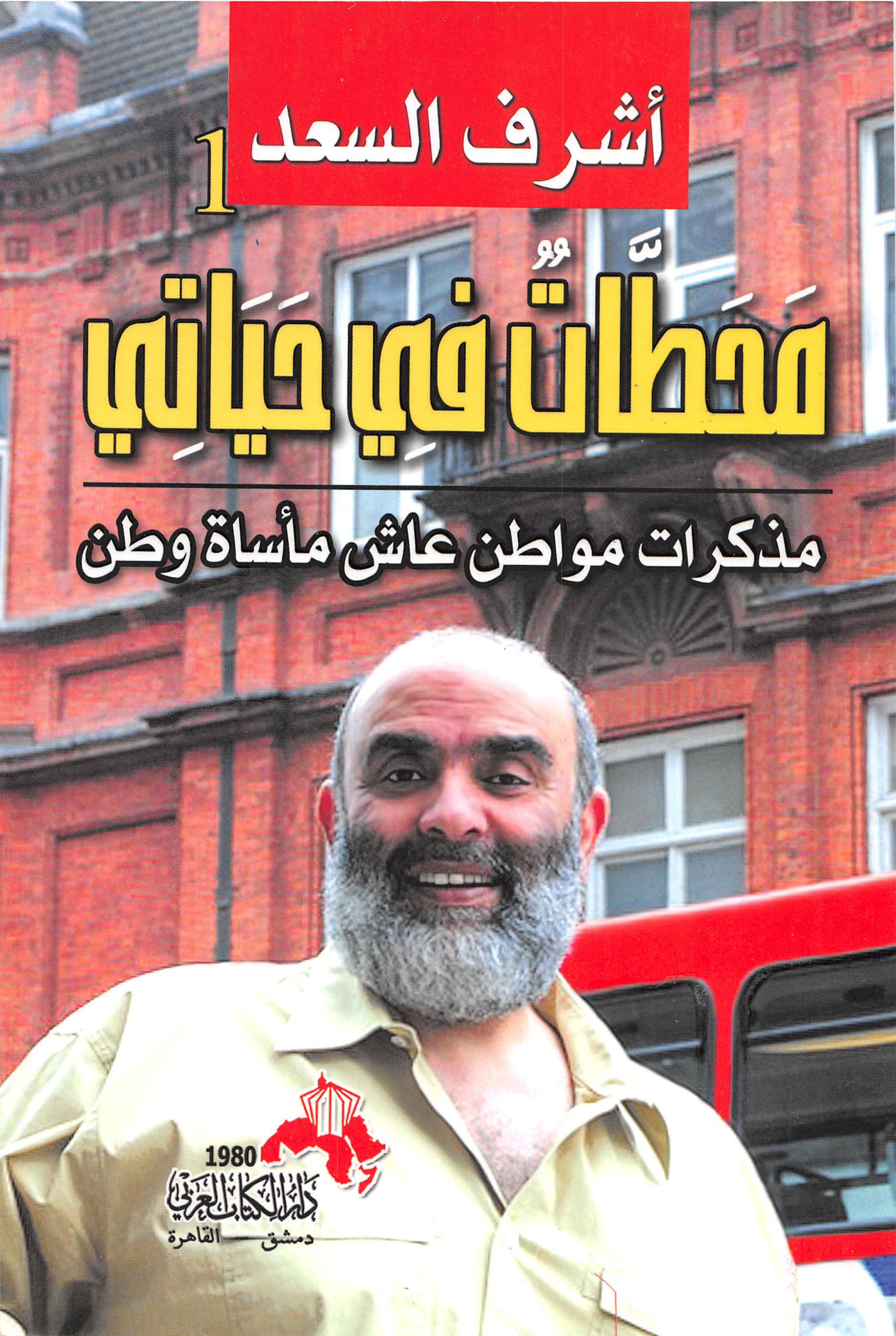

أشرف السعد
1
مَحَطَّاتٌ فِي حَيَاتِي
مذكرات مواطن عاش مأساة وطن
1980
دار الكتاب العربي
دمشق ــــ القاهرة



مذكرات مواطن عاش مأساة وطن

عندما فكرت في كتابة مذكراتي ، كان عليّ أولًا أن أحسم السؤال الهام ، الذي يتوقف على إجابته أن أمضي قُدمًا في كتابتها ، أم أتوقف وأتجاوز الأمر.. كان السؤال : هل سأبوح بكل شيء ، أم سأحتفظ لنفسي ببعض الأسرار ؟ .. السؤال لم يكن بالسهل ، وربما يدرك صعوبته كل من سبقني بكتابة مذكراته ، أو فكر في كتابتها ثم آثر السلامة ، وطرح الفكرة جانبًا .فكرت كثيرًا ، وفي النهاية حسمت أمري ، وقررت أن أمسك بالقلم ، وأتركه حرًّا طليقًا ، أروي من خلاله ما مر في حياتي بكل صدق ، وأبوح بكل ما لديَّ من أسرار بكل صراحة ، وبكل أمانة ، ودون زيادة أو نقصان . وفي هذه المذكرات سأروي قصة حياتي من خلال المحطات التي مررت بها ، بحلوها ومرها ، أيام السعادة ، وأيام الشقاء ، وكيف بدأت حياتي شيالا بـ " سوق اللحمة " ، ونقت الأمَرَّين كي أكون ، قبل أن ألقى المصير الذي ينتظر كل من يحاول أن يتجاوز خطوط النجاح المرسومة من قبل النظام ، والتي لا يجب أن يتخطاها أحد ، فيكون مصيره مؤامرات لا قبل لأحد بها ، ويتم فيها تجنيد كل أفراد النظام ، واستخدام كل أسلحته ، للفتك بالخارجين عن الخط أمثالي. في هذه المذكرات عزيزي القارئ ستكتشف معي أن القضايا ليست كما يتم تقديمها إلى الشعب ، وأن ما يطرح من حقائق قد يكون أكاذيب من نسج زبانية النظام ، وفق خطة ممنهجة لتصفية كل من لا يروق لأهل السلطة ، كما حدث معي. في هذه المذكرات سأروي - بالأسماء - ما حدث بيني وبين شخصيات نافذة نعرفها جميعًا ، ومسؤولين كبار حكمونا طويلًا . وفي هذه المذكرات أيضًا ستعرف عزيزي القارئ كيف كانت تدار دولتنا ، وكيف كانت تسير عكس الاتجاه ، وعكس مصلحة البلد ، من خلال كم الأسرار الهائلة التي أكشف عنها ، وكلي أمل أن تفسر الكثير من الأحداث ، وتميط اللثام عن الكثير من القضايا من الأمور ، وأيضًا تقدم ما يرفض كثيرونَ ممن تعرضوا لمؤامرات وافتراءاتَ تقديمه ، إيثارًا للسلامة.



I.S.B.N. 978-977-376-857-2





مَحَطَّاتٌ فِي حَيَاتِي

مذكرات مواطن عاش مأساة الوطن

اسم الكتاب: محطات في حياتي
مذكرات: أشرف السعد
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبدالرءوف سعد
تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار الكتاب العربي
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 14615 / 2014
الترقيم الدولي: 2-857-376-977-978

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: 2256870
دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: 2236728
مكتبة النوري - أمام البريد - ت: 2210314
مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: 2228222
مكتبة الفتال - فرع أول - ت: 2456786
- فرع ثاني - ت: 2222373



الطبعة الأولى
2015

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي تلفاكس: 2235401 ص.ب 34825
مصر - القاهرة - 52 شارع عبدالخالق ثروت - شقة 11 تليفون: 23916122 - فاكس: 23933671
لبنان - تليفون: 434186 / 05- 652241 / 03 - ص.ب 3043 الشويفات
darelkitab@yahoo.com - daralwalid@yahoo.com - info@darketab.com
www.darketab.com http://www.facebook.com/groups/darketab
http://twitter.com/darelkitab http://www.youtube.com/darelkitab

مَحَطَّاتٌ فِي حَيَاتِي

مذكرات

أشرف السعد



تطلب منشوراتنا من دور النشر والمكتبات التالية

البلد	أسماء المكتبات
مصر	دار الكتاب العربي: ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت (القاهرة) - مكتبات الشروق - مكتبات ديوان شركة الشرق للمكتبات - مكتبات مؤسسة الأهرام - مكتبات أخبار اليوم - مكتبة منشأة المعارف (الإسكندرية)
ليبيا	طرابلس: المكتبة العلمية - المكتبة العربية - مكتبة السلام - دار الوليد - دار المعرفة - مكتبة ١٧ فبراير (بنغازي) - دار الجيل (بنغازي) - مكتبة الشعب (مصراته)- دار الكلمة (الزاوية)
تونس	إداريات ومعارف سوسة - شركة كتبكم تونس - المركز التونسي للكتاب - دار المعرفة - مكتبة تونس - دار الجيل - دار الاسهامات CLE
الجزائر	دار العزة والكرامة (وهران)، ودار الأنيس (الجزائر العاصمة) وسائر فروعها ومكتباتها بالجزائر
المغرب	الدار العالمية - دار الإنماء الثقافي - دار الثقافة - دار الأمان - مكتبة الألفية الثالثة - وراقة المبادرة - دار إحياء العلوم الزاهرة - الناشر الأطلسي - وراقة الجنوب - مكتبة فرنسا - مكتبة باريس
السعودية	مكتبات جرير - مكتبات العبيكان - مكتبات تهامة - مكتبات الرشد - دار الوراق - مكتبات الشواف - مكتبة المتنبي (الدمام) - كنوز المعرفة (جدة) - روائع المعرفة (جدة) - المكتبة التراثية
الإمارات	مكتبة الجامعة (أبو ظبي) - مكتبة زين المعارف (دبي) - مكتبات دبي للتوزيع - المكتبة التجارية (العين) - مكتبات جرير
الكويت	مكتبات ذات السلاسل - دار الفكر الحديث - مكتبة العجيرى - مكتبة الرسالة - الشركة المتحدة لتوزيع الصحف - مكتبات جرير
سلطنة عمان	مسقط: مكتبات جرير - أحمد ناصيف، 0096892339307
البحرين	المكتبة الوطنية (المنامة) - مكتبات جرير
العراق	دار المدى للعلوم والثقافة (أربيل) - دار التفسير (أربيل) - مكتبة هورمان (أربيل) - مكتبة برايتي (أربيل) - المكتبة القانونية - مكتبة النهضة (بغداد) - مكتبة السنجرى (الموصل) - دار الزمان (دهوك)
الأردن	المكتبة الأهلية - مكتبة دنديس - دار أسامة - مكتبة الفرسان - كشك الثقافة العربية حسن أبو علي - جملون
فلسطين	مكتبة دنديس (الخليل) - مكتبة القدس (القدس الشريف) - دار العماد للنشر (الخليل) - دار الجندي (القدس)
السودان	مكتبات القاضي (الخرطوم - أم درمان) - وادي النيل للتنمية البشرية (الخرطوم)
لبنان	شركة الشرق الأوسط - النيل والفرات كوم

المقدمة

قررت أن أكتب بعض المحطات التي غيرت حياتي وبكل شفافية ودون تزويق ولا تنميق، لعلني أترك بصمة من الممكن أن يستفيد منها الشباب ولو بتجنب الأخطاء التي وقعتُ فيها، عندما دارت الأيام معي منذ أن تركت مصر بعد تخرجي في الجامعة وذهبت إلى باريس عام 77 مثلي مثل معظم شباب مصر، الذين اكتشفوا أنهم أضاعوا من حياتهم ربع قرن للحصول على شهادة لا تساوي في سوق العمل ثمن الحبر الذي كُتبت به، ولم يكن بد من التعامل مع الواقع، فالتفكير في الماضي نقصان عقل.

ولكن هناك شعور عند حاملي الشهادات قد يخفف عنهم أحيانًا حجم الكارثة التي اكتشفوها بعد تخرجهم، وهو أنه من الممكن أن يزهوا بأنفسهم ولو بالكذب.

ويعلم الله أن كل جملة أكتبها ما قصدت بها إلا كشف المستور عن أشياء يتعمد الناس تغطيتها بأنفسهم، ولا يوجد حرف إلا ويحمل معاني كثيرة، وحكمًا ومواعظ لمن يريد أن يفهم كيف كانت تدار مصر، ومَنْ العدو الحقيقي لهذا الشعب وكيف لنا أن نتغلب عليه.

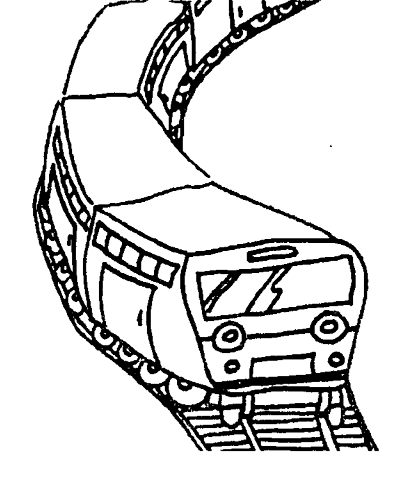
فقصة شركة السعد وشركة الريان هي مصر صغيرة، ويجب أن يعلمها الشعب على حقيقتها.

وعندما أنتهي من سرد هذه المحطات سيدرك القارئ أن آفة مصر وسبب الكوارث التي حلت بها هي الاستعانة بمن يسمونهم التكنوقراط، أو النخبة المتعلِّمة، أو بمعنى أكثر دقة أساتذة الجامعات، لأن الجامعات والتدريس شيء والتطبيق العملي شيء آخر.

أنا لست ملاكًا ولا نبيًا معصومًا، ولكنني بشر لي أخطاء كثيرة، وكل ما ستقرؤونه في هذه المحطات حدث بالحرف الواحد، والشيء الوحيد الذي أفتخر به أنني حافظت بكل قوتي وحاربت من أجل الحفاظ على أموال المودعين الذين ائتمنوني على مدخراتهم.

والغريب أن الدولة كانت بعيدة كل البعد عمّا يحدث، وهي أكبر جريمة ارتكبتها الدولة من وجهة نظري، أنها لم تُحْكم رقابتها علينا، فتدفقت الأموال علينا من كل حدب وصوب.

تعالوا معي في هذه الرحلة: رحلة الصعود إلى قمة المجد والمال والهبوط بسرعة الصاروخ إلى أسفل سافلين، دون ترتيب زمني للأحداث، ما أتذكره سأكتبه.. أهلًا بكم في دهاليز مصر الاقتصادية وعالم البزنيس.



محطة (1)

ذهبت إلى باريس وفوجئت أن حتى هذا الزهو الكاذب لا قيمة له فوجدت أن هذه الشهادة لا مكان لها إلا الذاكرة فقط، وبالفعل مر عليَّ 35 سنة لم أتذكرها إلا مرات تعد على الأصابع. المهم ذهبت وأنا كلي أمل وحلم أن أعود ومعي بضعة آلاف لا تتعدى أصابع اليد الواحدة، ولكنه كان حلمًا صعب المنال بل مستحيلًا، خاصة أنني كنت صاحب جسم نحيف للغاية والأعمال المتاحة في باريس في هذا الوقت تتطلب أجسامًا قوية.

فأذكر مثلا أنني حصلت في يوم على عمل شيال في سوق اللحمة وكان معي ابن خالتي «الله يرحمه مات من مدة»، وكان مفتول العضلات، ووقع الاختيار عليه وأنا معه لكي نقوم بتفريغ نحو مائة طن من اللحوم من سيارة ثلاجة، وكنا في يناير ودرجة الحرارة 20 تحت الصفر، وكان وزن كل عبوة داخل السيارة مائة كيلو، وعلم ابن خالتي أنه تورط وأنه لا محالة سيقوم بهذه المهمة وحده، وبدأ يخرج من فمه كلمات غير مفهومة، ولكنني تأكدت أن معناها الله يخرب بيت أم اليوم اللي جبتك فيه باريس لأن هو اللي أقنعني أن أسافر.

المهم هو عرف أن وجودي معاه في هذه المهمة زيِّ عدمه فقال لي: اسمع أنا مش عايز من (................ شتيمة طبعًا) بس إنت تقف تحت وأنا هاطلع أجيب الكرتونة (وطبعًا وزنها مائة كيلو) وأحطها على باب الكاميون وانت بس تسندها وأنا هانزل آخدها وأرصها.

فقلت له: حاضر يا محمد فقال لي: أنا عارف (دين .... شتيمة

طبعًا) اليوم ده مش هيعدي على خير، فقلت له: لالالالا ماتخافش هاعرف أسند الكرتونة، وفعلا جاب أول كرتونة وحطها على الباب.

وقال: اسندها ونط هو من الكاميون لقاني أنا والكرتونة مرميين على الأرض واللحمة منتشرة في كل حتة، وطبعًا شكرني بس بطريقته. وطبعًا الشتيمة اللي شتمها لخالته -اللي هي أمي- لم تُشتمها حتى ماتت رحمة الله عليها .

بعد أن رأى محمد ابن خالتي ما فعلته في صندوق اللحمة، وبدأ يتلفت حوله خشية أن يأتي المفتش بتاع الشيالين ويلاقي أول كرتونة في السيارة اتدمرت، وبدأ يفكر كيف يخفيها لأن لو اكتشفوها هنتطرد، وإحنا أصلا جايين زي عمال التراحيل يوم واحد ظوهرات بدل الشيالين الأساسيين اللي واخدين أجازة يوم الأحد.

وكنا نتردد على السوق من شهرين حتى وقع علينا الاختيار وكانت فرحة عارمة لأننا هنقبض كل واحد 80 فرنكًا ممكن نعيش عليهم أسبوع على الأقل، بعد أن بدأ الجوع يضرب عظامنا، قصدي عظمي أنا، لأني كنت بقالي شهر ماكلتش وهو جسمه رياضي يتحمل، لكن أنا كان طولي مترين ووزني 55 كيلو يعني مومياء.

المهم استطاع هو تدارك الموقف وبدأ في إنزال حمولة السيارة وقال لي: اجلس إنت على كرتونة وأنا هانزل الحمولة وطبعًا كان كل ما ينزل كرتونة وهو في طريقه إما يشتمني أو يتف عليَّا ويلعن أم اليوم اللي جابني فيه باريس، إلى أن بكيت بالفعل وبدأ يرق قلبه لي فقال لي: إنت بتعيط ليه دلوقتي بدين............ (شتيمة طبعًا)، بس كان فيها عطف على عتاب فقلت له: يا محمد إنت ابن خالتي وعارف إني طبيعتي كده وعمري ما اتبهدلت كده . المهم قال لي: خلاص ماتعيطش وخد ولع السيجارة دي واداني علبة سجايره وطبعًا خلصتها وأنا قاعد.

المهم طلع الصبح وأنا باقول الصبح لأني ماكنتش أعرف اسم الفجر، لأني كنت عمري ما صليته لا هو ولا غيره، اللهم إلا صلاة الجمعة كان أبويا ياخدني معاه بالقوة.

المهم محمد خلص ونزل وقال لي: خد شيل حتتين اللحمة دول.

فقلت له: افرض مسكوني وأنا خارج فقال لي: ما أنا هاشيل زيك ماتخافش حطهم تحت البلوفر.

فقلت له: بلوفر إيه؟! ده القميص اتقل منه وبعدين ده هو اللي حيلتي ولو جه عليه دم هالبس إيه؟!

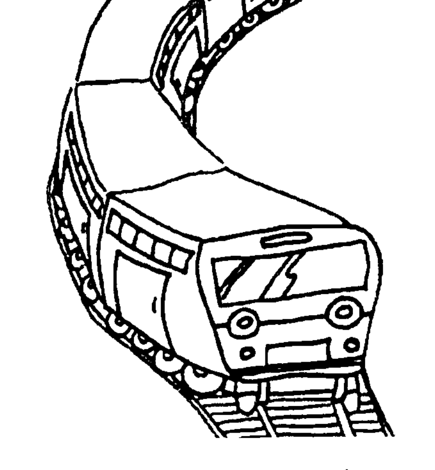
فقال لي: خلاص إنت انتظر بيهم هنا وأنا هاروح أقبض ليا وليك ونخرج. وفعلا الحمد لله ربنا وقف معانا وأنزل ستره علينا وماحدش مسكنا باللحمة.

وروحنا البيت. طبعًا هو ماكنش بيت ده غرفة في أعلى العمارة زي السندرة عندنا في مصر، بس هما كانوا بيأجروها لشخص ومايعرفوش إن هيعيش فيها 11 واحد، فكنا بنعمل وردية في النوم وكان جنبنا غرفة أخرى يعيش فيها أربع مصريين يعني كنا 15 في غرفتين والوحيد اللي كان بيصلي فينا واحد اسمه سعيد كامل. كان شغال في خمارة بار مان، واللي لفت نظري إنه كان بيزعل لما يشوف حد فينا بيشرب بيرة وكان يقول: لعن الله شاربها وأنا طبعًا أقسم بالله لم أهتم ولم أفهم هو بيقول إيه وقتها، ولكن بعد ما عرفت جماعة التبليغ وعرفت أن فيه ربنا كل مافتكر أنام على الأرض من الضحك، لأننا كنا بنعتبره هو البركة بتاعنا وكنا نقوله يا عم الشيخ.

وطبعًا رجعنا ومعانا اللحمة فكان زي يوم عيد الأضحى وشعرت أن لي فضل عليهم كلهم، لأني سرقت اللحمة مع محمد وأصبحت أشعر أني لست عالة على أحد.

وهو طبعًا كلنا كنا عالة بس كان فيه اتنين بيشتغلوا، سعيد في الخمارة وحسين في مطعم، وكان حسين بصراحة بيعطف عليا أنا بالذات فكان كل أسبوع يجيبلي أكل وطبعًا كان يوم سعيد لا أنساه أبدًا.

عمومًا أنا قررت أن أختصر المحطات حتى لا أصيبكم بالملل وأيضًا لكبر سني، وحتى لا أفقد رؤية الحروف، لأنني أستغرق وقتًا كبيرًا في مراجعة ما كتبت ولكنني أكتب ما حدث بالحِرف.



محطة (2)

طبعًا بدأت آمالي وأحلامي تتقلص وتنقص يومًا بعد يوم، فبعد أن كان حلمي أن أعود لمصر ومعي خمسة آلاف جنيه مثلًا أصبحت أفكر كيف أحصل على ثمن تذكرة العودة لأن تذكرتي كانت ذهابًا فقط، بعد أن أقنعني محمد أنني لست محتاج لتذكرة ذهاب وإياب. وكان لا بد أن أبحث عن عمل لتأمين ثمن العودة بأي طريقة وإلا سأصبح 30 كيلو فقط. وطبعًا الـ 80 فرنك أول شيء عملته عندما قبضتهم أني ذهبت إلى حمام عام (الجيم الآن) لكي أستحم، فالغرفة التي كنا نسكنها لم يكن بها حمام وتخيلوا بقى أنتم ما كنت أعانيه بسبب عدم الاستحمام لمدة أربعين يومًا، وبعدها بدأت أبحث عن عمل.. أي عمل.

وكان معنا ابن خالتي التانية اسمه أسامة، كان حاصل على ليسانس حقوق وكان من الفرع الثري في الأسرة، فكنت مستغربًا لماذا ترك مصر وجاء إلى باريس وكنت أسأله: ليه يا أسامة ماشتغلتش في مصر؟

فكان يقول لي: هذا قانون وضعي والسادات يحكم بغير ما أنزل الله!!

وطبعًا أقسم بالله ما كنت فاهم منه أي حاجة، بس كنت معجب بلباقته وطلاقة لسانه وكان يسألني: هل تقبل أن نحكم بغير ما أنزل الله؟

فأنا طبعًا أقوله: لا طبعًا، لا أقبل. والغريبة أنه كان سكران 24 ساعة وكنا وإحنا بنرفض الحكم بغير ما أنزل الله كنت أنا وهو بنشرب بيرة وسكرانين طينة، فهو كان صاحب الشيخ سعيد جدًا وكان بيحبه عشان بيتكلم بطلاقة في الدين فكان يروح

للشيخ سعيد الخمارة وسعيد يديله صندوق بيرة علب، كانت لسه طالعة جديد، وللأمانة ماعرفش إن كان الشيخ سعيد سارقها ولّا من حقه.

المهم طبعًا أنا لما عرفت ربنا وكنت أفتكر كلام أسامة كنت أموت من الضحك وهو الآن محامٍ مشهور في إحدى الدول الخليجية ولي معه قصة سأحكيها في موضعها، ولكن طبعًا عرفت بعد كده إنه كان بيحب واحدة زميلته وفرقعته، فترك مصر وراح باريس.

المهم أسامة كان بيدور على شغل وفعلًا اشتغل عند واحد تونسي بيبيع ورد، وفي يوم قال لي: في مطعم جنب المحل اللي باشتغل فيه صاحبته تونسية يهودية وتعرف الراجل اللي باشتغل عنده فتعالى وأنا أخليه يكلمها، لأنه قال لي: إنه عايز واحد يغسل الصحون فحضنته.

وقلت له: أبوس إيدك نروح دلوقتي.

المهم رحنا ودخلنا المطعم وقابلت صاحبته وكان اسمها ماتيلدا، فافتكرت إن أسامة هو اللي هيشتغل فوافقت.

فقال لها: لا مش أنا ده ابن خالتي.

فقالت له: مين؟

قال لها: ده اللي واقف قدامك.

فقالت: أنا مش شايفة حد، فعرفت أنها تسخر من جسمي.

ثم قالت: ده لازم يروح مستشفى حالًا ده عنده سُل.

فلم أستطع السيطرة على نفسي وانفجرت في البكاااااء.

عندما رأت ماتيلدا الدموع تنهمر من عيني رق قلبها لي وسكتت.

فقلت لها: يا مدام أنا ماعنديش سل أنا مأكلتش من أربعين يوم إلا ثلاث أو أربع مرات.

وحكيت لها باختصار شديد سبب مجيئي إلى باريس فرقَّ قلبها لي مرة أخرى وقالت لي: انزل المطبخ تحت وأمي هتعلمك تعمل إيه، فطبعًا كدت أطير من الفرح واحتضنت أسامة وقلت له: أشوفك في الغرفة لما أخلص وهاحاول أجيبلكم أكل.

وعشت الدور إني بقيت ولي أمرهم خلاص وأنا المنقذ بتاعهم.

وقلت له: روح فرح الجماعة وخاصة عطوة كامل شقيق سعيد لأنه كان أقرب واحد لي في الغرفة، وكان دمه خفيف جدًا وما زال طبعًا، وكان مسميني الغبي.

المهم نزلت المطبخ فوجدت أم ماتيلدا وهي امرأة كبيرة وبعين واحدة.

فقالت لي: اسمك إيه؟

فقلت لها: اسمي أشرف.

فقالت: أسرف؟!

فقلت لها: أنا اسمي محمد أشرف فقولي محمد أسهل وطبعًا بغبائي المعهود لم أشعر أن اسم محمد عمل لها (أرتكاريا).

فقالت لي: أنت موحة «وطبعًا لم أفهم وقتها أنها لاتريد نطق اسم محمد».

فقلت: قولي زي ما انتي عايزة.

فقالت لي: إنت هتقف جنبي وأنا هاغسل الأطباق واديهالك تنشفها.

فقلت لها: هو أنا هنشف بس؟! مش هاغسل؟

ويبدو أن مهنة غسل الأطباق كانت تحتاج إلى خبرة وسابقة عمل.

واستلمت الشغل وكان في داخل المحل أسانسير للطعام نرسل فيه الطلبات إلى الدور الأول، وماتيلدا ترسل لنا الأطباق اللي فيها فضلات. وطبعًا أول دفعة نزلت لقيت فيها طعام كثير باقي من الزبائن لم يمسوه فرقص قلبي فرحًا وقلت يبقى فعلا

هاخد أكل معايا لأصحابي. ولكن سريعًا جدًّا تبخر هذا الأمل عندما سمعت صوت أم ماتيلدا يخترق أذني كالصاعقة، وهي تقول: موحة خد هذا الطبق حط فيه الطعام السليم وارمي الفضلات ففعلت، ولقيتها أخدت الأكل السليم تخبيه تحت الترابيزة وقالت لي: اوعى تلمس الأكل ده.

فقررت في نفسي أن أنتقم منها فكنت في الوقت اللي مافيهوش تنشيف تقوللي قوم امسح الأرض أقولها الأرض نظيفة. فتقوللي لازم تشتغل، ولقيتها فرصة إني أتظاهر أني بأنضف تحت الترابيزة وأنقي قطع الجاتوه السليمة اللي هي مخبياها فلمحت فمي يتحرك فنادت عليًّا: موحة.

وطبعًا الأكل وقف في زوري، فانحنت بجواري ونزلت على ركبتيها ونظرت إلى فمي وعرفت الجريمة، فبدأت تصرخ في وجهي لدرجة أن ماتيلدا سمعت صراخها ونزلت، وساعتها عرفت إني خلاص انتهى مستقبلي بسبب قطعة الجاتوه وتأكدت إني مطرود مطرود.

فسألت ماتيلدا أمها: ماذا حدث؟

فسكتت ولم تتكلم فظننت أنها طيبة وتريد أن تتستر عليًّا فحبيتها جدًّا وقررت إني مازعلهاش تاني، إلا أن ماتيلدا أصرت أن تعرف، وقالت لي: لازم تقول، فقلت لها ما حدث فوجدت الرعب في عين أمها والمفاجأة أنها نهرت أمها وقالت لها: مش هتبطلي الحركات دي الولد جعان ومن حقه ياكل أكل من المطعم مش فضلات، وأقسم بالله كنت هاحتضنها وشعرت فعلا أنها أمي رغم أنها كانت صغيرة يعني حوالي 40 سنة.

وقالت لي: أنت لك وجبتان؛ أي أكل يعجبك كل منه والأكل ده ارموه في الزبالة. فقلت: حاضر، وطلعت ماتيلدا وتركتني وأنا أشعر أني طاووس بس برضه لم أنسَ أنها أمها وممكن تكون لحظة عطف وبعد كده أمها توشي بي فيكون هلاكي.

فقلت لها: سامحيني يا مدام.

فقالت لي: أنا حاسة إنك هتخليني أشلم «يعنى أسلم»، ودي بالظبط زي لما أبوك يقولك إنت كفرتني أو هتخليني أكفر، فهي عندها الإسلام هو الكفر بعينه.

المهم مر اليوم بسلام وأكلت وانبسطت، بس للأسف ماعرفتش أسرق أكل لي ورحت طبعًا بعد ماخلصت الشغل وطلعت الغرفة وكأني جمال عبدالناصر.

وطبعًا هما ناموا على الأرض من الضحك لما حكيت لهم مغامراتي مع أم ماتيلدا، لدرجة إن عطوة كان بينتظر رجوعي يوميًا لأحكي له مغامراتي مع أم ماتيلدا.

استمريت في العمل مع ماتيلدا وبقدرة قادر شعرت أنني أصبحت وتدًا في المطعم لا يمكن خلعه، خاصة بعد أن اكتشفت ماتيلدا أنني أسوق السيارة ببراعة، فكانت تأتي وتترك لي السيارة أقوم بالبحث عن باركينج لها وحاولت استخراج رخصة ولكنها فشلت لعدم حصولي على إقامة عمل. وطبعًا المرتب كان يادوبك أشارك مع أصدقائي في مصاريف المعيشة وأدفع ما كان يجب دفعه حين حضوري، وأصبح حلم تجميع ثمن تذكرة العودة كابوسًا، والأدهى من ذلك كان بجوار المطعم محل ملابس، وكان يعرض بالطو ووتر بروف ثمنه 300 فرنك وأنا كل مرتبي 300 فرنك أو أكثر قليلًا، وكنت أقف أمام البالطو وأتخيل نفسي أرتديه ونازل بيه مصر ولكن هيهات وكان لديَّ أمل آخر.

فقد كنت وقتها أعيش قصة حب مع المرحومة بنت عمي أم إبراهيم وبلال الله يحرقهم، وكنت قد وعدتها أن الجهاز كله هاجيبه من باريس، وطبعًا عشان أعطيها قوة تقاوم رفض العرسان اللي بيتقدموا لها خاصة إني كنت خارج من صدمة عاطفية وأنا في ثانوي كادت أن تقضي على حياتي، لأني كنت عايش دور عبدالحليم وظلموه ظلموه.

واسمحوا لي أن أعود بكم إلى المدرسة الثانوي. فقد كنت لا أحب الجلوس في بيتنا في الدقي في شارع إيران، وكان الجو العائلي يربك كل تفكيري، فكنت أذهب إلى أولاد

خالتي وهم جاءوا من القرية للدراسة في القاهرة، سامي هندسة، ومصطفى طب أسنان، وكان مصطفى نديمي وحبيبي لكن سامي كان خاطب أختي ودمه تقيل «الله يرحمه».

وكان اتخرج وبيشتغل ومصطفى في أولى طب، وأنا في أولى ثانوي، وكانوا ساكنين في نصر الدين في الهرم، فكنت عايش معاهم وأروَّح كل أسبوع أجيب مصاريف وغيارات.

وكان في عمارة أمام بيتهم فلمحت في الدور الرابع فتاة أول ما وقعت عيني عليها حبيتها، أيوه أنا حبيتها وبجنون، والمشكلة أنها تجاوبت معي ثم علمت منها أن هذه شقة عمتها وهي جاية تزورها لكن بيتهم عبارة عن فيللا كبيرة على الناصية وأبوها مسؤول كبير. وماخفتش من كل هذه العوائق بل أخبرتها أن زميلي سمير الصغير من القبابات مركز الصف أبوه مليونير وهو صاحب العمارة اللي قصاد فيلتهم، وهو معايا في الفصل وأنا هاجي أذاكر معاه، رغم إنه في أولى ثانوي من أربع سنين بس هاجي عشان أشوفك وفعلا نشأت قصة حب عنيفة بيني وبينها.

وكنت باضطر أحيانًا أروح لحسن صديقي اللي اتجوز أختي بعد كده فكنت أروح له الدقي لأنه أبوه ضابط كبير في الجيش وجابله عجلة، فكنت أروح أستلفها وأروح بيها عند حبيبتي في الهرم، واضطر أقف بالعجلة فترة أمام الباب حتى تراها هي أو أمها ويعرفوا أني برضه مش أي كلام؛ فالشاب اللي عنده عجلة وقتها كان يعتبر عريس لقطة.

ودارت الأيام وهي فاكرة إن العجلة بتاعتي، لحد ما جه حسن قال لي: أبويا افتكرني بعتها فاعمل نفسك رايح تصلحها، وارجع من غيرها وعدّت على خير، ووعدني أنه يديهالي تاني كمان شهر شوية صغيرين فوافق. المهم كنت باقابل جولييت من وقت لآخر في آخر الشارع وكل الشارع عرف إني بحبها وخاصة البقال اللي على الناصية، وهي كانت بنت ماهاش حل، خفة دم لم أرها وجريئة جدًّا.

ففي يوم قالت لي: أشرف ماما قالت أقطع علاقتي بيك.

فقلت: ليه؟

قالت: بتقول عليك صايع.

فقلت لها: لالالالالالالالالالالالالالالالالالا أنا ابن ناس جدًّا وتعالي شوفي بيتنا.

فقالت: إنت ساكن فين؟

فقلت لها: جنب نادى الصيد، فبصيت لي من فوق لتحت وزي ما تكون مش مصدقة.

وقالت: أنا خالتي ساكنة هناك يوم الخميس نتقابل، وفعلا جت وشافت بيتنا. وطبعًا العمارة كلها بتاعتنا وخالي ساكن في دورين عاملهم فيللا فخمة وخالتي كذلك، المهم كان أفقر ناس في العيلة إحنا.

فقلت لمرات خالي «وكانت حبيبتى الروح بالروح»: الله يسترك يا طنط أنا باحبها وعايزك تنزلي تسلمي عليها وتشوف بيتك فتفتكر كل شققنا كده، ووافقت ودخلت جولييت وانبهرت، والحمد لله ماشفتش عشة الفراخ اللي عند أمي، يرحمها الله.

وعَدَّت زيارة جولييت على خير، وحبيت أديها بقى المفاجأة الكبرى لما لقيتها فرحانة فقلت لها: على فكرة أبويا وعدني إني لما آخد الثانوية هايجيبلي موتوسيكل، وطبعًا كأني كنت اقول لها هاشتري طيارة. ومرت سنتان والحب يشتعل بيننا حتى كاد أن يحرق منطقة الهرم بأكملها، ونجحنا إحنا الاتنين في الثانوية وهي راحت كلية الحقوق وأنا يا دوب دخلت معهد التعاون. وطبعًا أول يوم في الدراسة وقفت في شباك صاحبي عشان أشاور لها؛ فقفلت الشباك في وشي ودي كانت آخر مرة أشوفها، وماعرفش ليه فرقعتني كده، بس قابلتها بعد عشر سنين، وكانت أغرب مقابلة في التاريخ سأحكيها في وقتها.

المهم نرجع لباريس وماتيلدا، فبعد أن فقدت الأمل في شراء البالطو أو هدية لحبيبتي

الجديدة اللي هي أم بلال وإبراهيم، ويا ريتني مارجعت من باريس عشان ماخلفش بلال وإبراهيم، وكان أملي إني أرجع غني عشان أنتقم أولا من جولييت بتاعة الهرم، بس تبخرت الآمال وأصبحت أبحث فقط كيف سأعود لمصر ولكن شبح الجوع ابتعد عني بسبب عملي عند ماتيلدا وكنت بأحاول أبحث عن عمل في أيام عطلة المطعم. وكان رفيقي الأول عطوة وكنت ارتبطت بيه جدًّا ودايما أجلس معه أحكيله ويحكيلي، وهو لم يكن له أي طموحات، لأنه كان مقرر يعيش في باريس بأي حال من الأحوال، وكان هناك قبلي بثلاث سنوات فأتقن الفرنسية وكنت أشعر بفخر وأنا أمشي معه لأني مش هاحتاج أشاور لحد وأنا باكلمه زي الصم والبكم، فعطوة سيكفيني معاناة الكلام بالفرنسية.

ومرت الأيام وأنا أطرق جميع الأبواب للحصول على ثمن تذكرة العودة التي لم تكن تتعدى 30 جنيهًا مصريًا، وأغلقت جميع الأبواب في وجهي إلى أن قررت أن أرسل رسالة إلى صديقي وحبيبي الأستاذ عبدالكريم بغدادي السعودي الجنسية والمكي المولد، وكان يشغل منصبًا كبيرًا في جامعة أم القرى بمكة، وكان صديق الشيخ الشعراوي، وأول مرة أقابل الشعراوي كان معه وطبعًا لم أكن أعرف قيمته لأن عبد الكريم وقتها كان بالنسبة لي هو الكنز. المهم سنعود للشعراوي في وقته.

وكان زوج خالتي يعمل تحت يده في مكة، وكان عندما ينزل مصر يزور خالتي وجوزها وهما يسكنان في الطابق الثاني ونحن في الطابق الأول.

وكان الأستاذ عبد الكريم يشغل رئيس لجنة التعاقد مع المصريين للعمل في جامعة أم القرى، فكانت الطوابير تأتي للوقوف أمام شقة زوج خالتي للتوسط عند الأستاذ عبدالكريم.

وكنت قد تعرفت عليه وتعلق بي جدًّا، وقرر أن أكون المرافق له في مصر أثناء

زياراته لها، وكان يكلفني بتأجير سيارة له وأنا أتولى قيادتها له فكنت أنتظر مجيئه في كل سنة لأني أعرف أن الشهر الذي سيقضيه في مصر سأعيش مثله تمامًا، علاوة على أن كل أبناء قريتنا في السنبلاوين وأجوارها عندما علموا أني أصبحت مرافقًا له وسائقًا وسكرتيرًا بدأوا يتوددون لي.

وكان في يوم مدعوًّا في القرية عند خالي العمدة وطبعًا كل من يريد أن يعمل في السعودية كان في انتظار وصوله أمام بيت خالي العمدة، وطبعًا أنا المتحكم في موعد الوصول. وأصبحت العلاقة بيني وبينه أقوى مما يتخيل أحد ولكن أمام الناس طبعًا كنت ألتزم حدودي، وكنت اتفقت معه إنه يرسمني قدام الناس ويحسسهم إني أنا صاحب الكلمة وكان عمري أيامها 16 سنة.

فكنت لأول مرة أسمع كلمة أشرف بيه حتى الذين كانوا يحتقروني أصبحوا يقولون أشرف بيه.

ما هو عندنا كلب العمدة، عمدة حتى خالي العمدة، أصبح يقوللي يا أشرف بك.

وأصبحت أنتظر قدوم الأستاذ عبد الكريم كل عام بفارغ الصبر، فكنت أعيش الشهر الذي يقضيه في مصر وكأني ابن رئيس الجمهورية. وكان بيجيبلي معاه خمس خراطيش ودي كانت أهم هدية أنتظرها وهو بيفتح الشنط.

وأصبحت أعشق بل يجري في دمي حب كل من ينتمي إلى السعودية بسبب هذا الرجل، وكنت أشعر أنه هو ملك السعودية. وكم كنت أشعر بزهو وأنا أنتظره في المطار لأنه كان أول من يخبره بقدومه هو أنا رغم فارق السن بيننا، الذي كانت تذيبه الأيام التي أقضيها معه وكأنها حلم جميل أو أيام في الجنة، وسوف أتطرق لقصتي معه بالكامل.

المهم لست أدري ما الذي جعلني أفكر أن أخبره بها أعانيه وأنا أطلب منه أن يرسل حق التذكرة بعد أن أغلقت في وجهي كل الأبواب وما سبيلي للاتصال به؟ وأنا لا أعرف رقم هاتفه

وحتى لو كنت أعرفه فكيف سأتصل به إذا كانت الغرفة التي نسكن بها ليس فيها سيفون، فكيف بالتليفون، وحتى الخطابات وقتها كانت تأخذ أكثر من عشرة أيام لتصل مصر، وكنت أنتظر الخطابات من مصر كالعطشان الذي يبحث عن الماء في الصحراء. وحتى أبرَّ بقسمي أنني لن أكتب إلا ما حدث حرفيًا فأنا لا أتذكر كيف علم هو بأحوالي.

ولكنني أتذكر أنني سألت ماتيلدا عن رقم هاتف المطعم لأن فيه شخصية مهمة ستتصل بي ولا أتذكر كيف أرسلته له، ولكنني أذكر أنني كنت يوميًّا أنتظر مكالمته، حتى جاء اليوم التاريخي في حياتي ونادتني ماتيلدا من الدور الأول.

وقالت: في تليفون لك، فأسرعت إلى أعلى والتقطت السماعة منها، وأول ما سمعت صوت الأستاذ عبدالكريم انفجرت في البكاء، وأذكر أنه لامني كثيراً أنني ذهبت إلى باريس دون أن أخبره.

وقلت له: أنا عايز أرجع مصر.

فقال لي: خلال يومين هيكون عندك ثمن التذكرة وأغلق الهاتف.

وسألتني ماتيلدا وقالت: هذا الرجل لهجته سعودية.

فقلت لها: ده ابن ملك السعودية.

وماعرفش هل صدقت أم لا، ولكنني أنا كنت مصدق. وقلت لها أني مسافر مصر، والغريبة أنها حزنت وقالت: ليه هترجع؟

ولكنني كان طفح بي الكيل وبالفعل ذهبت إلى البوسطة بعد يومين ووجدت المبلغ في حوالة ووقتها شعرت أنني أغنى واحد في باريس، وذهبت سريعًا لأحجز مكانًا في أول طائرة، وشعرت أن هذا الرجل لم يخلق الله مثله في الحياة.

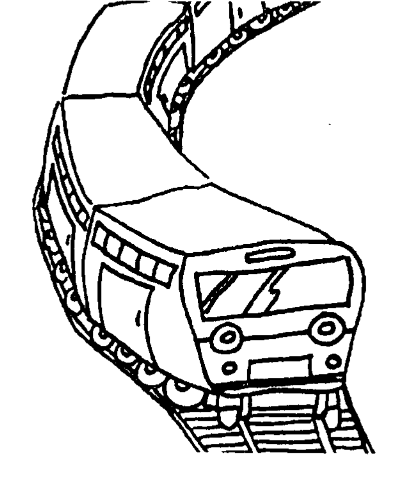
وكنت يومها قد استلمت خطابًا من شقيقتي الصغرى تخبرني أنها لبست الحجاب هي وهدى بنت عمي (أم بلال)، ووقتها اعتقدت أن الحجاب هو التميمة التي يرتدونها

خوفًا من الحسد، فقد كان يتردد على بيتنا وأنا صغير شيخ يأتي ويجلس في الصالون وتجتمع نساء العائلة، وأذكر أنه كان بيعملهم أحجبة ويخرج الأعمال المعمولة لهم عشان مايتجوزوش.

ودي حكاية تانية..

المهم إني قلت في سري أكيد البت دي اتهبلت حتى إني أخبرت عطوة وقلت له: تخيل أختي الشيخ عملًها حجاب فبعتت لي خطاب تقوللي، وطبعًا هو كمان لم يفهم لأنه عمره ماشاف واحدة محجبة مثلي تمامًا.

وحجزت الطائرة ورجعت إلى مصر أم الدنيا، ولم يكن أحد في استقبالي طبعًا لأننى لم أخبر أحدًا لأني كنت عارف إني هاوصل قبل الخطاب. ولم يكن معي أي شيء سوى لبسي الذي ذهبت به. وطبعًا ماكنش في شنطة لأني كنت لابسه ولم أخلعه منذ وصولي إلى باريس، بس هو ألوانه كانت اتغيرت لأنها طُمسَت طبعًا .



محطة (3)

رجعت بيتنا بس مش فاكر رجعت إزاي مشي ولا في المواصلات، برضه السن له حكم. تقريباً مرت أربعون سنة، بس فاكر وأنا باخبط على الباب ومش فاكر مين فتح لكن افتكر أمي «الله يرحمها».

كانت لها عرش أمام الباب مباشرة عبارة عن كنبة إسطنبولي ورثتها من جدتي الحاجة زينب، فعندما رأتني هللت واحتضنتني وشفت واحدة واقفة ولابسة حاجة فوق راسها ومدلدلة على صدرها ولقيتها جاية تحضني.

فقلت: مين دي؟

فأمي قالت لي: دي فاتن أختك اتحجبت «فتذكرت الخطاب».

فقلت لها: هو ده الحجاب؟!

فقالت: آه وهدى كمان اتحجبت.

والحقيقة ماعرفتش أقول لها إيه، بس حسيت إني كده مش هاكمل مع بنت عمي، لأن أنا لسه راجع من باريس وبصراحة الحجاب هناك كان ستر العورة فقط.

فقلت في نفسي: إيه التخلف ده؟!

وبدأت بصراحة أسأل أمي: هي البت دي عليها عفريت؟

فقالت: يابني ده شرع ربنا استغفر ربك وخش اتوضى وصليلك ركعتين.

فقلت: ده أمي كمان ركبها عفريت دي عمرها ماقالت لي صلي إلا يوم الجمعة والنهارده مش الجمعة.

وجلست جنب أمي أحكي لها واتلمت العائلة وأبويا جه وقعد يسمع الحكاوي وطبعًا سألني: وناوي تعمل إيه؟

فقلت له: هادور على شغل طبعًا، وأبويا كان موظفًا في وزارة الإسكان والتعمير، فقال لي: إيه رأيك أشوف لك شغلانة في الوزارة؟

وماعرفش ليه رديت دون تردد، وقلت له: ماليش في شغل الحكومة أنا هادور على حد عنده تاكسي واشتغل عليه. ومر اليوم وبدأت أختي تمارس عليا خططها الدعوية وكنت سألتها: هو إيه اللي عمل فيكم كده؟

فقالت: إحنا بنروح مسجد في المهندسين اسمه أنس بن مالك بنسمع شيخ اسمه إبراهيم عزت.

«وأنا لم أكن أعرف سوى المسجد اللي في أسفل العمارة اللي جنبنا، وكان فيه شيخ طيب جدًّا اسمه الشيخ علي، كنت باروح مع أبويا في الجمعة وفى خلال خمس دقائق بنروح».

فاستغربت إن هما بيروحوا المشوار ده علشان يصلوا؟

المهم مرت الأيام ولقيت نص بنات العيلة لابسين زي أختي وبيروحوا نفس المسجد، وكان زوج بنت عمي أخت أم بلال الكبيرة ضابطًا في القوات المسلحة (اللواء إبراهيم مجاهد رئيس نادى المنصورة المعروف).

وكنت باحب الراجل ده جدًّا، وجه يسلم عليًا ولقيت مراته لابسة نفس اللبس، وكان يوم خميس وحاول يقنعني إني أروح معاهم بكرة أصلي في مسجد إبراهيم عزت اللي بيحكوا عنه ده.

وبصراحة حبي لإبراهيم مجاهد خلاني أسمع كلامه، واشترطت عليه يعدي عليًا ياخدني معاه، فوافق وجه تاني يوم ورحنا المسجد.

فلقيت سيل من البشر يسير نحو المسجد، وكان إبراهيم بيراقب تعبيرات وجهي

لأني أُصبت بدهشة شديدة. ودخلنا المسجد وبمعاناة وجدنا مكانًا. وكل ما تمر دقيقة ألاقي واحد على رجلي وواحد على رجل اللي جنبي زي علبة السردين، فبصراحة بدأت أخاف من المنظر.

وبدأت الخطبة ولم أسمع ولم أفهم منها شيئًا سوى أنني رأيت كل من في المسجد يبكون وبصوت مرتفع، وشعرت برعب شديد.

وقلت في نفسي: أكيد دي مستشفى المجانين بس ده إبراهيم مجاهد معاهم، وإبراهيم ده كان مثلي الأعلى في الأخلاق والذكاء والحزم.

ولكنني قررت أني لن أعود مع هؤلاء المجاذيب مرة أخرى حتى لو كان معاهم أبو إبراهيم مجاهد نفسه.

رجعت بيتنا وأنا في غاية التعجب مما أصاب عيلتنا من تخلف وجنون، وأقسمت لإبراهيم مجاهد أني لن أذهب لهذا المكان مرة أخرى، وعبرت له بأدب أني مستغرب إن واحد مثله يمشي ورا المتخلفين عقليًا دول.

وسألته: إنت ليه كنت بتبكي؟ ده أنت كنت في حرب 73 وكنت راجع غرقان دم وماشفتكش بتبكي.

فنظر لي وكأنه مشفق عليًا زي ماكون أنا الأهبل مش هو، وقررت أني أشيلهم من دماغي وأشوف مستقبلي بعيد عنهم.

ورحت أزور أصدقائي القدامى ندماء الأوقات الجميلة... وأول واحد رحت أزوره صديقي محمد رضوان، ابن صاحب كافتيريا رضوان بميدان الدقي وكان مكان الأنس كله والمزاج العالي، ورحت وقابلني.

وسألني: إنت كنت فين ده كله؟

فحكيت له بسرعة وطبعًا طلب لي إزازة بيرة كبيرة تحية عودتي، ومش عارف ليه لقيت نفسي بافتكر الناس اللي كانت في المسجد وحسيت إنه كابوس بيطاردني، حتى

هو لاحظ إني سرحان فسألني فحكيت له فمافهمش أي حاجة، لأنه ماكنش يعرف يعني إيه صلاة أصلًا، وعمره ماشاف المسجد من الداخل، وافتكر إني سكرت من أول شفطة.

وقال لي: يا عم سيبك من العالم دي، دي عالم صايعة!!

فقلت له: ده فيهم العقيد إبراهيم جوز بنت عمي، فتيقن أني سكران. وسيبته ورجعت البيت ومنظر المسجد والناس اللي بتبكي يطاردني رغم أني شربت الزجاجة كلها وحرقت ييجي عشرين سيجارة، وبرضه مش عارف ليه جلست الأسبوع كله وأنا أفكر فيهم حتى في النوم أحلم بهم حتى جاء يوم الجمعة.

ودون أن أشعر لقيت نفسي بتوضأ ورايح نفس المسجد، والغريبة أني كنت بتوضأ في الخفاء وباتسحب وأنا خارج وكأن حد بيراقبني، ورحت المسجد بدري وجلست قريبًا من المنبر ولكن ضهري للمنبر حتى أرى الناس وهي داخلة.

وكنت باشوف ازدياد الناس كل دقيقة، وكأنهم يتسابقون على شيء له قيمة وكل واحد عايز يلحق الأول، وتذكرت تزاحمنا على الطابور في سوق اللحمة حتى يرانا الرجل اللي بيختار الشيالين.

وكأن نورًا قُذف في قلبي يقول لي: وهنا أيضًا يتزاحمون حتى يراهم من يكتب أسماء الفائزين، ووجدتني أبكي قبل أن يطلع الشيخ إبراهيم ليخطب، وعندما صعد المنبر وجدتني أبكي وبصوت مرتفع قبل أن يتكلم، وحين تكلم، لم أتمالك نفسي وكان يشرح تفسير سورة البروج وشعرت أنه يكلمني أنا فقط.

وللمرة الثانية خرجت من المسجد دون أن أفهم ما قال ولكن بروح غير الروح.

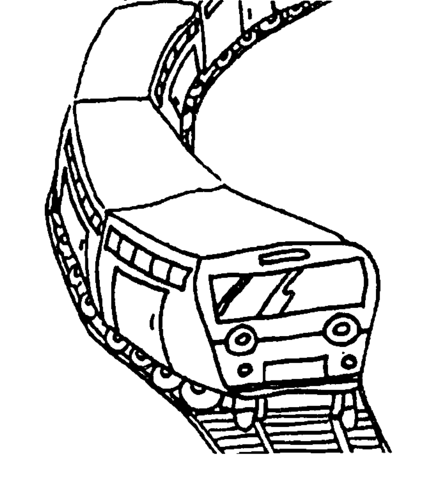
فقد أفهمني الله ما لم يقله الشيخ إبراهيم، وهو أن القلوب بيد الله وليس بيد العباد، وكانت ولادتي من جديد في هذا اليوم، فقد تغيرت حياتي تمامًا، والغريب أن هذا المسجد كان سببًا في إني أكون مليارديرًا.







أشرف السعد صغيرًا



محطة (4)

الغريبة أني لقيت نفسي مشدود جدًّا نحو هؤلاء الناس، وفي الأول اعتقدت أن كلهم فقراء ومش لاقيين شغل مثلي، لكن لقيت فيهم الغنى جدًّا والفقير جدًّا والمتعلم والأمي وجميع طبقات المجتمع، فشدوني أكثر وبدأت أسال هي إيه الحكاية، فعرفت أنهم كل يوم خميس بيجتمعوا في المسجد، فرحت يوم الخميس أحضر الاجتماع واللي كان مطمني إنه كل شيء عندهم معلن ولايعملون شيئًا في الخفاء.

وحضرت لقيت واحد بلحية طويلة اسمه المهندس محمد عبد المنعم، وكان كلامه مؤثرًا جدًّا وفي نهاية حديثه قال: مين مستعد؟ فلقيت معظم الجالسين رافعين أيديهم، فافتكرت أنهم بيجمعوا تبرعات فقلت في نفسي بسرعة يعني هياخدوا كام جنيه اتنين مش مهم.

وكان معايا ميت جنيه مش فاكر جبتهم منين.

فرفعت إيدي وقلت: مستعد.

فسأل واحد واقف جنب الشيخ وقال: اللي مستعد أربع شهور ييجي هنا، واللي مستعد أربعين يوم ييجي هنا، واللي مستعد أقل من كده ييجي هنا.

فقلت: إيه اللخبطة دي بقى؟!

فسألت واحد جنبي وقلت له: يعني إيه الكلام ده؟

فقال لي: دول بيخرجوا في سبيل الله يدعون الناس إلى الله.

فقلت في نفسي وبعدين بقاااااااااااااا إيه الحكاية دي أحسن يطلعوا زي اللي قتلوا الشيخ الذهبي يرحمه الله.

وفى ثانية بدأت أتذكر حادثة الشيخ الذهبي وزير الأوقاف عام 77، وكنت وقتها باروح أسهر مع جماعة أصحابي يوميًّا في دار السلام عند واحد تاجر اسمه محمود أبو كاسب من الصف، وكان راجل غنى جدًّا وكنت من صغري أحب أصاحب اللي أكبر مني، فكان في الشلة الممثل المشهور محمد كامل اللي مثل دور مرسي فى مسلسل «عباس الأبيض»، وكان معانا ضباط شرطة أصدقائنا. وكان الاجتماع الأسبوعي لازم كلهم ييجوا وفي يوم كل أصحابنا الظباط ماحضروش فقالوا: دول مشغولين مع جماعة التكفير، فافتكرت إن دي فرقة جديدة ولا حاجة وراحوا يسكروا عندها، فقلت لهم: طب ليه ماعزموناش؟

فضحكوا كلهم وقالوا: يا أهبل دول «أومات دقون» قتلوا الشيخ الذهبي، ففيه حالة طوارئ.

فقلت: مين أومات دقون دول؟

فقالوا: بتوع التكفير والهجرة.

فتذكرت كلامهم وبدأت أفكر لكن كان هناك شيء بداخلي يجعلني مطمئنًا مع هؤلاء الناس.

وقلت: مستحيل يكونوا دول أومات دقون اللي بيقتلوا لأن ممكن يكون البوليس قاعد معنا.

ولقيت شيء بداخلي بيدفعنى دفعًا نحوهم.

فقلت للرجل اللي جنبي: هو ممكن أخرج كام يوم أقل حاجة. فقاللي يارب يوم

بس لو خرجت 3 أيام هتستفيد، وعرفت بعد كده إنهم حاطين وسط الناس رجالتهم عشان العبط اللي مثلي. لأني بعد كده كنت باجلس وأكلم الناس مثله كده أراقب الجدد وأقعد جنبهم. المهم خرجت معاهم 3 أيام وقالوا لي مافيش حد بيصرف عالتاني، كل واحد بيصرف على نفسه، فلازم تقول إنت مستعد تصرف كام عشان ماترحش مكان بعيد وتتكلف مصاريف، فقلت له لحد عشرة جنيه، فقال لي: لازم تروح تجيب بطانية وغيارات لتلات أيام. فقلت في نفسي يا عم أنا قعدت أربعين يوم من غير غيار في فرنسا. المهم رحت جبت بطانية.

وقلت لأمي: أنا خارج مع جماعة التبليغ فراحت مصرخة وقالت: رايح فين؟

فقلت لها: إنتو حيرتونا معاكم لا صياعة عاجباكم ولا تديُّن عاجبكم.

فقالت: يابني إنت تصلي معاهم وخلاص.

لا أريد أن أقف أمام تفاصيل قد تُطيل الموضوع وتصيب القارئ بالملل، ولا تفيد في الغرض الذي من أجله كتبت هذه المحطات.

المهم خرجت معهم وكنت ناوي ثلاثة أيام فقط، ونظرًا لأني كنت مدخنًا شرهًا، فقد تعودت على التدخين وعمري 11 سنة وتوقعت أن أجد من ينهاني عن التدخين، ولكن الغريب أن أحدًا من الذين خرجت معه لم يعلق على التدخين، بل كنت أخرج خارج المسجد أدخن فأجد معي شبابًا جددًا مثلي يدخنون ولا أحد يتعرض لهم، لدرجة أنني كنت أذهب إلى كبيرهم (الأمير كما يسمونه) وأسأله هل التدخين حرام فيبتسم ولايعلق، وكان كل كلامهم ترغيبًا وليس فيه شيء من الترهيب، حتى إني ظننت أن الله لن يعاقب أحدًا، وكانت هذه هي قوة هذه الجماعة في السيطرة على قلوب الناس، والأغرب من ذلك أنني جلست معهم أربعين يومًا، مررنا فيها على معظم قرى الصعيد بداية من بني سويف إلى أسيوط، وتعرفت فيها على شيوخ التبليغ وكان

أحدهم يسمى محمود بكر، وكنت قد اقتربت منه جدًّا ونشأت علاقة حميمية بيننا بعد أن عرف قصتي، وسألته هل من الممكن أن أصافح الشيخ إبراهيم يومًا فقال لي سأكتب لك رسالة وهمية وتقولهم أنك معاك رسالة مني للشيخ إبراهيم، وفرحت جدًّا وطبعًا لحيتي صارت طويلة ورجعت بعد الأربعين يومًا وبداخلي أمل كبير أن أصافح الرجل الذي قلب حياتي رأسًا على عقب.

وكان من عادات الخارجين عندما يعودون يجب أن يعودوا إلى المسجد (المركز الرئيسي) حتى يجلسوا مع أحد المشايخ الكبار ليتكلم معهم في كيفية التعامل مع أهاليهم إن وجدوا صدًّا من أهاليهم، وطبعًا أنا أول ما وصلت للمسجد قلت للمسؤول إن معي خطابًا من الشيخ بكر للشيخ إبراهيم فأدخلني فورًا ولحظيًّا كان موجودًا فدخلت عليه وارتعش جسمي وسلمت عليه وارتميت في حضنه أقبل يده ورأسه وأنا أبكي بحرارة، حتى شعرت بدموعه تنزل على رأسي فعلمت أنه يبكي هو كمان، فقد كان أرق قلب ممكن تقابله في حياتك. وأخبرته أننا افتعلنا قصة الخطاب حتى أسلم عليك، فبكى وأجلسني وقدم لي طعامًا من أفخر أنواع الطعام، عبارة عن طبق فول متَّاكل من قبل وعيش بلدي مكسر وجبنة وأكل معي، وشعرت أنه أحلى وأجمل أكل أكلته في حياتي، وسألني عن نفسي، فاختصرت له قصتي وقلت له أنا لسه راجع من باريس وفشلت بس الحمد لله إني فشلت عشان أعرفك فبكى تاني. وقلت له أنا سوف أبحث عن عمل وهاحوش عشان أخرج معاكم فابتسم وهو يبكي وقام وأوصلني لباب المسجد. وقال لي رفقًا بأهلك وذهبت إلى البيت ولحيتي طويلة وكان أبي بالمنزل واعتقدت أنه هيفرح جدًّا لأنه كان زهقان من اللي خلفوني وكل شوية يقوللي آدي دقني لو فلحت، وروح للصيع اللي تعرفهم وكل أسبوع يطردني أو ينيمني فوق السطح ويوم الجمعة يهددني لو ماصليتش، فقلت ده هيبوس إيدي النهارده. ودخلت وأول ماشافني قاللي: إيه ده؟ فقلت له: دي سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم،وقلت له إن الرسول نهى عن حلاقتها وشكلي عكيت شوية وقلت له إن اللي يحلقها كافر، فقاللي نعم يا روح أمك إنت بتعلمني الذين، فقلت في نفسي العالم دي لسعت أو أنا

لسعت، أصيع يزعلوا أتدين يشتمونى، فقلت له: يا بابا أنا بطلت السجاير وياريت تبطلها لأنها حرام، فقاللي: إطلع بر برر رررر رررررررررررره.

هممت بالخروج من البيت فنادى أبويا -أبتااااااااه- وقاللي خش احلق دقنك والصبح تيجي معايا الوزارة تقدم على شغل، فقلت له: يابا أنا صليت استخارة وخلاص هادور على شغل حر، فقاللي: يعني إيه استخارة؟ ففكرت بسرعة وقلت لو شرحتله هيشتمني فصرخ في وجهي وقاللي: ماترد يعني إيه استخارة؟ فقلت أومال كان بيصلي إزاي وأنا فاكره الإمام الأكبر، وكنت عامل حسابي أخش الجنة على حسه. فقلت له: يا حاج يعني أصلي ركعتين وأسأل ربنا اللي أنا عايزه. فقاللي: إنت بتكلم ربنا، عليًا الطلاق ماانت نايم فيها.

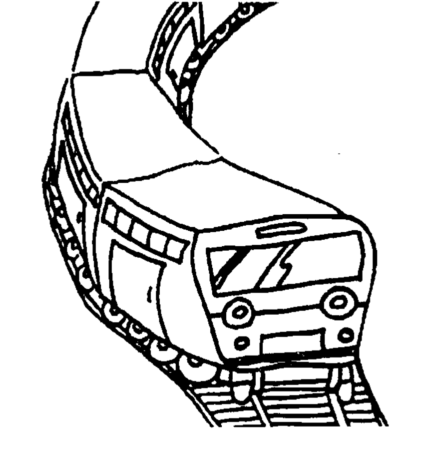
وكلم جارنا الدكتور حاتم وهو كان من السابقين في جماعة التبليغ فجه خدني ووداني للشيخ إبراهيم، وحكيتله الحكاية فضحك وقاللي: (كذلك كنتم من قبل فمنَّ الله عليكم). فقلت له يعني إيه؟ فشرح لي الآية وقاللي: لو عملت كل حسنات الدنيا وأبوك وأمك غضبانين يبقى ربنا مش هيقبل منك. إنت تروح البيت تبوس رجل أبوك وتريحه على الآخر، وفعلا رجعت بوجه تاني وقلت له: بس مش هاحلق دقنى، فقاللي: ماتحلقش هو مش هيسألك على دقنك تاني، بس ريحه فرجعت وصالحته وبوست إيده ورجله، ودخلت نمت وقمت الفجر رحت المسجد ومارجعتش إلا لما هو خرج.

وبعدين رحت لحسن صاحبي بتاع العجلة اللي اتجوز أختي -الله يرحمه- أختي موتته. المهم كان هو اتخرج في الجامعة معايا وكان لينا صديق مشترك اسمه مجدي عيد كنا بنسكر سوا، وكان مجدي ده أبوه غني جدًّا وعنده مصنع نسيج كبير في شارع الصحافة وحسن اشتغل فيه، فقلت له: ماتقول لمجدي يقول لابوه يشغلني. فرحت والحقيقة الناس قابلوني بكل ترحاب بس مجدي لما شاف دقنى مات من الضحك وقاللي إيه: اللي إنت عامله ده، فقلت له: مش ناقصك.

المهم دخّلني لأبوه وقاله: أشرف صاحبي لسه متخرج معانا وعايز يشتغل فالراجل فكر هيشغلنى إيه ويظهر صعبت عليه فقرر يشغلنى زكاة عن ماله، يعني لله، وجلست على مكتب في وسط 100 بنت اللي بيجهزوا الأتواب للصباغة. وطبعًا أنا قاعد في وسطهم مابعملش حاجة وكان مرتبي أربعين جنيهًا فاشتغلت شهر معاهم. وكنت باروح المسجد اللي قدام المصنع في كل أذان، فجابني الحاج عمر صاحب المصنع وقالي يابنى العمل عبادة إنت صلي لما تروح وأنا المسؤول قدام ربنا. فقلت: يا عم الحاج أنا قاعد طول النهار مابعملش حاجة. فقالي: ممكن نحتاجك أنا بافهم في الدين وجدي كان شيخ وأعرف أكتر منك، ولاحظت أن أهم شيء أنه يخليني ماصليش.

فرحت للشيخ إبراهيم وحكيتله فقالي: طبعًا لأنك إنت المفروض كنت تجتهد عليه وتخليه يصلي. فقلت له: ده عايز النبي نفسه فمات على نفسه من الضحك وقالي: اصبر واجتهد. وفعلا بدأت أكلم الحاج عمر ولكن لا حياة لمن تنادي. وبصراحة كان من أطيب الناس بس مشكلة وجودي في وسط البنات كانت عاملة مشكلة وكل شوية واحدة تجيلي تقولي يا عم الشيخ وتسألني في فتوى فقلت وبعدين بقاااااااااااااااااااااااااا. هتطيروا الكلمتين اللي حفظناهم في الجامع.

فرُحت للشيخ يوم الخميس في الاجتماع وقلت له: يا شيخ أنا البنات اللي هناك دول هيطيروا اللي باتعلمه هنا، فكان جنبه أحد شيوخ التبليغ اسمه أبوبكر الخولي وشفته وهو بينزل من عربيته وأنا داخل كانت أحدث سيارة مرسيدس في مصر، وعرفت أنه أكبر تاجر سيارات في الفيوم، وعنده شركة ومعارض في شارع معروف فقاله الشيخ إبراهيم: خد أشرف معاك وهتدعيلي. فقالي: إنت بتشتغل إيه؟ فقلت له: أنا لسه متخرج بس أشتغل أي حاجة، فقالي: تعرف تسوق، قلت: أنا سواق ماهر، فقالي: إنت بتاخد كام في المصنع؟ فقلت أربعين جنيهًا ومستعد آخد أقل منهم فضحك وقالي: لا، هاديك زيهم.وكانت نقطة تحول حياتي المالية في هذه المقابلة، فكانت أول خطوة على طريق المليار.



محطة

(5)

لم أصدق نفسي من الفرحة عندما قبل الحاج أبو بكر أن أعمل عنده. وطبعًا وقبل أن أترك الجلسة بدأت أتخيل نفسي وأنا أقود سيارته التي كانت المرة الأولى لي أن أرى سيارة مثلها، وأطلقت ساقي للريح إلى أن وصلت البيت وأخبرتهم أني سأترك العمل في المصنع وسأذهب للعمل مع أغنى رجل في مصر وهو شيخ زيي. وأمي كانت من صغري تسميني الكلب توكسا، فسألتها مين توكسا؟ فقالت: ده كلب خالك محمد ماكنش يقعد في مكان أكتر من دقيقة وكان زي البرغوت من مكان لمكان، فقالت لي: ديل الكلب عمره ما يتعدل، يعني الراجل شغلك في المصنع وقاعد مرتاح وناس طيبين لكن الطبع غلاب طول عمرك وأنت زي توكسا روح يا ابني ربنا يفتحها في وشك، فقلت لها: ما كان من الأول يعني لازم المحاضرة دي بس الله يسترك ماتقوليش لأبويا لحد ماروح بكرة فقالت: أنا لا قايلة ولا عايدة من مشكاح لريها يا قلب لا تحزن، أهو إنت نسخة من أبوك إن كان هو فلح يبقى إنت تفلح. وكانت أمي تستمتع بمسح كرامتي بالأرض وكأنها مدمنة وأنا كنت باوفر عليها أحيانًا وأقولها الأسطوانة قبل ما تبدأ فكانت تموت من الضحك وتقولي: والله أم فردوس (الداية اللي ولدتها فيّا) قالت إنك ذكي وشافت رؤية إنك طاير في السما، بس لو تركز وتعقل شوية. ويظهر إن أم فردوس كتمت نصف الرؤيا لأنها أكيد شافتني نازل هبد من السما. عمومًا ذهبت إلى المعرض تاني يوم وكنت بدأت ألبس الجلابية والعمامة، ومن أول يوم بدأت أثبت لصاحب المعرض قدراتي فكنت أعمل كل شيء ممكن يتخيله حتى تنضيف

الأرض وطبعًا قيادتي للسيارات كانت هي رأس مالي، وطبعًا لم يكن هناك مشكلة في أداء الصلاة فقد كنا نذهب جميعًا للمسجد المجاور، وكنت قد تجرأت على مخاطبة الناس فبعد كل صلاة كنت أقف أمام المنبر أتكلم مع الناس وأدعوهم إلى الله. وكنت أحكي لهم كما أتكلم معهم في الشارع من غير أي تكلف، وأكثر شيء أثر في الناس عندما قلت لهم إني كنت زي البهائم أبحث عن الطعام والشراب، وكنت لا أعرف أي خطوط حمراء لولا هذه الجماعة، وبدأ كل من في شارع معروف يتكلمون عن الشيخ أشرف، حتى أصبح معرض الخولي مشهورًا باسم معرض الشيخ أشرف. وطبعًا هذه الشهرة تسببت في مشاكل كثيرة سآتي عليها في وقتها، ولكن وجودي في المعرض أكسبني خبرة في الحياة لم أكن لأكتسبها في بلاد العالم كله.

لست أدري لماذا هذه المرة بالذات أشعر أن رأسي أصبح ساحة لتسابق الأحداث، فرغم أنني قصصت هذه الأحداث من قبل ولكن هذه المرة أشعر أن كل حدث يسعى وبقوة، وكأنه يناديني ويقول اكتبني أولا وكأنه يخشى أن أنساه.

على أية حال بدأت أشعر وأنا أعمل في معرض السيارات أنني أمتلك الدنيا وما فيها وليس المعرض فقط. وبدأ صاحب المعرض يثق بي يومًا بعد الآخر. وأصبحت الرقم الصعب عنده وكنت أنتظر أول الشهر بفارغ الصبر حتى أقبض مرتبي الذي كنت أشعر أني أستحقه وليس صدقة أو منة كما كان في مصنع النسيج. وكان الزبائن يدفعون بقشيش، وكان الحاج بكر (كما كنا نناديه) يجمع البقشيش ويفرقه على الموظفين مع مرتبهم أول الشهر. وأذكر أول شهر أصابني من هذا البقشيش خمسة جنيهات فوق مرتبي فقبضت 45 جنيهًا وشعرت أن هذه الخمسة جنيهات كأنها مال قارون، لدرجة أنني خشيت أن أركب الأتوبيس خوفًا من سرقتهم، ومشيت من شارع معروف حتى بيتنا في شارع إيران وأنا أشعر أن العالم كله يتربص بي لسرقة الخمسة جنيهات.

وعندما وصلت ميدان الدقي قررت أن أعمل مفاجأة لأمي وأخواتي فمررت على كافتيريا رضوان وسلمت على محمد رضوان الذي كان سببًا رئيسيًا فيما بعد في تغيير

مجرى حياتي بالكامل وأخبرته بعملي الجديد. وكانت تربطني به علاقة قوية لأنه يسكن في العمارة رقم 43 في شارع إيران وأنا في 39، فكبرنا مع بعض رغم فارق السن بيننا، فأنا أكبر منه بعشر سنوات، ولكنه كان يملك عقل رجل عمره مائة عام، وشعرت أنه فرحان جدًّا من أجلي.

وبدأ يسألني عن أشياء في الدين فشعرت أن الله أراد له الخير رغم أنني لم أجبه على شيء، واتبعت أسلوب الشيخ الذي سألته عن التدخين فلم يجبني حتى توقفت عنه من نفسي. وطلبت من محمد أربعين ساندويتش شاورمة وكان الساندويتش بعشرة قروش على ما أذكر، ورفض أن يأخذ فلوس فقلت له: ستفسد فرحتي لأني أول مرة أشعر أني أشترى شيئًا بعرقي، ففرح جدًّا من الكلمة وكرر سؤاله لي هل بيع الخمر حرام؟ فلم أجبه.

وأخذت الشاورمة وذهبت للبيت وأنا حريص ألا يراني أحد وأنا أدخل العمارة حتى لا يظنون أني سرقت كافتيريا رضوان، أو يمكن خفت من الحسد وبصراحة مش فاكر ليه كنت خايف حد يشوفني، المهم دخلت على أهلي ولم يصدقوا ولكن طعم الشاورمة خلاهم يصدقوا وكنت أشعر بفخر وحاسس أني أصبحت ديك البرابر، وقالت لي أمي: يلا بقه شد حيلك واثبت في الشغلانة دي طالما فرحان بيها كده.

ومرت الأيام وأصبحت معروفًا جدًّا في شارع معروف. وفي يوم سافر الحاج بكر للعمرة وسمعت ابنه وهو يتكلم في الهاتف مع أحد موردي قطع غيار السيارات المرسيدس، وفهمت أنه لازم يدفع 80 ألف دولار فورًا وسمعته بيقول أبويا جاي بكرة، وأغلق الهاتف وسمعته بيتكلم مع كبير الموظفين عم حسن الخولي، وكان هو العقل المدبر للحاج بكر، وسمعت عم حسن بيقوله دي مصيبة لو مادفعناش النهارده والحاج كان عامل حسابه على بعد يومين والفلوس في البنك. وكانت هذه الحكاية بداية التحليق في سماء المال، فصديقي الحميم محمد رضوان هو أكبر تاجر عملة في مصر وقتها رغم

أن سنه لم يتجاوز 14 سنة، فقلت لعم حسن: يعني أنا لو جبت التمانين ألف دولار هتتحل المشكلة، فاعتقد أني شارب حاجة، وأقسم بالله نظر لي من فوق لتحت ولم يرد. فقلت له: هاتغدى وارجع. فقاللي: اتفضل، فرحت لمحمد رضوان وحكيت له الحكاية وقلت له: يا محمد الراجل ده له فضل عليًا وطبعًا محمد في هذا الوقت كان بيقوللي يا عم الشيخ أشرف، ولم يشك ثانية في أمانتي ولم يخطر بباله أن واحد ملتحي بيصلي ممكن ينصب عليه، رغم أن لو شقيقه طلب منه هذا المبلغ كان طرده، ولكن العجيب أنه لم يتردد ثانية وقاللي: الفلوس موجودة. فقلت له: بس هاروح بيها المعرض إزاي فأرسل معي سائق تاكسي يعرفه وأعطاني شنطة سامسونيت ودخلت المعرض وفي يدي الشنطة، ودخلت المكتب على محمد ابن الحاج بكر وعم حسن وفتحت الشنطة فوجدوا المبلغ بها............

(على فكرة هذا هو المشهد الحقيقي الذي ظهر في مسلسل الريان).

لا توجد في قاموس اللغة العربية كلمات لوصف معنى كلمة دهشة أستطيع أن أستخدمها في وصف الصدمة التي أصابت محمد وعم حسن، وسأتركها لكم كلٌّ يصفها كما يشاء، ولكن عم حسن الصدمة جعلته يعتقد أن هذه الفلوس مزورة أو أوراق كراريس مدرسة فسألني إيه ده؟ فقلت له: المبلغ المطلوب فقال: جبته منين؟ فقلت: من صديقي محمد رضوان. وفجأة قام حمادة واحتضني فقاطعه عم حسن مش نعرف هيبيع لنا الدولار بكام، فقلت له: أنا سمعتك بتقول إن الحاج عنده الدولارات في البنك وأنا اتفقت مع محمد أرجعهم دولارات وحتى لو الحاج هيدفع مصري فسعر السوق معروف وأنا جبت الفلوس عشان أحل المشكلة.

المهم إن عم حسن كان عنده إحساس إن فيه شيء غريب يحدث. وزادت صدمته عندما عاد حمادة ومعه إيصال من الشركة الموردة باستلام المبلغ وطبعًا فحصوه مليون مرة. وعندما طلب حمادة من عم حسن تجهيز المخازن لاستلام البضاعة تيقن أن الأمر

جاد وأما أنا فقد كنت أفكر في شيء واحد وهو حضور الحاج بكر وكيف سيتلقى الخبر، وشعرت أن الزمن توقف وأصبحت كالذي ينتظر سماع نطق القاضي بالحكم، ولكنني كنت على يقين أن هذا الأمر سيغير حياتي بالكامل إزاي؟ الله أعلم.

وجاء الحاج وطبعًا ذهب لبيته وأخبره حمادة وذهبت أنا في اليوم التالي لحضوره إلى المعرض في ميعادي، وطبعًا كنت أروح بدري جدًّا ولم أتوقع أن الحاج بكر سيأتي قبل ميعاده بساعتين، وعندما رأيت سيارته أسرعت كالعادة حتى أفتح له الباب وآخد السيارة وأحطها في الجراج. ونزل الحاج وعانقني وقرأت في وجهه خريطة طريق مستقبلي الجديد. وقال لي: شكرا يا أشرف اركن السيارة وتعالى لي المكتب، وفعلت ودخلت عليه مكتبه وأغلق الباب وقاللي: احكيلي إنت جبت الفلوس منين وازاي، بس الأول قولي إنت عارف قيمة المبلغ اللي إنت جبته. وطبعًا في هذا الوقت المبلغ كان يساوي 80 مليونًا الآن، فقلت له: يا عم الحاج أنا عارف قيمتك إنت فهز رأسه وقال: أنا لما شفتك قلت لحمادة الولد ده وراه حكاية هي إيه ماعرفش. ودون الخوض في تفاصيل قد تكون درامية فيراها البعض مبالغة وقد لا تكون بلا فائدة، وتجنبًا للإطالة فقد طلب مني الحاج بكر أن يقابل محمد ليشكره، وفي ثانية وجدت عقلي كشعلة النار فوضعت كل الاحتمالات فقد يكون مش مصدقني وقد يكون يريد أن يتعامل مع محمد. وبسرعة أوقفت عقلي عن التفكير وقلت له فورًا لو حبيت أجيبه، فقاللي: لا خلينا نروح له هكذا الأصول، فقلت له: لم يخب تقديري لك فأنت أكبر من أي مال فقاللي: طب يلا نروح.

رغم فرحي الشديد بإعجاب الحاج بكر بي وشعوري بالزهو، ولا أنكر أن الكبر راودني لفترة قليلة إلا أنني منذ صغري وأنا أشعر بالأحداث الخطيرة، فقد شعرت أن هذا الحدث لن يمر مر الكرام. وعلى أي حال ذهبنا لمحمد رضوان واستقبل الحاج بكر استقبالا يليق به وازداد إعجابه عندما رآه ملتحيًا، وبطبيعة المصريين فقد جبلهم الله على حب كل شيء ينتمي للدين حتى لو مزيف، فقد قبل محمد يد الحاج بكر احترامًا للدين

وليس احترامًا لماله، فأنا أستطيع أن أجزم أن محمد كان أثرى منه في ذلك الوقت. وطبعًا علمت موخراً أن الحاج بكر كان يسمع عن محمد وكان يتمنى التعاون معه ولم يتوقع أن يقابله بهذه السهولة. وازداد إعجابه عندما رأى جسم طفل وعقل رجل حكيم. وتركنا محمد والحاج أبوبكر وجهه يتكلم وهو صامت، وقد قرأت في وجهه الإعجاب الشديد بي، ولكنني لم أغفل عن رؤية بعض الخوف الذي أثبتته لي الأيام بعد ذلك وبدأ الحاج بكر يعتمد عليًا في أشياء كثيرة.

وبعد هذا الحادث تشجعت وازددت ثقة بنفسي فقررت أن أعقد قراني على بنت عمي التي كانت تنتظر عودتي من باريس بمهرها، ولكنني عدت بخُفي حُنين، وكانت على خلاف شديد مع والدتها لأن أمها لم تكن ترغب بزواجي منها، لأن بناتها الأولى متزوجة من قاضي أبوه مليونير، والثانية متزوجة من ضابط مهم بالجيش المصري ومن أسرة ثرية، ورغم أني متربي مع أولادها وهي بحكم أمي إلا أنها كانت تراني فاشلًا وصايعًا، وكانت تريد أن تزوج بنتها الصغرى لواحد يتناسب مع سابقيه، وللحق فقد رفضت أم بلال عرسانًا كثرًا أغنياء وأصحاب مراكز مرموقة ويا ريتها مارفضتهم.. لالالالالالالالالا، الله يرحمها والله أنا باهزر، ولو إني كل ماشوف إبراهيم وبلال أقول كان يوم أغبر يوم ماتجوزت أمكم. المهم رحت لأمي وقلت لها أنا عايز أتقدم لهدى رسمي ودلوقتي أظن ما فيش عذر أني ماتقدمش، البت قربت تبور وهي مستنياني وكانت أمي عندها شقة بتأجرها مفروش في العمارة والشقة دي قصة لوحدها.

فاسمحوا لي أترك الحاج بكر وأعدكم أني سأعود إليه، ومن غير وعد فالقصة لن تكتمل دون أن أعود إليه، ولكن قصة الشقة ليست أقل أهمية من قصة السعد، فالشقة تقع في نفس العمارة التي نعيش فيها والعمارة ملك لأعظم سيدة أنجبتها مصر في نظري، هي جدتي الحاجة زينب سليمان سعد عودة، ابنة عم المرحوم عبدالقادر عودة، وهي

أروع وأبرع اقتصادي رأته عيني على الإطلاق، فهي من أسرة غنية وقد تزوجت وعمرها عشر سنوات، ولم تقرأ في حياتها ولم تكتب بل خرجت من قلب الريف المصري وتزوجت رجلًا على ما أذكر أكبر منها بعشرات السنين، ومات وهي ابنة عشرين عامًا وترك لها محمد ومصطفى ونبوية وسكينة وصفية (أمي) وسميرة، وكان محمد الابن الأكبر من كبار ضباط الجيش المصري في عهد الملك فاروق، ومصطفى كان مدير سلاح الأسلحة والذخيرة بدرجة لواء أركان حرب، وهذه في حد ذاتها معجزة، فكيف لامرأة بل طفلة في عرفنا هذه الأيام تستطيع وهي أمية أن تربي أبناءها هكذا وبناتها تزوجن من أصحاب مراكز عليا في الدولة إلا أبويا. حبيب قلبي والله سأعود إليه، فهو كتاب مفتوح لا يجوز المرور عليه مرَّ الكرام، ولكن بعد أن أنتهي من سيدة القرن جدتي، وكانت تعيش مع أمي منذ أن ولدت في 14 شارع إسماعيل سري بالمنيرة بالسيدة زينب، وكنا نعيش في بيت مستأجر بـ 8 جنيهات، ولكنه كان يشبه القصر، وكان لأمي أخوان من أبيها خالي حسين وخالي عبد الحميد. وخالي حسين لم أعرف أنه ليس ابن جدتي إلا عندما كبرت، فقد كان مقربًا لجدتي أكثر من أولادها وكان يقول لها يامّا. وللاختصار فقد لاحظت أن خالي حسين بدأ يكثر التردد علينا بالمنيرة رغم أنه ساكن في الدقي، وعلمت بعد كده أن جدتي باعت أرضها في القرية واشترت قطعة أرض بجانب نادي الصيد في الدقي وبتبني عليها عمارة سوف تعطي كل واحد من أولادها نصيبه الشرعي في حياتها لتجمع أولادها في مكان واحد، وكان يشرف على بنائها خالي حسين وتم الانتهاء منها وانتقلنا من المنيرة للدقي، وكنت في أولى إعدادي واختارت أمي شقتها في الدور الأول، لأن جدتي تعيش معنا ولن تقوى على صعود الطوابق العليا، وكان نصيب الولد شقتين والبنت شقة وجدتي شقة والباقي عرضوه للإيجار. وكان خالي حسين يحب أمي جدًّا ويعلم ظروفنا جيدًا، فأبي وقتها لم يكن يعمل ولم يكن لنا دخل، ولولا جدتي كنا هنبيع مناديل في المواصلات. فاقترح خالي حسين على أمي أن تستأجر شقة من جدتي مثلها مثل الغريب ثم تعيد

تأجيرها مفروشة، وطبعًا لم يعارض أحد من أشقائها وتنازلوا حتى عن الإيجار، وتركت جدتي شقتها وجلست معنا وأجرت شقتها مفروشة أيضًا ليكون لها دخل، فكانت الشقة المفروشة اللي من نصيب أمي بمثابة كنز لي فقد كنا نؤجرها بعشرين جنيهًا في الشهر، وكان يستأجرها في معظم الأوقات طلبة ليبيون يدرسون في مصر وأحيانًا يمنيون، وطبعًا أنا كنت عايش معاهم مش في شقتنا وكانت جدتي تستخدم حديقة العمارة لتربية الطيور مما تشتهى الأنفس جميع أنواع الطير، وأنا اللي كنت مسؤول عن جمع البيض، وبفضل هذه السيدة رغم أن أخوالي وخالتي كانوا أثرياء وجميع جيرانا من علية القوم إلا أننا لم نشعر بفارق في المعيشة نهائيًا، رغم التفاوت الكبير في الدخل بل كنا أحيانًا نعطي أخوالي وخالتي ديوك رومي وبط، وطبعًا أنا كنت مخلي الليبيين أصحابي عايشين ملوك لأني أبرمت معهم اتفاقًا أنا أسرق لهم الفراخ والبيض وهما يصرفوا عليًا لما نخرج (ربنا أمر بالستر).

لحين اليوم المشؤوم سرقت فرخة من اللي بيبيضوا ودول كانوا معدودين. المهم مرت الأيام وماتت جدتي وتخرجنا جميعا في الجامعات وأصبحت الشقة ممكن الاستغناء عنها، خاصة أن أبي قد التحق بالعمل في وزارة الإسكان والتعمير وكان الله يرحمه زي الأمراء في الهيئة ويتكلم الإنجليزية والفرنسية بطلاقة.

المهم قلت لأمي أنا هاتجوز في الشقة وأدفع لك الإيجار اللي بتاخديه من تأجيرها مفروش، فوافقت وذهبت إلى بيت عمي مع أبويا وطلبنا إيد هدى رسمي، ولاحظت يومها أن مرات عمي زي ما يكون عمي مات يومها، كان ناقص تلطم على وجهها وحددنا ميعاد كتب الكتاب.

تحدد موعد كتب الكتاب في مسجد أنس بن مالك ودعوت المقربين من العائلتين لأننا اتفقنا أن يكون الفرح بعدها بأربعة شهور لحين تجهيز الشقة، ويقتصر كتب الكتاب على ملبِّس وشربات وخلاص. وذهبت لأدعو الحاج بكر فبارك لي وأعطاني مكافأة

شهرًا، وحضر العقد وطبعًا الذي عقده الشيخ إبراهيم عزت وأعتقد أنه أفشل عقد عقده في حياته...

المهم بدأت أرتب نفسي على الحياة بالدخل الشهري وكنت قد تعلمت تجارة السيارات، وبدأ اسمي يُعرف خارج نطاق شارع معروف، وأصبح بالفعل المعرض مشهورًا باسم الشيخ أشرف، ورغم حب الحاج بكر لي إلا أنني كنت أشعر بانزعاجه وله حق، ولكن زاد الشيء عن حده فبدأ الناس يتصلون على تليفون المعرض ويسألون عني.

إلى أن دق الهاتف يومًا وكان تاجر سيارات معروفًا فسأل عني وتكرر الأمر أكثر من مرة في وجود الحاج بكر.

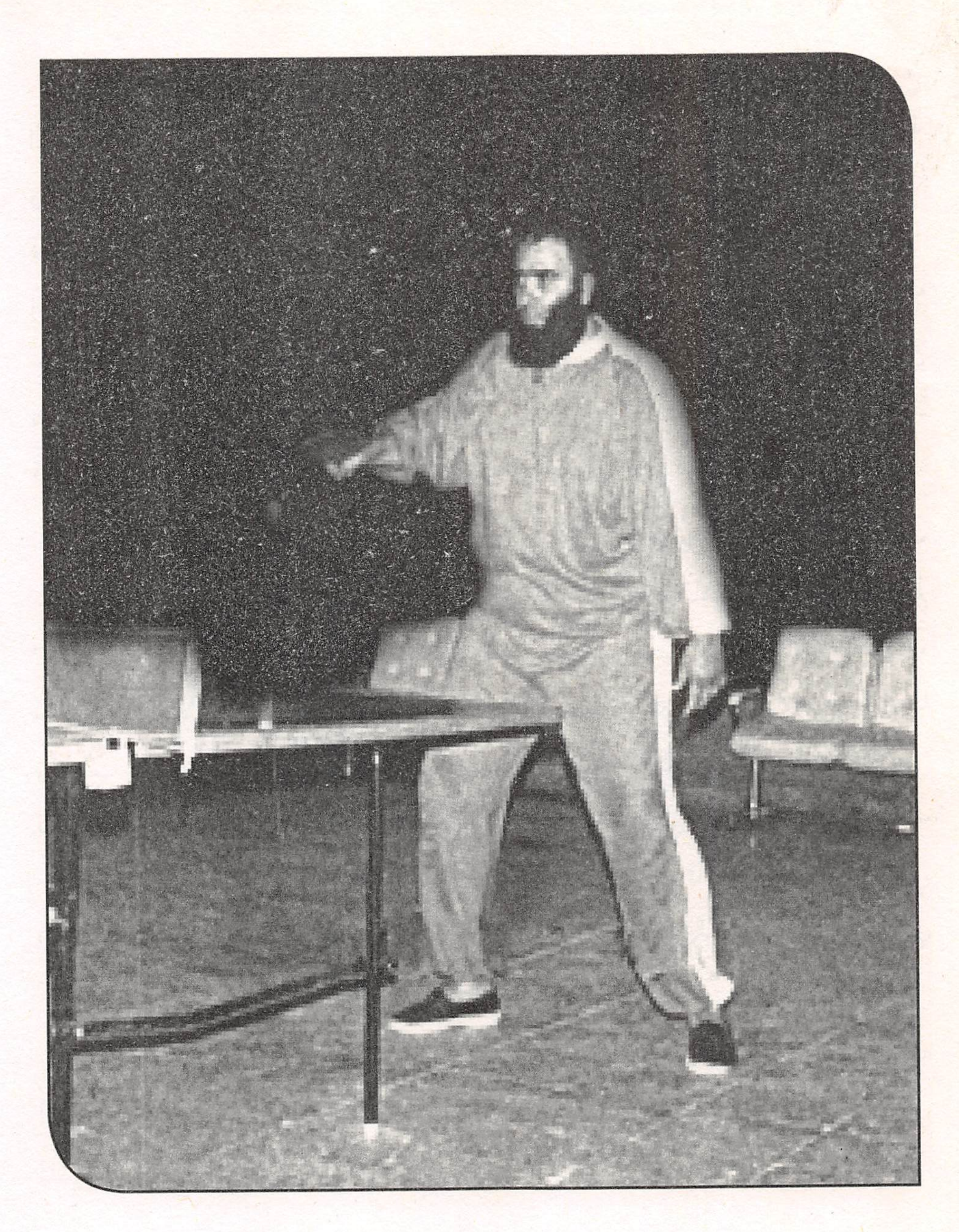
وباختصار شعر الحاج بكر بالقلق فناداني في مكتبه وقال لي: اسمع يا أشرف يستحيل يكون اتنين في المركب يا أنا يا إنت، واعتقدت أنه يمزح فقلت له إنت يا حاج بتجامل أنا فين وانت فين. فقالي: اسمع يا بني أنا بنيت نفسي من الصفر وبعد العمر لازم تعرف إن الحياة أكلت من جسمي راقات، وانت مستحيل تبقى نمرة اتنين إنت لازم تكون نمرة واحد، والأيام بيننا وعايز نفترق وإحنا أحباب، فقلت له: أنا تحت أمرك يا حاج خلاص أنا مش هاجي تاني هنا، وأعطاني مرتبي وزيادة وعانقته ومشيت وشعرت أنني فقدت بصري فقد تبخرت كل أحلامي. وكان كل فكري في المصيبة اللي حشرت نفسي فيها، هاعمل إيه دلوقتي مع أمي ومع حماتي اللي أصلا ماكنتش طايقاني، ولو كنت اتقدمت للخدامة بتاعتها كانت رفضتني، إيش حال بنتها، ودلوقتي هتقولها أنا قلت لك ده فاشل وصايع ودلوقتي أمي هتقولي نفس الكلام وليها حق المرة دي، ده أنا خربت بيتها وخليتها فضت الشقة وفضلت دماغي زي الطاحونة لحد ما وصلت عند كافتيريا رضوان وجلست على طاولة وسألت على محمد فقالوا زمانه جاي.

وسرحت وذرفت دموعي دون أن أرى وجه محمد فرآني فقالي إنت بتعيط ليه حصل إيه، إنت سيبت الشغل صح؟

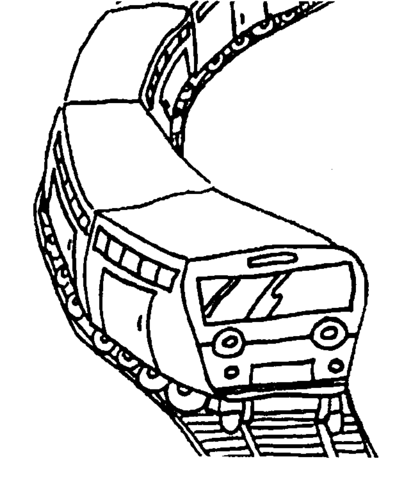
فقلت له: آه، فقال: وده اللي مزعلك. فقلت: يا محمد أنا كتبت كتابي والتزمت مع الناس فقاللي: ولا يهمك، تعالى اشتغل معايا. فقلت: يا محمد هاشتغل إيه هاعمل شاورمة ولاهأقدم للزباين؟! فقاللي: لا هتشتغل معايا في العملة، فقلت له: إزاي ولا بافهم فيها. فقاللي: مالكش دعوة أنا هاعلمك. وفي أثناء الكلام قاللي معاك ألف جنيه فقلت له: إنت هتهرج، لا طبعًا. فقاللي: لو جبت ألف جنيه هاشغلهملك في العملة وأديك 90 جنيهًا في الشهر غير مرتبك. فقلت يا محمد ماتهرجش، فقاللي: إنت تعرف إني عمري هزرت في حاجة زي دي. فقلت له: يا محمد يعني هاخد تلات أضعاف مرتبي. فقال: قوم روق وروح وماتقلهمش إنك سيبت الشغل لحد لما تتعلم هنا وتثبت نفسك.

وأطلقت ساقي للريح ورحت البيت وكانت أختي الأصغر مني مشبوكة فطلبت منها تبيع الشبكة وتديني الفلوس، ورغم أنها كانت أختي اللدودة إلا أنها حتى لم تسألني وأعطتني الشبكة وبعتها، وأقنعت صديق عمري وحبيبي الشيخ محمد صادق، الذي كنت قد تعرفت عليه من المسجد، وكان عنده سيارة بيجو مدغدغة فباعها وكملت ألف وخمسمائة جنيه ورحت لمحمد رضوان وأعطيتهم له وقاللي: خلاص كل يوم هاديك خمسة جنيه، ومرتبك كل شهر خمسين جنيهًا، وكل المطلوب منك تقف جنبي وتشوف أنا باعمل إيه ولما أمشي من هنا إنت تخلي بالك. فأنا بصراحة إنت جيتلي من السما، وطبعًا عرفت بعد كده إنه كان عايز يساعدني بس بطريقة ماتجرحنيش، مع أني كان عندي استعداد أتجرح. لكن قدر الله.

فمنذ هذا اليوم لم يمر أربعة شهور إلا وكنت من كبار رجال الأعمال، ومحمد نفسه أصبح بعد كده بيني وبينه آلاف الأميال في الثروة، وطبعًا هاحكي اللي حصل بالتفصيل الممل... ماتقلقوش.



ممارسة الرياضة دائمًا



محطة (6)

شعرت بطمأنينة غريبة بعد أحداث محمد رضوان وكنت قد تعودت أن أحضر اجتماع التبليغ الأسبوعي، وبالطبع علم الشيخ إبراهيم بما حدث، وكان أول شخص لزامًا عليَّ أن أخبره بما حدث هو الشيخ إبراهيم فذهبت إليه وأخبرته فتهلل وجهه فرحًا وكانت فيه صفات كثيرة اكتسبها من حبه الشديد للنبي محمد، فكان حين يبتسم كأن الدنيا كلها تضحك، ولم أسمع صوت ضحكته يومًا ولكن ابتسامته كانت تطربني وكان لها صوت يجلجل، وقام فسجد لله وقال لي أبشر فسوف يكون اقتصاد مصر في يدك.

ولم أتعود أن أناقش الشيخ فيما يقول فكان كلامه كله نور. وقال لي: لا تذهب إلى العمل الجديد إلا بعد أن تسدد ما عليك، فقلت: مستعد. فقال لي: فيه جماعة خارجة سنة للسودان إنت يكفيك معهم أربعين يومًا فقط وستقابل هناك السندباد فقلت له: من السندباد؟ فقال: هذا تراه فقط ما ينفعش يتحكي، وكأنني لعبة في يده، فقلت له: مستعد وأخرج من جيبه ألف جنيه وقالي إديهم لرضوان والمكسب بالنص، فقلت له: لن آخذ مكسبًا، فضحك وقالي: لا تستعجل، وبالفعل أعطيت محمد الفلوس واتفقت معاه يحتفظ بالأرباح معاه لحين عودتي، وأخذت معي مائة جنيه قطعت التذكرة ذهابًا وإيابًا بالباخرة من أسوان مع الجماعة.

وذهبنا للسودان، ولو استطردت فيما حدث في السودان سأحتاج لشهر أكتب يوميًّا، ولكنني باختصار تعلمت من هذه الرحلة ما لم أتعلمه في حياتي، فيكفى أنني كنت أريد

البقاء هناك مدى حياتي لولا قلة النفقات معي، وهذه الجماعة لاينفق أحد على الآخر مهما كانت درجة ثرائه، فكلٌّ يضحي بما يستطيع.

وقابلت هناك السندباد الشيخ لطف الرحمن من بنجلاديش، كان أميرًا على جماعة خرجت من بنجلاديش للسودان لمدة عام، وكان رجلًا تشعر أنه خُلق ليموت كما إبراهيم عزت، فقد كان ابن موت لأنه رحل وعمره 43 سنة. وتعلمت من جماعة لطف الرحمن ما لم أتعلمه من شيوخ العالم، فقد كان رجلًا ربانيًّا لا يخرج فمه سوى نور. ومرت الأربعون يومًا كالبرق.

وكان يوم الوداع يومًا مشهودًا فكل من كان هناك تعلق بي وشعرت وأنا بين أهل السودان أنني بين بشر لم تلوث قلوبهم، وكأنهم على الفطرة يعشقون كل ما هو يتعلق بالدين، ولو أعطاني الله العمر سأفرد قصة كاملة لعلاقتي بلطف الرحمن.

ورجعت مصر وذهبت إلى المسجد قبل أن أذهب إلى البيت حسب عادات أهل التبليغ، وحضرت صلاة الفجر وكان الشيخ عبدالمنعم يرغب في الحاضرين أن يذهب أحدهم إلى السودان لتوصيل جوازات سفر جماعة الشيخ لطف الرحمن، لأنها كانت في مصر ليحصلوا على تأشيرة عمرة. ولا أذكر بالضبط سبب خروج التأشيرة من مصر ولكن كل ما أذكره أنه لم يتطوع أحد لتوصيلها، وأشار لي أحدهم أن الشيخ إبراهيم يريدني في غرفته، فذهبت إليه فقال إنت توصل الباسبورات ودخل نام وتركني أضرب كفًّا على كف، وحتى لم يخبرني من أين سأقطع ثمن التذكرة.

ولم يكن بد من أن أذهب، فقد كان الدافع داخلي يشدني بقوة للذهاب واتصرفت في ثمن التذكرة ووصلت الخرطوم الواحدة صباحًا وكان الجو شديد الحرارة، فكانت الجماعة تنام في الظل أمام المسجد هروبًا من الحرارة. ومن عادة أهل التبليغ أن يكون هناك شخصان من الجماعة يسهران لحراسة الجماعة وأمتعتهم ويسمونها الخدمة. وكان الشخصان اللي في الحراسة من الذين ودعوني من يومين وظنا أني رجعت تاني لأكمل

مدة السنة معهم، لأنهما شاهداني متأثراً جدًا وأنا أرحل عنهم فعانقاني وقدما لي الطعام وسألاني هل عندي أخبار عن الباسبورات، فقلت: ها هي وأخرجتها من الشنطة. فقال أحدهم: الله يجزيك خيرًا، إنك جبتها معاك. فقلت: بل جئت معها لأني جئت من أجلها مخصوص، فبكى الرجل وقام مسرعًا ليوقظ الشيخ لطف الرحمن من النوم وليس من عادة الحراس أن يوقظوا الأمير إلا لأمر جلل، فذهب أحدهما وأيقظه وأخبره أني جئت مخصوص بالباسبورات وسوف أعود غدًا فنهض مسرعًا وجاء واحتضني وأمر بإحضار الحلوى، وأيقظ الجماعة كلها وكان يتكلم العربية بطلاقة، ورأيته اجتمع بأفراد الجماعة وبدأ يجمع منهم مالًا، فتأكدت أنه يريد أن يعطيني حق التذكرة وجاء جانبي وجلس يدعك في كتفي ويقبل رأسي ويقول: لن نستطيع رد جميلك ولكن من السنَّة ألا نكلفك مالًا، ولا أدري كيف تجرأت ورديت عليه ولكني شعرت أن لساني يتكلم من تلقاء نفسه فقلت له: يا شيخ أقسم بالله أنا اقترضت ثمن التذكرة وفي أشد الحاجة إليها ولكن لا تحرمني أن أستردها من الله، وكانت كلماتي بالنسبة له كالصاعقة فالرجل الذي يُبكي الحجر انفجر في البكاء وترجم كلامي لمن لا يعرف العربية فضج المسجد بالبكاء، وقال وهو يبكي: إذن ندعو الله لك. وكان هذا الدعاء هو أنيسي حتى اليوم، فكم من ذنب كبير هممت به ونجاني الله بحوله وقوته.

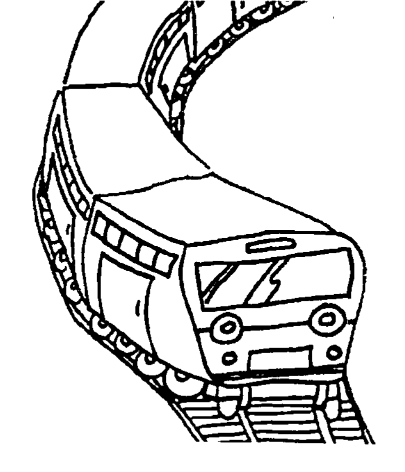
وتركت المسجد تاني يوم بجسدي ولكن قلبي معلق هناك، وذهبت إلى العمل تاني يوم عند رضوان. ويبدو أن أنوار لطف الرحمن كانت قد صاحبتني، فبمجرد أن رآني محمد اعتنقني وكأني غائب عنه منذ قرن، والغريبة أنه قال لي خدني معاك المسجد وشعرت أن الملائكة حولنا والله -بعقد الهاء- فقلت له: اليوم نصلي العشاء هناك. فقال: بس لازم آخد شاورمة هدية فلم أرد أن أصده. فقلت له: كما تريد. فأمر بعمل مائتي سندويتش وقال لي: بس أنا مش متوضئ. فقلت له: تتوضى هناك. فقال: وهو مستحي: مانت عارف مابعرفش أتوضأ، فقلت له: هذه أنوار السودان فقد هزتني كلمته وكأن الله يقول لي أقرب الناس لك لا يعرف الوضوء، ولكن أنا كنت حذرًا جدًا في الكلام معه

في الدين لأني أعلم ما في قلبه من خير وأنه لا بد ألا يتركه الله، فأنا أعلم أنه يفعل خيرًا كثيرًا ويساعد الناس فأخذته إلى بيتنا وتوضينا عشر مرات. وأذكر ونحن نتوضأ سألني وقاللي: هو النبي سعودي؟ فارتميت على الأرض من الضحك، وقلت: آه سعودي بس السعودية هي اللي محمدية، وشرحت له فكان يضحك من قلبه.

وذهبنا للمسجد وأدخلته على الشيخ إبراهيم وقلت له: لطف الرحمن بعتلك ده وكان أول مرة يشوفوه، فقلت له: ده محمد رضوان فسجد إبراهيم عزت قبل أن يسلم عليه، فسجد محمد خلفه وهو يبكي، فعلمت أن شيخًا جديدًا قد ولد اسمه محمد رضوان.

وأصبح لا يمر يوم دون أن يرى الشيخ إبراهيم وأول سؤال سأله له أنا بابيع بيرة يا مولانا أعمل إيه؟ فابتسم الشيخ وكأنه يعلم ما سيحدث وأن محمد سيكسرها بيده ودون فتوى.

والأغرب أن بعد هذا اللقاء لم تمر ساعة إلا وحدث عظيم يحدث، ولا يمر يوم إلا ودخلي يتضاعف يوميًا، لدرجة أني سارعت بالزواج من أم بلال قبل الميعاد وأصبحت الثوانى لها ثمن عندنا فانتشر الخبر في المسجد بإسلام رضوان. وعلم الجميع أنني أعمل معه وصار ما يكسبه رضوان من زوار المسجد الأجانب في تغيير العملة أضعاف ما كسبه في حياته. وبدأ كثير ممن معهم مدخرات يعطوها لي عشان أشغله الألف بتسعين جنيهًا في الشهر، فقاللي محمد: إنت هتستعبط أنا كنت عاملها لك خدمة. فقلت له: والله كان قلبي حاسس عمومًا هاقولهم الأرباح ليست محددة ممكن تقل وممكن تزيد. فقال: كده آه، ووافقوا كلهم ولكننا كنا نرفض أموالًا كثيرة لأن طبيعة العملة لا تحتاج لرأس مال فهي تمول نفسها، فمعظمها تأخذ من البائع وتعطي المشتري ثم تدفع للبائع من المشتري وأنت تربح من الهواء، وسيأتي الوقت للتفصيل فمن هنا ابتدأت قصة السعد والريان، رغم أن الريان لم يظهر حتى الآن ولكن كان القدر له بالمرصاد ليأتي به في أسرع وقت.



محطة (7)

سامحوني فقد قامت في عقلي ثورة أعنف من ثورة يونيو وتزاحمت الأحداث وتصارعت فاستجبت لها بغير إرادتي، رغم أنني كنت أود أن أحافظ على ترتيب الأحداث ولكن أعترف أنها كانت أقوى مما أردت، ولكنني على يقين أنني سأعود وأحلق معكم في كل الأحداث وسأحاول ربطها ببعض دون زيادة حرف واحد لم يحدث.

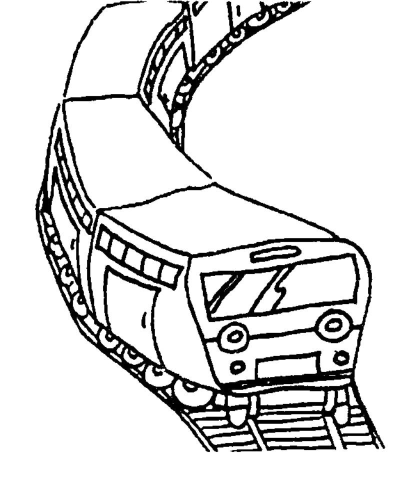
بدأت أشعر أني رقم مهم في حياة محمد وبدأ يعتمد عليَّ في الوقوف مكانه في المحل ويذهب هو لعقد صفقات مع المستوردين، ومن يعتمد في تجارته أو صناعاته على تدبير الدولار، وذاع صيتي في وسط عيلتنا وأصدقاء العيلة وفي مسجد أنس بن مالك والمترددين عليه، وكان وجود شاب ملتحٍ بعمامة في محل رضوان بمثابة حدث تاريخي في أوساط تجار العملة والجهات الأمنية وطبعًا ده عرفته بعدين، لكن الحقيقة التي لاينكرها دارس للتاريخ أنني والريان أول من اقتحم سوق المال ممن يُحسب على التيار الديني، وشعر محمد أن وجودي معه خلق سوقًا جديدًا أمامه فأصبحت أنا عنده مثل مقام السيد البدوي كل من يعرف بوجودي هناك يُفضل التعامل مع رضوان ظنا منهم أني شريكه، وأن التعامل معنا يُرضي الله وطبعًا ده لم أكن أستنبطه وقتها، أي أنني لم أفهم سر انجذابهم وكأن تجارة العملة حرام في أي مكان وحلال عند رضوان.

وحتى ذلك الوقت لم أكن أعلم نهائيًا أن تجارة العملة ممنوعة قانونًا، فقد كان محمد يعمل بكل أريحية وأصبح محل رضوان مزارًا لرواد «أنس بن مالك» وكأنه من الأماكن المقدَّسة التي يستحب زيارتها.

وكنت في يوم أقف في المحل لوحدي وكان محمد في فرع أحد البنوك المواجه لكافتيريا رضوان وكان سايب رقم مدير الفرع في الدفتر وأنا كنت واقف أشتري دولارات من الزبائن، وكانت الطلبات على الدولار ازدادت جدًّا عند محمد بعد عملي معه، وشركات كثيرة بدأت تتجه للشراء منه. وبعد ذلك علمت أنهم من رواد «أنس بن مالك»، وشعر محمد فعلا بحجم الطلب يزداد حتى أصبح إيراد المحل من الدولارات لا يكفي المطلوب منه، فكان عليه أن يجد موردًا آخر لشراء الدولار علاوة على إيرادات زبائن المحل.

المهم كنت أقف في المحل ودخل شاب بلحية كثيفة جدًّا وشعر طويل ولابس طاقية بيضاء وواضح أنه شيخ بجد مش كفتة زيي يعني مدي الشغل حقه.. فقال: السلام عليكم، والسلام عليكم دي هي كلمة السر عند أومات دقون زي سواقين النقل كده، لما يقابل سيارة نقل في الطريق يقوم يضغط على النور فينور بالرعاش عشان يعمل تحية لزميله أو يديله أربعين كلاكس، فقلت له: وعليكم السلام ورحمة الله. فقال لي: أتعملون في العملة يا أخي؟ فقلت: يا فتاح يا عليم ده هيديها فصحَى وأنا زي الطور في الفصحى لأني بتكلم العامية بالعافية. فقلت له: أيوه يا أخي بنتاجر في العملة. فقال: أتشترون دينارًا كويتيًّا؟ فقلت له: نعم يا أخي بنشتري دينار كويتى. فقال: وبكم تشترونه؟ فقلت له: السعر اللي محمد كان محدده. فقاللي أأنت متأكد يا أخي من السعر أم هناك خطأ؟ فقلت له: الله يسترك كلمني عربي. فقال وهل أتكلم معك لغة الفرنجة يا شيخ؟ فضحكت وقلت له: أنا متأكد من السعر. فقال أأنت صاحب المحل؟ فقلت له: أنا باشتغل معاه وهو صاحبي. فقاللي: هل لك أن تتصل به وتتأكد؟ فقلت له: يا عم إنت هتبرجلني ليه عالصبح واتصلت بمحمد وقلت له في واحد عايز يبيع أبو عمة (يعنى دينار كويتي اسمه كده في سوق العملة، والريال السعودى سبحة، والإسترلينى الأحمر، والفرنساوي أبوريحة، وهكذا)، فقال لي محمد نفس السعر اللي قلته للشاب الملتحي فقلت له: زي ماقلتلك يا شيخ، فهلل وكبر وسجد على الأرض وقام حضني وقاللي:

أخوك في الله أحمد توفيق عبد الفتاح، تاجر عملة، فقلت له: تاجر عملة إزاي يعني كنت بتمتحنا ولا إيه الحكاية، فقال لي: أُشهد الله ثم أشهدك أخي الكريم أنني من هذه اللحظة لن أتاجر إلا في العملة. فسألته طب ليه؟ فقاللي: أنا معي ألفين أبو عمة فضحكت بصوت عالٍ وقلت له: إنت عارف اسمه. فقاللي: لا أنا سمعتك بتكلم الأخ وبتقوله، وأبوعمة اللي معايا واحد قريبي أعطاهم لي وقاللي لو بعتهم بكذا خذ الزيادة لك وأنا حسبت الزيادة لقيتها حوالي ألفين جنيه وأنا دخلي الشهري أقل من مائة جنيه، يعني دخل أكتر من سنة، فأقسمت في نفسي ألا أعمل إلا في العملة ومعاكم يا أخي وبدأ لسانه يتعدل وحسيت من خفة دمه إن محمد هيشغله معانا، خاصة أنه واضح أنه فقيه في الدين وإحنا بصراحة كان ينقصنا واحد فقيه عشان تكمل.. وكان هو أحمد توفيق عبدالفتاح «الريان» لاحقًا.



محطة (8)

أنا آسف جدًّا حاولت السيطرة على ترتيب الأحداث فلم أستطع وكادت توقفني عن الكتابة فقررت أن أكتب الأحداث كما يتذكرها عقلي وأترك الترتيب لكم......

لم يبذل أحمد جهداً في السيطرة على كل كياني وشعرت أني أعرفه من زمان، وبدأ يحكي لي محطات حياته بسرعة وكيف بدأ الكفاح وهو طالب في ثانوي وأعتقد أنكم شاهدتم معظم هذه المحطات في المسلسل فلا داعى للإعادة والإطالة، ولكن ما لم يظهر في المسلسل آخر محطتين في حياته، فكانت المحطة اللي قبل الأخيرة هي بيع الأواني المنزلية في أحد الأسواق ولم يستمر فيها كثيرًا، فاتجه لجمع البيض من المزارع وبيعه بالتجزئة لمحلات البقالة، وجمع بعض المال من أقاربه واشترى سيارة بونى صغيرة بالتقسيط. وكان العمل عليها شاقًا جدًّا وقسط السيارة يأخذ معظم الأرباح، ووجدت أن قصته لا تختلف كثيرًا عن قصتي إلا أنه تزوج أولا ثم بدأ يكون نفسه لكن أنا باكون نفسي الأول. وقاللي إنه أنجب بنتًا عمرها ثلاث سنوات اسمها جويرية. وجاء محمد ولم يأخذ في يد أحمد غلوة، وشعر محمد أن الكافتيريا تحولت لدار الندوة بتاعة قريش، وطلب منه أحمد أن يعمل معنا في تجارة العملة وبالفعل في خلال ساعة كان أحمد ثالث ثلاثة واكتشفت أنه من مريدي الشيخ إبراهيم، ولكن توجهاته سلفية، وطبعًا أنا ومحمد كنا زي الخواجات وهو بيقول إن توجهاته سلفية، وعندما اختلى بي محمد سألني هو إيه اللي قال عليه ده؟ فقلت: تقصد إيه؟ فقاللي: الكلمة اللي قالها دي. فقلت له: أقسم بالله زيي

زيك أنا هاسأل الشيخ إبراهيم وأقولك، والحمد لله إن محمد ماحصلوش قلق لأنه لو فهم معناها كان طردني أنا وهو.

والأغرب من ذلك أنني كنت أتكلم مع محمد من شهرين واسترسل في الكلام معي وكان يلومني في أشياء بسبب السياسة، وقال لي بالحرف الواحد لا تنسَ يا شيخ أشرف أننا نسير على نهج السلف الصالح، وأقسم بالله رميت التليفون من إيدي ونمت على الأرض من الضحك، حتى إن أم صفية نزلت من فوق تشوف في إيه، وجلست أضحك بهيستريا وهو على التليفون بيقول ألو ألو، فمسكت السماعة وأنا فطسان من الضحك فضحك هو كمان وقال بتضحك ليه بس بالله عليك، تقوللي بصراحة. فقلت له: هو النبي محمد سعودي، فقاللي يعني إيه؟ فقلت له: مش فاكر الكلمة دي يا محمد؟ فضحك وبعنف وقاللي: آه افتكرت أنت هتذلنى يعني. فقلت له: فاكر إنت قلتها إمتى؟ فقاللي: آه، وانت بتعلمني الوضوء. فقلت له: ورب الكعبة أنا افتكرت أحمد لما قال أنا توجهاتي سلفية وانت سألتني هو يعني إيه البتاعة اللي قالها دي.

المهم بدأ أحمد يعمل معنا وطبعًا بعد كده عرفت أن محمد رضوان رغم طهارة قلبه وشهامته التي لن أنساها ما حييت إلا أن حسه التجاري كان طاغيًا عليه، فقد علم أن وجودى أنا وأحمد معه سيفتح له أبوابًا لم تكن بحسبانه وهذا لا يعيبه فأنا أحترم الرجل الذكي، ولكن أنا لم أشهد لرجل في حياتي مثل محمد رضوان ففضله عليّا مستحيل أنساه أبدًا مهما ارتفع مقامي في سوق المال، فلن أنسى أبدًا أنه أستاذي ومعلمي وصاحب الأيادي البيضاء عليّ وعلى غيري.

وبدأ محمد يستخدمني أنا وأحمد في إيجاد موارد جديدة للعملة، ولم يخن محمدًا ذكاؤه حين قرر في لحظة ضم أحمد لنا، فبعد أن شرح لنا محمد منابع ومصادر العملة اقترح أحمد إن إحنا نستخدم السيارة بتاعته ونلف أنا وهو على التجار الصغار في

الأرياف ونجمع منهم العملة ونجيبها لمحمد، وسأله أحمد سؤالًا شعر محمد منه ما شعر به الحاج بكر حين شعر أني من المستحيل أن أكون تابعًا لأحد، وأنني سوف أتمرد وأستقل بنفسي، وساعتها قرأت في وجه محمد نفس الإحساس فقد شعر أنه أمام عقليات مستحيل السيطرة عليها ولم يُخف إعجابه بسؤال أحمد، فقد سأله أحمد طب افرض يا محمد إن الأمر انقلب، فقال له: يعني إيه؟ فقاله: يعني لو أصبح الوارد أكثر من المطلوب وكان سؤالًا كالصاعقة على محمد، فقد شعر أنه أمام تاجر عملة من ألف سنة وليس من ساعة فقط فقال له محمد: أكيد هنعمل اللي بنعمله دلوقتي وطبعًا إجابة رجل ذكي على سؤال رجل ذكي، والحمد لله ولا فخر وبكل تواضع قفزت إلى عقلي إجابة كل الأسئلة وبدأ عقلي يعمل بكامل طاقاته.

وتذكرت الحاج بكر وفكرت كيف أستفيد بكبار رجال الأعمال الذين يترددون على مسجد الشيخ إبراهيم،واسمحوا لي أعود إلى الوراء قليلا حتى أربط المواضيع ببعضها، فعندما خرجت مع الجماعة وتعرفت على الشيخ إبراهيم بعد عودتي وحدث ما حدث مع أبي وبعد أن رأيت أغنياء كثيرين مثل الحاج بكر يترددون على المسجد خاصة يوم الخميس والجمعة، وكنت أنا أصبحت حارس غرفة الشيخ إبراهيم الوحيد يوم الخميس والجمعة وأنا الذي أُدخل عليه الناس وإذا أراد شيئًا فأنا الذي أقضيه له، وتعرفت على الدكتور مصطفى محمود عنده فجاء لزيارته وأنا الذي استقبلته وأدخلته من باب المسجد الخلفي، وكذلك الشيخ صلاح أبو إسماعيل تعرفت عليه أثناء زيارته للشيخ إبراهيم، ورأيت عنده أغنياء مصر ومعظمهم يريدون التبرع بأي مال للشيخ وكان يرفض تماماً ويقول لهم: لا علاقة لي بالمال ولاحاجة لي به، وهذا أثر في نفسي كثيراً وجعلني أرتبط به دينيًا بسبب زهده في الدنيا. المهم أصبحت مرتبطًا بالشيخ جدًّا وأصبح معلومًا عند الجميع أن أشرف سعد هو خادم الشيخ وهو أقرب الناس له، وكان الشيخ يبلغني دائماً عن مشاهير سيأتون لمقابلته بعد الصلاة ويطلب مني أن أجهز إكرامًا لهم وعندما

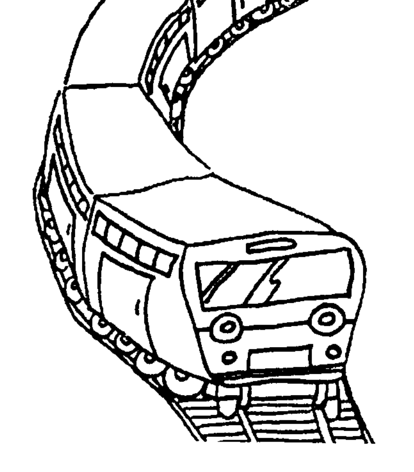
حدث الحوار بيني وبين أحمد ومحمد قفز إلى ذهني أنني مضطر أستخدم المسجد شوية في التجارة وقعدت أقول سامحني يا رب سامحني يا رب.

بس لما حكيت للشيخ إبراهيم اللي حصل وقلت له على أحمد توفيق (الريان) فقاللي: وإيه دخل المسجد دي تجارة وليس هناك ما يمنع أن تتاجر مع من عرفتهم بالمسجد، وخد دي كمان فقلت له إيه دي يا شيخ، فقاللي: تسمع عن مصانع الشريف؟ فقلت له: لا، فقاللي: اسأل محمد عليها هو عارفها، وتروح هناك تقابل الحاج أحمد عبيد وقوله أنا من طرف إبراهيم عزت، ورحت لمحمد وسألته تعرف مصانع الشريف؟ فاحمر وجهه جدًّا وقاللي: مالها، قلت له: الشيخ إبراهيم قاللي روح لصاحبها وقوله أنا من طرف إبراهيم وهو هيساعدكم، فأذكر والله أعلم أن محمد حصله شبه إغماء.

طبعًا وأكيد تزوجت أم بلال في شقة أمي الصغيرة وكانت بالنسبة لي وقتها قصرًا يحسدنى من في سني عليه ويعتبرون إني محظوظ، خاصة أن الجهاز كان من دمياط لأني دفعت مهر 500 جنيه. وطبعًا هدى اتهزأت من أمها لأن أخواتها كانوا واخدين مهر أكتر بكتير، وقالت لها إنتى اللي اخترتى ماترجعيش تعيطي وتقوللي لله يا محسنين، وطبعًا حماتي لم تكن تعلم الأحداث السريعة التي طرأت على حياتي ولكن ما أذكره أن يوم الفرح جه الحاج عبد الكريم حبيبي من السعودية وقمت الصبح يوم الدخلة سبت هدى ورحت له، وكان طبعًا يوم عيد عندي وقلت له: ليه مابعتليش زي كل مرة وقلتلي إنك جاي ماكنتش اتجوزت وكنت أجلت الفرح، فضحك فأقسمت له أني لو كنت أعرف كنت سيبت الفرح ورحت له المطار. وحكيت له ما حدث منذ عودتي من باريس وعرفته أني شغال مع رضوان بتاع العملة، وكان معاه ريالات سعودي فأعطاني إياها أغيرها له فقلت له أحسن سعر عشان عيون الحاج ريمو، كما كنت أدلعه، فريمو دلع عبد الكريم، وطبعًا فرح جدًّا وقاللي: أنا كنت ناوى والله أخدك معايا السعودية بس عارف إنك من زمان عايز تشتغل أعمال حرة. وكان جاي مهمة سريعة جلس يومين ومشي، وطبعًا فوجئ بلحيتي والجلابية والعمامة فمات من الضحك، وقاللي: شفت أنا ياما قلت لك صلي. فضحكت وقلت له:

أنا عمري ماشفتك بتصلي، فقالي: هو أنا لازم أصلي قدامك بس والله كان فرحان جدًّا لما شافني. وقالي: أنا راجع كمان شهرين وهاحتاج أستأجر سيارة وطبعًا هاتها بسواق لأنك مش هتبقى فاضي فأقسمت له ماحد يسوقها غيري حتى لو بقيت رئيس دولة.

المهم عندما أخبرت محمد بموضوع شركة الشريف وكأنه لم يصدق فقالي: إنت عارف الشريف ده إيه؟ فقلت له: أول مرة أسمع عنه. فقالي: إنت عارف مديرين البنوك اللي بروح أقابلهم، قلت: ماهم، قالي: دول كلهم بياخدوا العملة عشانه لأنه بيستورد خامات لمصانعه من الخارج. وقالي: ده أقوى من مبارك، فاحمر وجهي أنا وكان هيغمي عليًا. فقلت له: مستحيل يكون الشيخ إبراهيم غلطان بس هو بعتني لواحد هناك اسمه أحمد عبيد. فقالي: خلاص خد أحمد وروحوا قابلوه واتأكدوا، وفعلا رحت أنا وأحمد ودخلنا لأول مرة المقر الإداري لشركة الشريف وبصراحة أنا اتخضيت افتكرت إن إحنا داخلين مجلس الوزراء أو رئاسة الجمهورية وبوابات تفتيش ومن مكتب لمكتب لحد ما وصلنا سكرتارية مكتب الحاج أحمد، وكان بجوار مكتب الحاج عبداللطيف الشريف، والغريبة إن مافيش موظف في الشركة من غير دقن والوحيد اللي كان من غير دقن هو عبد اللطيف الشريف، وطبعًا شفناه بعد كده مش من أول مرة، ولكن وضع الحاج أحمد في الشركة لم يكن يقل قوة عن الشريف نفسه لأن بعد كده اتضح أنه العقل المدبر للشركة. وأول ماعرف إن إحنا من طرف الحاج إبراهيم طلع استقبلنا بنفسه وكان راجل بسيط جدًّا رغم الهالة التي كانت حوله. وكان لابس جلابية بسيطة جدًّا وشبشب بلاستيك من أبو جنيه فافتكرت إنه كان رايح يتوضأ لكن بعد ماعرفناه بسنة كان ده لبسه حتى لما كان بيروح فنادق لحضور اجتماعات، بصراحة أنا اتربيت على إيد ناس نادر وجودهم، فأحمد عبيد كان المفروض يكون هو مرشد الإخوان بدل عمر التلمساني، وماعرفش إيه اللي ماخلهوش مرشد. المهم سألنا أنت تعرفوا الحاج إبراهيم منين، فطبعًا أحمد الريان كلمه باللغة العربية الفصحى ورقعه كام حديث وكام آية فانبهر منه الحاج أحمد. وطبعًا أنا دقني كانت شبرين وشكلي ولا الإمام الشافعي، وكلمة مني أنا وأحمد وكلمة من الحاج أحمد راح مطلع شنطة فيها مليون جنيه وقال خدوا دول.



محطة (9)

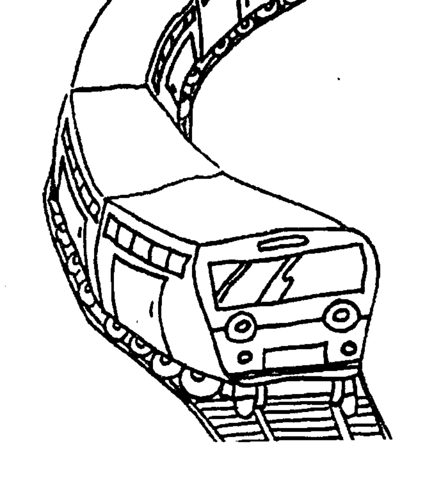
أكيد حصل خلل في عقل رضوان وأصبح على يقين أن أشرف وأحمد سيعملان معه لفترة محدودة ثم يركبان صاروخًا إلى فضاء لا قبل له به، وكان على حق في تفكيره رغم أني أنا شخصيًا وقتها لم يكن لي أي طموحات سوى أني أستطيع أن أفتح بيتي وأحمي أهلي من تقلبات الزمن، وحدث شبه ارتباك عند محمد وقال: ماذا ستفعلون بهذا المال؟ فقلنا: أنت الرئيس وكنت أعني ما قلته وذهبنا بالفلوس إلى الشيخ إبراهيم وقصصنا له ما حدث، ولأول مرة أشعر بالخوف في وجه الشيخ إبراهيم وقال: خلاص نتقابل بعد صلاة الفجر. وكانت شقتي الصغيرة أصبحت هي ملتقانا اليومي بعد صلاة الفجر وفي أوقات الطوارئ، وجلس معنا الشيخ إبراهيم وقال يجب أن تعلموا أنكم الآن في اختبار شديد وأن الدنيا ستفتح لكم ذراعيها وهذا هو أشد ابتلاء من الله، وشعر أنه كان السبب في فتح الدنيا أذرعها وكل ما أذكره أننا أصبحنا شركاء في كل شيء يخص تجارة العملة.

وقال لنا الشيخ إبراهيم يجب أن يحدد كل منا ما يريده من هذه الشراكة، فالجري وراء الدنيا لمجرد ربح المال هو الهلاك بعينه، وكان أحمد أكثرنا فهماً لكلام الشيخ وبدأ يقنع الشيخ أن المال الصالح في يد الرجل الصالح هو نعمة من الله والشيخ يبتسم، وكأنه يرى المستقبل ولسان حاله يقول: هذا مارد من المستحيل إيقافه، أما أنا فقلت له: وضح يا شيخ ماذا تقصد؟ فقال: أنا عندما تصل أرباحي لعشرين ألفًا سأتوقف ففهمت ما يقصد فقلت وأنا سأتوقف بعد أول مليون، ومحمد لم يقرر لأنه كان بالفعل

قفز هذه الحدود ولكنه قال أنا لا أريد أكثر مما أنا فيه، أما أحمد فقال: لاحرج على فضل الله، ولما ربنا يحب يوقفني فله ما أراد، أما أنا فلن أتوقف حتى لو أصبح عندي مال قارون، فضحك الشيخ إبراهيم وكان حين يبتسم كأن الشمس تشرق، ثم قال: الآن يجب أن تفكروا كيف ستستثمرون أموال الرجل، وسألنا لماذا أعطاكم هذا المبلغ؟ فأخبرناه أننا كنا نشرح له طبيعة عملنا وأننا نريد منه أن يفتح لنا أبوابًا لشراء الدولار لأن عندنا طلبات كثيرة للدولار فقال لنا إن شركات الشريف تحتاج إلى دولار كثير وإنه سيرسلنا إلى تجار يعرفهم ولكن هو تنبأ لنا أن نبحث في الاتجاهين وقال ما قاله الريان في بداية الأمر، ثم أعطانا هذا المبلغ وقال: استثمروه لي معكم والأرباح مناصفة، أنتم تأخذون النصف مقابل مجهودكم وأنا النصف مقابل رأس المال، وبصراحة أنا عن نفسي ساعة ماشفت الفلوس مافكرتش هنعمل بيها إيه، بس قعدت أفكر إن إحنا في حلم ولن أصدق إلا إذا خرجنا بالمال وبالفعل خرجنا بالفلوس وأحمد كان هيقع على السلم من الفرحة، بل وقع فعلا وهو يقول لي: شعشعت يا شيخ أشرف، ولما ركبنا العربية قعد يتنطط على كرسي العربية ويقولي: باقولك إيه ياض يا أشرف إحنا لازم نغير العربية اللي عاملة زي الحنطور دي وبدأ لسانه يقلب على بولاق الدكرور، ونسي الفصحى وطبعًا أنا كان حالي حال، المهم أنا قلت للشيخ إبراهيم هو مين الشريف ده أنا شفت مكتبه افتكرت إنه الرئيس مبارك؟ فابتسم الشيخ إبراهيم وقاللي: بكرة نصلي الفجر وأنا هاروح معاكم نشكر الحاج أحمد عبيد ونسلم على عبد اللطيف. وبالفعل ذهبنا جميعًا وأول ما نزل الشيخ إبراهيم من السيارة ماشفتوش فقد التف حوله كل اللي كانوا بيفتشونا إمبارح وكأن نادى منادٍ أن إبراهيم عزت هنا، ووجدت أكثر من 300 واحد يأتون الرجل تلو الآخر ولقيت الحاج أحمد نازل على السلم جرى والمصيبة السودة لقيت راجل تخين شوية بس شكله باشا زي بتوع «رد قلبي»، والناس بتوسع له الطريق ولقيته جاي يجرى يحتضن الشيخ ورغم ذهولي من الموقف إلا أنني كنت مركز على وجه محمد رضوان، ومش عارف ليه كنت مركز عليه هو بالذات،

المهم عرفت إن الباشا ده هو الشريف نفسه، وطبعًا أحمد الريان قرأ المشهد عشر سنين قدام. وطبعًا كلب العمدة عمدة، وأنا الحارس الخصوصي وخادم الشيخ فشعرت أني والله العظيم خادم ملك من الملوك، وليس رجلًا عاديًّا فكنت أقترب من الشيخ عشان يحترموني معاه ويعرفون أني أنا اللي تبعه مش الريان ولا رضوان، وكان ناقص شوية وأقول له قولهم يا شيخ إن أنا اللي تبعك.

ودخلنا مكتب الحاج وهو يرحب بالشيخ وشربنا أفخر أنواع الشراب وحاجات أول مرة أشوفها بس كلها حلال طبعًا.



محطة (10)

ما زلت أصر على أن أذكركم في كل محطة أنني لا أتقيد بترتيب الأحداث وأقر وأعترف بكل شجاعة أنني ولأول مرة أشعر بتأثير العمر على الذاكرة، فقد كنت من قبل أستطيع التحكم في ترتيب الأحداث، أما الآن فالأحداث هي التي تتحكم في ذاكرتي وتقتحمها وتجبرها على تذكرها حسب قوة الحدث.

وكل ما أذكره الآن أنني بعد مقابلة الحاج أحمد عبيد وإعطائه لنا المليون جنيه وبعد زيارة الشيخ إبراهيم لمصانع الشريف وما رأيته من دهشة على وجه محمد، فأنا مستعد أن أعترف أمامكم الآن أن الشيطان وقتها تسلل إلى نفسي وألقى في روعي أنني أصبحت صاحب فضل على محمد، وشعرت بزهو ولكن أيضًا أستطيع وبكل فخر أن أخبركم أنني كنت أُلجم نفسي من تسلل الكبر والعجب إليها خاصة أمام أربع أو خمس أشخاص أولهم الحاج عبدالكريم بغدادي صاحب الأيادي البيضاء، ومحمد رضوان الذي حتى الآن عندما أتحدث معه لا أنسى أنه صاحب فضل عليًا، وحتى وأنا في قمة الثراء والشهرة كان له وضع خاص، والحاج بكر الذي أذكر تمامًا أنه جاء لزيارتي في مكتبي وأنا في قمة الشهرة وكان مكتبي في قصر البدراوي اللي هو حزب الوفد الآن، وله معي قصة مستحيل تجاهلها ولكن أذكر أن مدير المكتب أخبرني أن الحاج بكر يدخل بسيارته من باب القصر فهممت مسرعًا وفتحت له باب السيارة بنفسي وقلت له: لا تحرمني أن أقوم بركنها بنفسي فبكى أمام الناس وانحنيت أنا لأقبل يده، ولذلك أستطيع وبكل فخر أن أتباهى بنفسي أن الكبر والعجب لم يغلبني يومًا حتى إنني أتذكر يومًا وأنا

وأحمد الريان في شقته في الطالبية وكانت عبارة عن غرفة وحمام وكنا نجلس في الغرفة وماعرفش كانت أم جويرية فين، ولكن أذكر أن أحمد يومها قاللي: بقولك إيه ياض ياشرف أنا حاسس إن إحنا هنكسب كل واحد خمسة آلاف جنيه في الشهر، وكان وقتها كل واحد بيكسب حوالي ألفين في الشهر، فقلت له: بلاش ياحمد الدفعة الخيالية دي بدل ما نقع تكسر رقبتنا زي الست بتاعة البيض اللي قعدت تتخيل إن البيض فقس وطلع كتاكيت وكبروا وباضوا وفقسوا واتخيلت أنها بقت مليونيرة من البيض وفجأة انكسر البيض وعملته عجة، فقاللي: إنت بتاع تبليغ، درويش، مالكش دعوة بالعلماء السلفيين اللي زيي، وراح ناطط وضربني على راسي وهو بيتشقلب (شقلباظ) من الفرحة وكانت فرحته بالنسبة لي هي قمة سعادتي، فكنت أشعر بها وكان يقوللي وهو بيتشقلب: بكرة هتشوف اللي بيتشلقب قدامك ده هيعمل إيه.

المهم أتذكر تمامًا إن إحنا استمرينا مع محمد وكان لي ابن خالي اللي كان بيربطني في الكرسي وأنا صغير وأنا أشتمه وأقوله وحياة أمك فكني وأنا أوريك فيفكني أروح شاتمه يروح رابطني تاني. فأذكر إن أنا وأحمد قررنا شراء سيارة جديدة لكل واحد. فقلت له: أنا ابن خالي في سويسرا وكان هو ضابط بحري تجاري واستقر بسويسرا وكنت هاتجنن عشان يعرف التطور الجديد في حياتي عشان أغيظه، يمكن ناري تبرد من الضرب اللي ضربهولي، واتصلت به وقلت له: يا أحمد عايزين عربيتين (بيجو) عالزيرو فقاللي: نعم يا روح أمك. فقلت له: والله مابهزر قولي رقم حسابك وهاحولك تمنهم وكانت السيارة تمنها وقتها 8000 جنيه مصري، والدولار لم يتجاوز الـ 90 قرشًا، وفعلا حولتله الفلوس واشترى سيارتين (بيجو 504) (مود 78) عالزيرو وشحنهم على مركب. وأذكر وقتها أن كنا بدأنا أنا وأحمد نسافر بورسعيد نشتري دولار من هناك من عند راجل اسمه مصطفى خليل رحمة الله عليه، كان من كبار تجار العملة في مصر، واتعلق بيّا أنا وأحمد جدًّا فكان أول مرة في حياته يشوف اتنين بدقون بيتاجروا في العملة. وكان الراجل ده فيه صفة غريبة جدًّا لم أرها في أحد قبله ولا بعده، فكان عندما يمسك رزمة دولارات

وفيها ورقة مزورة كان يروح حادفها من إيده، وسألته: إنت إزاي بتعرفها من غير ما تفحص الرزمة؟ فيقولي: من ريحتها يا عم الشيخ.

وسريعًا ما اكتسبنا ثقته وبدأ يفتح لنا أبوابًا كثيرة لتجميع الدولار وأعطانا أسماء تجار الجملة في جميع المحافظات. وقال لو رحتوا لهم هتقدروا تاخدوا منهم أرخص لأنكم هتوفروا عليهم مشوار للقاهرة ومخاطرة الطريق. وكانت نصيحته كأنها خريطة لعالم جديد، وكأن تجارة العملة عند رضوان لا تمت لعالم تجارة العملة بصلة. وطبعًا كان معايا مخ مليان كهربا وعايز مكان يمتص الكهرباء اللي فيه وهو مخ أحمد الريان، فبدأت أشعر بسخونة، بل بلهيب يخرج من مخه وهو يخطط لنا ماذا سنفعل بعد الآن.

فقلت: ياحمد براحة شوية، فقاللي: إطلع عالمنصورة وبطل غلبة وكنت أنا دايمًا اللي باسوق العربية، ولما أتعب هو يسوق لأني كنت باخاف من سواقته لأنه كان بيسوق كإن مافيش سيارات تانية على الطريق. وكنا أخدنا من الحاج مصطفى خليل اسم أكبر تاجر عملة في محافظة الدقهلية واسمه محمد ودنه، وده كمان كان حكاية وأول ماشفنا قال هو إنتو الشيوخ اللي بتشتغلوا في العملة أنا سمعت إن إيران بتمولكم.

طبعًا كلمة ودنو اخترقت أذني واعتقدت أنه يقصد أني أسكن في شارع إيران. وقبل أن أقفز إلى الأحداث أريد إضافة معلومة فاسم محمد ودنه أو ودنو كان بسبب أن إحدى أذنيه مقطوعة، وكل أهالي محافظة الدقهلية يعرفونه بلا شك لأنه من كبار التجار حاليًّا، المهم إني حاولت أفهم ليه قال إن إيران بتمولنا، فخبطني أحمد في رجلي يعني اسكت ولم أفهم ساعتها، فأقسم بالله لم أكن أعرف وقتها أين تقع إيران، وما هي إيران ولم تكن الثورة الإيرانية قد اندلعت لأنني لأول مرة أسمع عنها عندما قامت الثورة فما أجمل أن أتعايش خارج نطاق مستنقع السياسة وقذارتها، ويكفي مستنقع المال الذي لم أكن أدري أنه أقذر من مستنقع السياسة، وأعتقد أن أحمد فهم ما قصد ودنو، لأن وإحنا راجعين في السيارة قاللي: إنت عارف أنا خبطتك ليه؟ فقلت: له لا طبعا، فقاللي: عشان مانريحوش ونسيبه يضرب أخماس في أسداس، فقلت له: هي إيران بتتاجر في

العملة؟ وكان هو اللي سايق فضحك وكان هيلبس في عمود نور. وقالي: يا حمار دي دولة إسلامية وهو فاكر إن إحنا مادام بدقون يبقى تبع إيران، وبصراحة مافهمتش وما حبيتش أفهم بس عجبتني فكرة إن إحنا نسيبه يضرب أخماس في أسداس. والغريبة إن ودنو من أول يوم وثق فينا جدًّا وأعطانا كل ما لديه من دولار دون أن يقبض الثمن وبدأت الدنيا تفتح لنا أبوابها دون أن نطرقها. وكانت هناك نقطة تحول خطيرة في حياتنا وكانت نقطة سبب استقلالنا عن محمد رضوان، وبدء تأسيس شراكة بيني وبين الريان وهي تعرفنا على سامي على حسن ملك العملة وقتها في الشرق الأوسط، وقد أرسلنا إليه الحاج أحمد عبيد وسامي يكبرني في السن بعام واحد أو اتنين إن لم تخني الذاكرة، وكان يعمل مدرس ألعاب في مدرسة بشارع الهرم. وكان أخوه محمد على حسن من قيادات الإخوان المسلمين الذين فروا من عبد الناصر. وكان سامي عبارة عن كتلة من الأخلاق الحميدة تتحرك على الأرض، ولم يكن له أي توجه فكري، وكل ما حدث أن أخاه محمد كان يعيش بالكويت وكان يجمع مدخرات المصريين ويرسلها إلى أهاليهم في مصر، فكان ياخد منهم العملة الأجنبية ويعطيهم مقابلها جنيه مصري في مصر، وإن لم أكن مخطئًا اضطر محمد على حسن أن يفتح حسابًا في بنك إسكندرية الكويت باسم شقيقه سامي، الذي قدم استقالته من التدريس ليتفرغ للعمل مع أخيه. وكانت تحويلات شقيق سامي من الكويت بالملايين وكلها تصب في حساب سامي وطبعًا سامي أصبح ذا خبرة كبيرة في بيع العملة التي كانت تأتيه من الكويت، وأنا لم ألتق بشقيق سامي القيادي الإخواني إلا مرة واحدة في بيت سامي وكانت أثناء إجازة له من الكويت. المهم في هذا الوقت كان سامي إمبراطور العملة وإن لم أكن مخطئًا إنه نفسه وقتها استفاد من دورة رأس المال في حسابه، وأصبحت البنوك تلهث وراءه، وأعتقد أنه وقتها كان قد استقل عن أخيه لأنه أصبح المصب الأكبر لكبار تجار العملة وأيضًا المصدر الأكبر لمن يريد أن يحصل على كميات ضخمة من الدولار.

وذهبنا إليه وكانت لحيتانا ومظهرنا الديني هما السيف بتاعنا مع توصية الحاج أحمد عبيد. ولكن اللحية كانت الواسطة الأقوى فقد اندهش سامي كما اندهش غيره عندما رآنا

وتغيرت كل قوانين اللعبة بعد معرفتنا بسامي، فقد أصبحنا أنا وأحمد أهم اتنين في حياته، فأصبحت إمكانياته كلها تحت تصرفنا وهذه المرة كنت أنا الأقرب لسامي. وكعادتي في القفز في تواريخ الأحداث أذكر أن سامي كان المورد الرئيسي للدولار لوكيل مرسيدس في مصر. وأذكر أن وكيل مرسيدس أرسل له 12 سيارة أحدث موديل لم تكن نزلت مصر من قبل. وكان في أحد الأيام بعد أن أصبحت مقربًا منه جدًا يركب إحدى هذه السيارات ووجدني أتفرج عليها زي اللي أول مرة يشوف سيارة وكانت لسه السيارة البيجو ماوصلتش من سويسرا أو وصلت والله لا أذكر، ولكن أذكر أن سامي قاللي: عاجباك السيارة فقلت له: هي دي سيارة فضحك وكنا رايحين البنك فنزل منها وقاللي: خد المفتاح وورق العربية في التابلوه اكتب اسمك فيها وروح رخصها، فعملت زي الراجل بتاع حديث الأعمى والأقرع لما قاله الغنم دي كله بتاعتك راح واخدها وماشي.

وأخدت السيارة وقلت ده الحاج بكر نفسه ماشافهاش واللي أفتكره إني رحت البيت وكان بالليل وركنت السيارة على الرصيف وكنت متعود أروح يوميًّا المسجد قبل صلاة الفجر بساعة وأجلس حتى الشروق. وكان الشيخ إبراهيم متعود يجيني البيت يوميًّا بعد الشروق عشان أديله تقرير عن كل ما حدث. وكان والدي موظفًا في وزارة الإسكان والتعمير وكان بيروح الشغل بدري فكنت متعود أقابله نازل وأنا راجع من صلاة الفجر بعد الشروق طبعًا. وكان بينزل بدري عشان يلحق الأتوبيس قبل الزحمة وطبعًا كان حاسس وعارف التغير الذي طرأ على حياتي، ولكن لم يصل به الخيال إلى درجة هذه السيارة، فأنا أجزم وبكل قوة أنه لم يرها ولا في المنام رغم أنه من أسرة ثرية ووالده كان عنده سيارة، وأخوه اللي هو حمايا كان عنده سيارة شيفروليه موديل 46. لكن كل السيارات اللي شافها هو وعيلته ماتجيش كلاكس في السيارة دي ده أنا قلت في نفسي والله الحاج بكر نفسه ماشفهاش.

المهم وأنا داخل العمارة لقيت أبويا خارج فتعمدت أرجع وأقوله تعالى أوصلك فقاللي: توصلني إزاي؟ قلت له: بالعربية. فقاللي: أنهى عربية؟ فقلت: العربية دي. فقاللي: هي فين؟ قلت له: دي دي المرسيدس. فقاللي: إنت رجعت تشتغل سواق؟،

فقلت له: لا يا حاج دي عربيتى. فقاللي: إيه؟ قلت له: والله العظيم عربيتي، وطبعًا هو كان عارف إني بقيت شيخ وباصلي الفجر وبقيت صاحب الشيخ إبراهيم فقاللي: فين المفتاح؟ فقلت له: أهو. راح فاتح العربية وركبها فأنا قلت بيتفرج عليها وبعدين لقيته شغل الموتور ولقيته خد العربية على طول ومشي وسابني.

وقفت أمام البيت وأنا أنظر إلى السيارة المرسيدس وهي تتلاشى من أمام عيني ووجدت الدموع تنهمر من عيني، عندما رأيت الفرحة في وجه أبي الذي لم يسألني أي سؤال عن مصدر السيارة، فكان من الطبيعي أن يشك أنني أتاجر في المخدرات أو أي عمل غير مشروع، ولكن هو كان على يقين أنني اتجهت إلى طريق الله فعلا وكان يعلم علاقتي بالشيخ إبراهيم فلم يساوره أي شك أنني قد أكون أمارس أي عمل يغضب الله، أما أنا فقد كنت في غاية السعادة المخلوطة بالخوف والقلق فقد كنت دائمًا أشعر أن الصعود السريع والطموح اللامتناهي قد يؤدي إلى نهاية غير سعيدة.

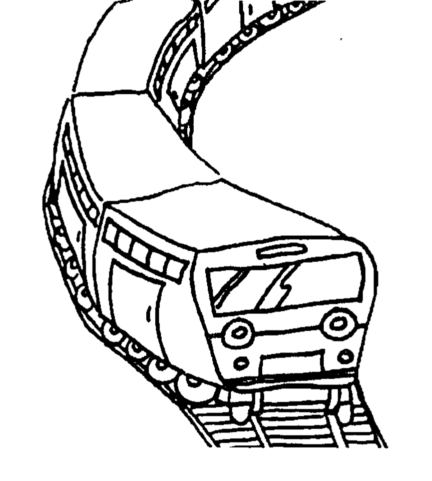
وعلى أية حال فقد قررت ساعتها أنني سوف أشتري لأبي سيارة عندما يكون رأس مالي يسمح، وطبعًا تخيلت المنظر في وزارة الإسكان عندما يدخل أبي بالسيارة فربما هو الذي يُقبض عليه بتهمة سرقة سيارة أو يشكو أنه خد رشوة، ولكنه طبيعة عمله لم يكن بها رشاوى، لأنه موظف في العلاقات العامة وطبعًا أبي كان حريصًا إن حسب الله الكفراوي نفسه يشوفه. وطبعًا سيح في الوزارة كلها إن ابنه أشرف اشترى السيارة المرسيدس دي اللي ماحدش راكبها ولا وزير الإسكان نفسه.

وأذكر هنا موقفًا لن أنساه للوزير الكفراوي ما حييت. فطبعًا عندما ذاعت شهرتي وأصبحت معروفًا في مصر كانت كل وزارة الإسكان والتعمير تعلم أن أبويا موظف فيها، وطبعًا أنا كان حلمي أن أقابل الرئيس مبارك وتحقق الحلم وقابلته في المعرض الدولى. وكان لقاء تاريخيًا، وكان الرئيس يتكلم معي وحوله جميع الوزراء بمن فيهم الكفراوي وسلم عليًا الوزير الكفراوي أمام الرئيس وقاللي: سلم على الوالد، فسأله الرئيس مبارك: إنت تعرفه يا كفراوي؟ فقال الوزير: أيوه يا فندم أعرفه فوالده زميلي في الوزارة. وكان والدي موظفًا صغيرًا جدًا ولم يرَ الوزير في حياته، ولكن تعجبت من

اختيار اللفظ وحرص الوزير على ألا يجرحني رغم أني كنت أفتخر جدًّا بوالدي وكنت أقول في أي مكان إنه موظف في وزارة الإسكان. ولكن تعلمت من الوزير الكفراوي أشياء كثيرة من هذا اللفظ، وكم كان مهذبًا وشجاعًا فلقد كنت أعرف نصف الوزراء اللي واقفين ولكن لم يجرؤ أحد أن يصافحني أمام الرئيس حتى لا يتهموه أنه مرتش.

وكان زوج خالتي وقتها مدير أمن القاهرة اللواء ممدوح برعي وكان الرئيس يعرفه شخصيًّا، ولما شاف الرئيس بيكلمني وواقف يضحك تيقن أنه هيبقى وزير داخلية وماعرفش إنه هيطلع معاش بسببي.

المهم طبعًا السيارة أصبحت حديث شارع إيران والشوارع المحيطة. وكانت العمارة اللي بعد عمارتنا مباشرة عمارة السبكي الحاج حنفى السبكي الجزار ووالد سيد السبكي لاعب النادي الأهلي وقتها، وأحمد ومحمد السبكي بتوع السينما، وشوقي السبكي الله يرحمه أخوهم الأكبر، وكنت باذاكر مع سيد أحيانًا وإحنا في إعدادى ودايمًا يانا عندهم ياهما عندي، وكان الحاج حنفى يعتبر أغنى واحد في الشارع. وكان عنده سيارة (فيات 132) وطبعًا لما شافوا سيارتي المرسيدس لم يساور شوقي السبكي شك أنني إما أتاجر في المخدرات أو انضممت لعصابة سرقة سيارات، وكان شوقي مش متعلم ولكن كان دمه خفيف بطريقة عجيبة وبعد كده عرف إني بتاجر في العملة وكان بيشتري مني عملة يستورد بيها عجول. وسبحان الله أصبح حى الدقي كله يعرفني وكم أشتاق إلى هذه الأيام التي كان الناس يتهافتون على أي رجل ملتحٍ، ويحترمون ويثقون فيه ثقة عمياء، فكم كنت أشعر بالملك الحقيقي عندما أرى معاملة الناس وثقتها في كل من هو ينتمي إلى الدين ولو حتى كان كداب ونصاب. فكم كانت الناس مستعدة أن تفعل أي شيء للمتدين وكأنه جوهرة ثمينة وجدوها في سوق لا يبيع إلا المزيف، وساعتها شعرت حجم تعطش الناس للدين وليس للدنيا، وكم أشعر بحزن كلما تذكرت هذه الأيام وكيف باع المتدينون الملك الحقيقي بعبودية السلطة. على أية حال لا أريد أن أخرج إلى مستنقع السياسة الآن، فأنا متأكد أنني لا محالة سأضطر إلى الدخول فيه ولكن ليس الآن على الأقل.



محطة (11)

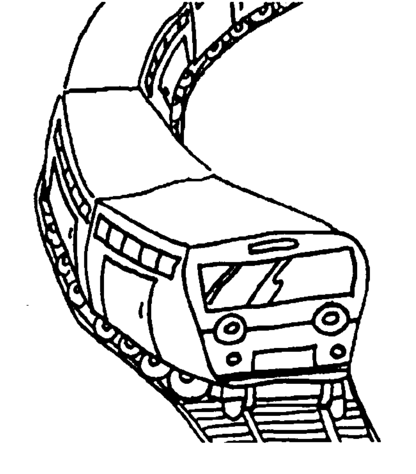
وتأكيدًا لأنني لن أتقيد بتسلسل الأحداث لكن قفزتْ وبقوة إلى مركز الحدث في عقلي ذكرياتي مع قصر البدراوي ولا تريد أن تنتظر ترتيبها في الأحداث، ووجدتها تهددني إن لم أكتبها الآن فلن تتركني أركز في كتابة باقي القصة، ولذلك سأستجيب لإلحاحها وأكتبها. فقد كنت التحقت بمدرسة الأورمان الثانوية الخاصة بشارع عبدالرحيم صبري بالدقي نظرًا لأن مجموعي في الثانوية العامة لم يتعد 54 ٪، وهذا نتيجة قصة حب جولييت لأني قضيت السنة كلها في بلكونات ولاد خالتي وصديقي سمير الصغير، لأنها كانت تطل على بيتها وبيت عمتها التي كانت تزورها وتقف في البلكونة هي كمان. وكنت وأنا رايح المدرسة أمشي من بيتنا في شارع إيران إلى المدرسة في شارع عبدالرحيم صبري، وكم كانت جميلة وهادئة شوارع حي الدقي بل شوارع مصر كلها. وكنت أمشي حوالى أربعة كيلو مترات من البيت للمدرسة وكان في طريقي قصر البدراوي عاشور الذي صور فيه فيلم «قصر الشوق» وكان قصرًا يجعل من يراه يقول: فكيف قصور الجنة؟!

وكنت عندما أمر على القصر أجد البواب جالسًا أمامه وكم تمنيت أن أسلم عليه، وفي يوم تجرأت وألقيت عليه السلام فرد السلام وشعرت بفرحة شديدة وتعمدت أن ألقي عليه السلام يوميًا حتى تحدث بيني وبينه صداقة، وكنت أقول له دائمًا إزيك يا باشا، وهي كلمة يقولها المصريون عادة ولايعتبرها أحد سخرية، ولكن كنت أشعر أن

البواب سعيد جدًّا بالكلمة وكان يرد عليَّ ويقوللي أهلا يا بيه، وكنت أنا أفرح جدًّا، وكان لما حد من القرية ييجي عندنا كنت أتعمد أخده ونمر من أمام القصر عشان يسمع البواب وهو بيقوللي يا بك.

وفي يوم دعاني لأشرب شاي فلبيت فورًا ودخلت وعرّفته أني طالب في المدرسة اللي جنبهم ولفت نظري جمال القصر وتمنيت أتفرج عليه فقاللي: ده قصر سيد باشا البدراوي، وحكى لي قصتهم قبل أن يخضعوا للتأميم من عبدالناصر. وطلبت منه أني أدخل القصر أتفرج عليه، فقاللي: دي مستحيل طبعا، وإني ممكن أتسبب في رفده لو رآني أحد وأنا أدخل القصر، ولكن خلاني ألف حوله وأشوف الحديقة وجمالها وكنت دايما أحلم في المنام أنه اقتنع يومًا وخلاني أخش داخل القصر. ومرت السنون وأصبح هذا القصر ملكي والمقر الرئيسي لشركة السعد، والأغرب أنني عندما اشتريته وجدت مكتوبًا عليه من الخارج حرفي الألف والسين بالإنجليزي وكانوا أول حرفين في اسمي وكنت أستخدمهما في كروتي، وأصبحت حياتي كلها في هذا القصر إلى أن تم التحفظ على ممتلكاتي.

والأغرب من ذلك أن جوليت زارتني في هذا القصر وأنا في أوج شهرتي. ولزيارتها قصة أكيد لن أنساها وأخشى أن تلح هي الأخرى أن أكتبها الآن.



محطة (12)

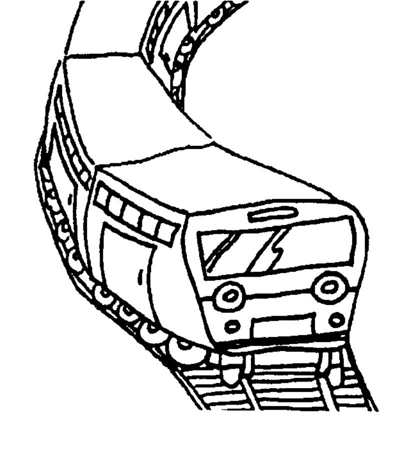
لم يمر شهر إلا وكانت الأموال تتدفق عليّ أنا وأحمد من كل فج عميق لاستثمارها، لدرجة أن تجارة العملة بطرقها البدائية في مصر أصبحت لا تلبي طموحاتنا ولا تستوعب حتى حجم الأموال التي تتدفق علينا، خاصة أن تجارة العملة لا تعتمد على رأس مال فهي تجارة تعتمد على الثقة بين الناس خاصة وأن الدولة كانت قد بدأت تشدد الرقابة على تجار العملة، وعندي الشجاعة أن أعترف أنني لم أكن أعلم أنها تضر بالاقتصاد المصري وقتها، خاصة أنني كنت أتعامل مع أساطين الشيوخ فقد تعاملت مع الشيخ صلاح أبوإسماعيل والد حازم عدة مرات، وكان يفتي أن تجارتها ليس فيها أي شبهة نهائيًّا، ولي مع السيد زكي بدر واقعة خاصة بالشيخ صلاح أبوإسماعيل سآتي عليها.

ولكن الآن أريد الاستطراد في القصّ لأن الكلام كالوحي عندما أشعر أني أريد أن أكتب فيسعفني عقلي، والمقصود أن تجارة العملة كانت لا تحتاج كل رؤوس المال التي تتدفق علينا، فقررنا فتح طرق جديدة للاستثمار وكانت هذه المرة فكرتي أنا، فقد قابلت أحد التجار وأخبرني أن الدولار من الممكن شراؤه من السعودية بأقل من سعره بكثير، وأن السلطات السعودية لا تمنع دخول العملة المصرية ولكن المشكلة كانت في خروج الجنيه المصري من مصر، وكان لزامًا أن نطمئن أن ما نفعله ليس حرامًا، وطبعًا كل المشايخ اللي نعرفهم أفتوا فتوى على حسب السؤال فلم يكن في الشرع أي شيء يمنع خروج المال من مصر حتى لو مهرب طالما هو مالك وليس مسروقًا، وخاصة أننا سوف

نحضر عملة أجنبية بدلا منه. وطبعًا بعد عشر سنوات وبعد اكتساب خبرة في تجارة العملة لم يكتسبها شيوخ الإفتاء فأنا أستطيع لو سألني أحد الآن فسأقول له: لا تفعل لأنك فعلا تضر بمصالح الشعب، والحمد لله أني عندما تيقنت من هذا توقفت فورًا.

وبالعودة للوراء فكرنا كيف نخرج الجنيه المصري من مصر ونجيب دولار من السعودية، وكان يجب علينا ترتيب ممر آمن وطبعًا ناس كتير هتستغرب إني باحكي كده، ولكنني أقسمت ألا أكتم شيئًا إلا ما لا أملكه بالكامل، بمعنى لو هناك حدث ممكن يسيء لشخص غيري فلن أتعرض له وسأكتب ما يخصني. وعمومًا لسه البلا ورا، وهذا الأمر لم أكن أشعر أنه معيب بل كنت أشعر أنه تعسف وجهل من الدولة، وعندما نضج الأمر في عقلي ودرسته ومارسته وقفت في مجلس الوزراء وحذرتهم مما يفعلونه، وعرضت عليهم الحل. وسوف أحكي القصة في مكانها فمن الأكيد أننا سنمر عليها.

المهم كنت قد تعرفت في مسجد أنس بن مالك على سفير إحدى الدول الإفريقية الفقيرة، وكان من محبي جماعة التبليغ وكان بيحضر كل يوم جمعة، وأنا كنت المسؤول عن تنظيم جلوس المصلين مع شباب آخرين ولكن أنا كنت مسؤولًا عن الذين يدخلون من الباب الخلفي كبار المشاهير وكان السفير يأتي وأنا أدخله ليجلس أمام المنبر. فنشأت **صداقة بيننا** وكان بيديني مرتب كل أعضاء السفارة عشان أبيعه بأحسن سعر، فكنت لا أكسب منه وأعطيه أعلى سعر زي ما يكون قلبي حاسس إنه جايلي جايلي، فحكيت لأحمد فعرف ما أفكر فيه وقاللي يابن العفريتة، حقًا لو حصل اللي في دماغك دي تبقى قفزة جديدة ولاسامي نفسه يعرف يعملها، فقلت له اعتبرها اتعملت بس اجهز إنت بالورقة فئة المائة جنيه، لأنها أسهل في التهريب.



محطة

(13)

شوفوا أنا لا أكتب مذكراتي عشان أسليكم، ولكن هذه الأحداث يجب أن يعرفها الجميع فهي ملك الشعب بأكمله، ومقصدي منها أن يقرأها من يحكم مصر، لأنني أستطيع أن أجزم أن هذه الأحداث جعلتني أستطيع حل مشاكل مصر في أسبوع بخمسة قرارات فقط، لذلك أنا مُصِّر أن الأحداث ملك الشعب بكل ما تحمل الكلمة فهي تاريخ ولو كان الجبرتي حيًّا ما تردد في سردها.

المهم ذهبت لزيارة السفير في بيته خلف الميريلاند وكانت الأيام لا تتركني أن أذهب إلى مكان إلا ويحدث حدث يقفز بي عشر سنوات إلى الأمام ويمكن أكتر، فكثير من رجال الأعمال لم يفعلوا في عشرات السنين ما فعلناه في أيام، وجلست معه وأخبرته أننا نريد أن نشترى دولارًا من السعودية فرد عليًا فورًا أنا مستعد ولكن خليني أحدد الميعاد أنا، وخرجت من عنده فرحان جدًّا ووجدت رجلًا كان يصلي عند الشيخ إبراهيم اسمه محمود رشدان (صاحب مسجد آل رشدان) وكان بيحبني جدًا عشان باقعده عند المنبر.

المهم جه سلم عليَّ بحرارة وقاللي: معقولة الشيخ بنفسه هنا، وصمم يفرجني على العمارة اللي بيبنيها ودخلت وأصابني الذهول من جمال الموقع وروعة التصميم، وكانت عبارة عن فلل داخل العمارة كل فيللا لا تقل مساحتها عن 400 متر جاهزة للسكن وقاللي أنا نفسي تبقى جاري.

فقلت: وأنا والله، فجاب مفتاح فيللتين جنب بعض وجاب عقد ومضى عليه على بياض وقاللي: اكتب السعر اللي إنت عايزه، فقلت: يا حاج محمود إنت بتحرجني. فقاللي: إنت اللي هتحرجني لو ما أخدتهمش.

فقلت له: بكام؟ فقاللي: أنا ببيع بـ120 ألفًا بس ليك بمائة يعني الاتنين بمائتين ألف، وأقسم بالله إني ما دافع ولا مليم الآن وأدفع على مهلي وسنة سماح وبعدها أدفع كل شهر ما تيسر فقلت له: يا حاج ده كده إنت بتديني زكاة مالك، فأقسم أني ما خارج إلا والعقود معي، وقال: وإيه رأيك هتبات فيهم النهارده، فقلت له: طب واحدة واحدة، ورب الكعبة لو أمي أو مراتي شافتهم هيطبوا ساكتين. فنادى عالسواق وقاله: هات العربية النقل وروح مع عمك الشيخ هات العفش، فقلت له: عفش إيه ده العفش اللي عندي يادوبك يفرش غرفة البواب فضحك، وقاللي: بلاش تواضع. فقلت: طب يمين على يمينك لازم تيجي تشوف شقتي.

فقاللي: خلاص ننزل نشتري (عفش) حالا، فقلت له: لا خلاص أنا قبلت بس خليني أسقيها لأمي ومراتي واحدة واحدة يا عم الحاج فوافق وأخدت العقد والمفاتيح ومشيت والشيطان معايا بيقوللي إنت هترفض نعمة ربنا وقعد يجيبلي في أحاديث المؤمن القوي وأحاديث عثمان لما جهز جيش العسرة وابن عوف، المهم فضل ورايا لحد ما أقنعني إني أبات في الشقة حتى لو على الأرض، وروحت طبعًا وكانت هدى حامل في بلال، الله يحرقه.

فدخلت بوجه غير الوجه. وقلت لها جهزي نفسك هنعزل، فقالت: ليه هي طنط صفية عايزة الشقة؟ فقلت لها: إلبسي وانتي ساكتة لأن اللي جايماينفعش يتحكي يتشاف بس، ورحت لأمي قلت لها: ياما إدي الشقة لفاتن تتجوز فيها لأني هاعزل.

فقالت: يا بني ما هي خلاص هتتجوز معانا هنا، وفضينا غرفتين ليها وانت شايل همها في إيه هو حد كلمك ولا جه ناحيتك.

فقلت لها: بقولك إلبسي وتعالي معايا في المرشيدس أوريكى حاجة.

فقالت: أنا لا راحة ولا جاية، أنا عارفاك زي القرع تمد لبرة، إنت لما ربنا فتح عليك مش عايزنا نعرف عنك حاجة.

فقلت لها: يا حاجة هو فتحها على الآخر، فقالت: إحكيلي، فقلت لها: ورب الكعبة ما تتحكي تتشاف بس، فقالت لأختي: إلبسي وروحي مع أخوكي شوفي شقته الجديدة، ومشينا وأم بلال حاطة إيدها على ضهرها من بلال، وكأنه عايز يخرج يتفرج.

دخلت أم بلال الشقة وما قدرتش تكمل فرجة وقالت إنت بتتكلم جد أنا والله أخاف أعيش فيها ولا إيه يا فاتن؟ طبعًا فاتن أختي أصابها الخرس وأصبحت صم بكم عمي ولم تنطق ببنت شفة، وهما الاتنين منقبات وواقفين جنبي زي الخفر وأنا الشيطان ماشي جنبي من الصبح وشغال 100٪ وجه عند أم بلال قلت له لالالالالالالالالا لالالالالا انسي اللي بتفكر فيه ده.

وطبعًا جبت أحمد بعد ما رجعتهم يحكوا اللي شافوه ولما دخل الشقة قعد يتنطط ويقوللي هلا بِكرٌ تداعبها وتداعبك .

فقلت له: بقولك كفاية الشيطان أنا لو اتجوزت على هدى هاتموت دي مستنياني بقالها عشر سنين وعمالة تتخانق مع أمها ومفرقعة ميت عريس، فقاللي أنا كمان اشتريت فيللا إمبارح في شارع الهرم ثلاثة أدوار.

دور لفتحي أخويا بعت أجيبه من السعودية عشان يساعدنا.

ودور لي والأرضي هاعمله جامع، واتفقت مع واد بطل العالم في القرآن ييجي يصلي التراويح فيه اسمه محمد جبريل.

وبصراحة أنا لفت نظري كلمة فتحي يساعدنا وماعرفش ليه قلقتني، رغم إنه لما جه كان مطيع جدًا وارتبط بيًا جدًا بس ربنا ما يكتبها على حد، عقلية ربنا بيخلقها كل ميت سنة، لم أرَ مثلها من قبل نااااااااااااااااااااااااااااااااار مولعة، وعزِّلنا أنا وأم بلال في الشقة وفرشناها كلها أرابيسك زي الفلاحين بس كانت جميلة.

واكتفينا بشقة واحدة وقفلت التانية بعتها لأختي الكبيرة كانت شغالة في السعودية هي وجوزها -الله يرحمه- وما زالت تعيش فيها.

وأصبحنا مشهورين على مستوى تجار العملة وكل من له لحية سواء إخوان أو غيرهم. وطبعًا أحمد كان أمير الجماعة الإسلامية في كلية الطب البيطري وكل الشيوخ أصحابه، وأذكر في يوم لما كنا في الشقة الصغيرة كان في واحد صاحب أحمد اسمه عبدالمنعم من الشرقية من قرية معقل التكفير والهجرة، جه الساعة 12 بالليل دق الباب عليّا وماعرفش مين اللي قاله إن أحمد بيبقى عندي طول اليوم، وفعلا كنا لا نفترق إلا عند النوم حتى إن زوجاتنا كانوا بيغيروا من علاقتنا.

المهم نسيت أقولكم إن أحمد قاللي إنه مش هيودي أم جويرية في البيت الجديد. وأنه تزوج شادية بكر صغيرة تداعبه ويداعبها اللي هي أم مها.

المهم دق عبد المنعم الباب ففتحت له وسألني عن أحمد فقلت له هو هييجي الفجر فقال: ممكن عنوانه لأني من الشرقية.

فقلت له: اتفضل نام عندي وهو جاي الفجر. وقلت لهدى تروح تنام عند أمي وفضينا له غرفة نومنا، فشكرني جدًّا وسمى الله ودخل وحطينا له العشا فأكل ودخل ينام فوجد زجاجة برفان «كارتييه» في الغرفة فقال: ما هذا يا شيخ؟ فقلت له دي ريحة، فقال: هذا خمر. فقلت: خمر في بيتي؟!!

اتقي الله يا شيخ. وبدأ يسرد لي أحاديث ليقنعني أنها خمر ويجب كسرها، فقلت له: يا شيخ أنا مش هاكسرها لأني مستحيل أحط خمر في بيتى وأنا لست جاهلًا حتى يأتي هو ويقنعني بشيء لا يجوز الاختلاف فيه.

وتذكرت وقتها جماعة التبليغ حين تركوني أدخن وهم يعلمون أني كنت مدمن بيرة، ولم يتكلم معي أحد أو يخوفني وظلوا يكلموني فيما عند الله من نعيم وأكثروا من الترغيب حتى تركتها لوحدي.

وقلت له: يا شيخ سامحني أنت ضيفي ولكن اسمح لي أقولك أنا لو قابلتك من الأول ما كنت ركعت لله ركعة ولا سجدت.

فقال لي: لا بد تكسرها فأنا لا أنام في بيت فيه خمر.

فقلت له: طيب سأضعها في غرفة أخرى. فقال: إذن سأترك البيت وأذهب.

صمم الرجل على الخروج فقلت له: إذن انتظر أوصلك لأحمد وركبنا السيارة وكنت معلق فيها سبحة فقال: ما هذا يا أخي؟

فقلت له: إيه في إيه تاني فأشار إلى السبحة وقال: هذه تميمة.

فقلت: نعم؟ قال: هذه تميمة يعني شرك بالله.

فقلت في سري الراجل ده لو عرف أنا كنت باعمل قبل كده هيعاملني زي أُبي بن خلف وأبو لهب.

فقلت له: إنت جيت من بلدك إزاي يا شيخ؟

فقال لي: في القطار فقلت له: مممممش يمكن السواق كان معلق سبحة أو يمكن حتى صليب فقال لي: لكن أنا لم أره.

فقلت له: ولو كنت رأيته ماكنتش هتركب؟!

فسكت، فقلت له: اعتبر نفسك راكب أتوبيس أو قطار وخليني أوصلك لأني لو نزلتك هتركب أتوبيس برضه والموضوع خمس دقائق وتوصل. وفعلا نزلته قدام بيت أحمد واطمنت إنه دخل ومشيت.

وتاني يوم جه مع أحمد وكان المفروض إن إحنا رايحين الزقازيق نجيب شغل من هناك وجه معانا عبد المنعم ورحنا خلصنا شغلنا وأحمد قال له هنخلص ونوصلك لأن قريته تبع الزقازيق، وأذن علينا المغرب وإحنا في الزقازيق وأصابنا جوع شديد فقررنا نعدي على مطعم نجيب أكل وناكل في العربية.

ونزّلت أحمد وعبدالمنعم قدام المطعم وانتظرت في السيارة وكنا في الصيف والجو حار، وطبعًا كنت فاتح الشباك وسرحان في ملكوت الله .

وفجأة سمعت صوت رجل بيقول آآآه.

وكأني شعرت أنه صوت منعم فبصيت ناحية المطعم لقيت زحام شديد والصوت خارج من وسط الزحام ومش قادر أشوف لا أحمد ولا منعم.

فنزلت من العربية واقتحمت الزحام فشفت أحمد عينه وارمة ومنعم بيطلع لفوق وينزل، فلقيت واحد زي الحيطة ماسكه وكأنه بيهشتك ابنه يحدفه لفوق ويستلقاه.

وأحمد بيقول له: حقك عليَّا سيبه هتموته.

وهو يروح زاقق أحمد مطيره ولم أشك لحظة أننا سنستلم جثة عبد المنعم، وأحمد لما شافني اعتقد أني هاخش أنقذ عبد المنعم وماعرفش جاله منين الانطباع ده رغم إنه أكتر واحد عارفني وطبعًا أنا عملت نفسي مش معاهم.

وخرجت بره المحل وسألت واحد هو الراجل ده بيضرب الراجل التاني ده ليه؟ قصدي هو وابور الزلط ده بيدوس النملة ليه.

فقال لي: أصل الشيوخ دول دخلوا يشتروا أكل والشيخ اللي بيتضرب ده شاف مرات وابور الزلط ده وهي لابسة عريان وخبطت فيه غصب عنها، فيظهر قال لها كلمتين ينصحها بس الظاهر قلَّ أدبه أو قالها عليك اللعنة حاجة زي كده، وجوزها ده بطل الجمهورية في المصارعة الحرة.

وأنا طبعًا ولا كأني سمعت حاجة وأخدت العربية ومشيت بعيد عن المحل وركنتها بعيد، ووقفت ع الرصيف التاني علشان لو خرجوا على رجليهم أنادي عليهم. وطلع أحمد والحمد لله كان شايل منعم فيه الروح، وفضل يدور عليَّ وأنا أشاور له من غير صوت أحسن الراجل يسمعني ويعرف إني معاهم وبعدين أحمد شافني فشاورت له على العربية إنها قدام.

وجريت أفتح لهم باب العربية قلت عيب برضه لازم أساعدهم صح؟

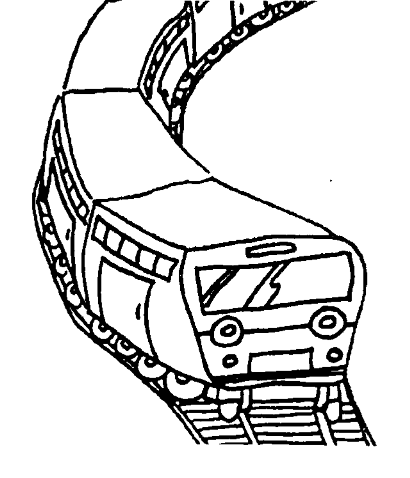
المهم أحمد قال لي: إنت جبان.

فضحكت بأعلى صوتي وماعملتش حساب للراجل المتوفي.

وقلت له: وإيه الجديد ده إنت نفسك لما حد بيسألك عليّا بتقوله ماتقولوش حاجة تخوفه لأنه جبان، وبعدين إنت شجاع عملت إيه بشجاعتك؟!

فقال لي: أنا حاولت أقنع الراجل إني ماعرفوش ماقتنعش.

بس بصراحة الراجل له حق، ده تف في وش مراته كويس إنه حي لسه.



محطة (14)

سكنت في مصر الجديدة وأحمد راح البيت الجديد وجه فتحي، والحقيقة شال عني أنا وأحمد أعباء كثيرة واتفقت أنا وأحمد إن إحنا نعطيه مرتب كويس.

ورغم أني حسيت نفس الإحساس اللي كان عند الحاج بكر، إن الراجل ده مستحيل يكون موظف عند حد حتى لو كان أخوه. وكان كتلة من الذكاء المتحرك، وقلب لا يعرف معنى كلمة خوف من أي شيء، «وللأسف» أنا اعتقدت أن وجود أحمد معايا مش هيخليه يشعر إنه تابع لأحد وكان مركز معايا جدًّا وبيغالى في احترامي وماكنش يعمل أي حاجة إلا لما يستشيرني، حتى أحمد مرة قال له إنت أخويا ولا أخوه؟!

فقاله: طبعًا أخو أشرف، أنا باحب الأذكياء وأشرف ذكي وأنت عبيط.

وأنا زي الأهبل صدقت وماعرفش إيه اللي مستنيني أتاريه سياسي وبيخطط لخلعي بس أتخلع وأحمد يكون راضي، يعني أحمد كان الشعب بالنسبة لفتحي لازم وهو بيخلعني يكون الشعب معاه، قصدي أحمد، ويكون فرحان كمان.

المهم قعدنا فترة طويلة إن لم تخوني الذاكرة أكثر من سنة ونص وفتحي شغال معانا وأنا اللي كنت مسؤول عنه، وأنا اللي باحاسبه لأنه كان بدأ يجيب عملة لحسابه وكنت باشتريها منه بسعر البيع حتى إن أحمد اعترض.

فقلت له: ده أخوك يا أحمد ولو عايز تكسب منه حاسبه إنت، فسكت. وكنت وقتها باشتري عربية لأبويا وكان هو جايب سيارة تويوتا كورولا فيها تلاجة.

وكانت عربية مميزة ووقتها اشتريتها منه بـ 18000 ثمانية عشر ألفًا وطبعًا كانت فرحة أبويا عارمة، رغم أنه مَوّت بالعربية ييجي عشرين نفر، وهاحكيها في وقتها لأنها قصة مستحيل تجاهلها.

وكان فتحي في أحيان كثيرة بيوصل الأرقام الكبيرة للبنوك ولكبار التجار لأنه كان معاه مسدس مرخص، وكان الله يرحمه مابيخافش.

وأذكر أن إحنا كنا اشترينا مرة اتنين مليون دولار، وكان في تاجر دهب اسمه شريف، كان اتفق معانا يشترى الدولار بـ98 قرشا وكنا هنكسب حوالي عشرين مليم. وعلى ما أذكر كان مصطفى السعيد طلع قرار وقفز الدولار إلى 114 قرشًا، يعني حوالى نص مليون جنيه فرق، وكان أكبر مبلغ ممكن نكسبه في يوم واحد من يوم ماشتغلنا.

والمبلغ ده يساوي الآن على الأقل أربعين مليونًا ولقيت أحمد جاي طاير يخبط عليًا وقالي هو شريف دفع عربون فقلت له: أنا ماخدتش منه حاجة، فكبر وهلل وقال إذن البيّعان بالخيار وكنت أول مرة أسمعها.

فسألته يعني إيه؟ فقاللي: إنت ما عرفتش أن السوق قفز لـ114، وكنت خايف تكون خدت عربون من شريف كان هيبقى حرام لو رجعنا في كلامنا إنها كده الرسول «صلى الله عليه وسلم» قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)، واحنا في الأمان وكده كسبنا حوالى نص مليون. وساعتها لقينا شريف بيخبط وكان حاسس إن إحنا هنرجع في كلامنا، وحصل وحاول معانا ولكن صم بكم عمي، وأعتقد حتى لو كنا أخدنا عربون كان أحمد هيتصرف ويلاقي حل!

المهم شريف برضه مش سهل راح لفتحي بيته وقال له: أحمد وأشرف قالوا لي آخد منك 200 ألف دولار، وطبعًا فتحي أعطاه لأنها لم تكن المرة الأولى وكان متعود يعملها معاه.

وبعدين لما قابلنا وعرف قال اعتبروا الفلوس معايا واعتبروني لم أعطها له، والفجر لقيت أحمد جاي المسجد اللي باصلي فيه وقال لي فتحي في اسم بولاق فقلت له: ليه؟

قال لي راح بيت شريف بالليل ودق الباب فتح له الواد اللي بيشتغل عند شريف، فقال له: فين شريف؟ قال له: نايم جوه، فزق الواد ودخل جاب منه الفلوس وكان فيها زيادة رجعها له وشريف بلغ عنه لأنه يظهر عمل قلق في بيتهم.

جلست أنا وأحمد وبصراحة رُكبنا سايبة وأحمد سألني ماتعرفش حد ظابط، فقلت له أعرف كان لي أصحاب ضباط بس ماكلمتهمش من زمان قوي وبعدين هنروح الداخلية نقولهم إحنا تجار عملة؟!

فقال لي: إنت مش بتقول جوز خالتك ضابط كبير.

قلت له: لو رحت له هيقبض علينا وفضلنا في حيص بيص.

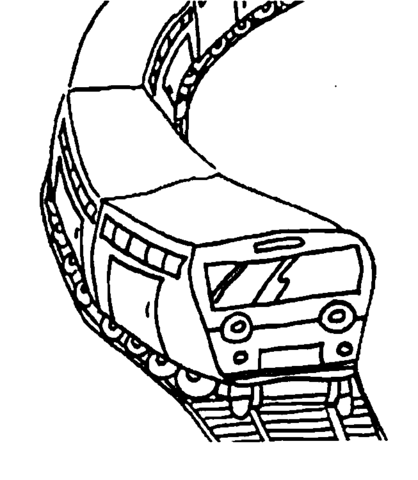
وقلت له: أنا أعرف ضابط في قسم بولاق اسمه مجدي عكاشة وكان معايا في المدرسة وقريب سمير صاحبي، تعالى نروح له وزي ماتييجى، بس تعالى نروح البيت ألبس. ورحنا بيتنا لقينا فتحي واقف بعربيته تحت العمارة.

وقال: إنتو اتأخرتوا ليه؟

وأحمد كبر بصوت عالي ففتحي قال له: فيه إيه؟

قال له: إحنا كنا خايفين عليك جدًا فقال له: لا ماشريف جه اعتذر لي في القسم، وأنا سامحته، وطبعًا أنا مبلم زي الحمار مش فاهم حاجة هو مين اللي سامح مين. وطبعًا عرفت بعد كده إن فتحي قال لشريف كل ساعة هاقعدها في القسم بمليون دولار. ومش عارف ليه حسيت إن نهايتي قربت.

حتى أحمد نفسه حس نفس الإحساس وحسينا إن إحنا جيبنا الديب لكرمنا، زي السوريين ما بيقولوا.



محطة (15)

ومرت الأيام والشغل بيزيد والفلوس بتكتر. وفي يوم لقيت أحمد داخل عليًا بيقوللي السفير جاهز؟

فقلت له: ليه؟

قال لي: إحنا خلاص اتفتح لنا باب من السما.

فسألته: ليه؟ فقال لي: هنشتغل في الدهب. فقلت له: أنا عمري ماشتغلت فيه.

ودخل السفير فقاللي إحنا هنشتري الدهب من بره ونجيبه هنا وده هيفرق جامد، ماهو إحنا لازم نفتح أبواب للفلوس اللي بتيجي دي ولا نرجعها لأصحابها، وشميت ريحة فتحي في الاقتراح.

وقلت له: خلاص إمتى عايزه؟ فقاللي: لازم نفتح حساب في البنك الأول لأني هاشتغل في البورصة. فقلت له: واحدة واحدة عليّا ياعم أحمد.

فقاللي: ده شغل الباشوات يا واد إحنا خلاص طيرنا.

ورحنا البنك وكان المفروض الحساب يتفتح باسم أحمد.

لكن حظي الأسود طلع إنه لسه طالب في الكلية وما ينفعش، وأنا متخرج، وينفع، ففتحوا الحساب باسمي، وعملت توكيل لأحمد وبدأنا نستقل تمامًا أنا وهو، وطبعًا فتحي لي بالمرصاد، وحطينا الفلوس في البنك واشترى دهب من سويسرا وقاللي:

هنخلي السفير يروح يجيبه. فقلت: إفرض خده ومشي. فقالي: مش إنت ليك قريبك في سويسرا اللي بعتلنا العربيات.

فقلت: آه، فقاللي: إيه رأيك نشغله معانا ويركب معاه الطيارة.

وفعلا اتصلت بأحمد ووافق وبعتنا له السفير وجابوا الدهب.

وجم وكان حوالى 400 كيلو، وجابوه البيت عندي لأن بيتى كان في وش بيت السفير وكان بلال لسه مولود عنده أربع أشهر.

ففتحت الشنطة قدام أم بلال كان هيغمى عليها.

لالالالالالالالا أغمى عليها فعلا وقالت: إيه ده انتو سرقتوا بنك؟

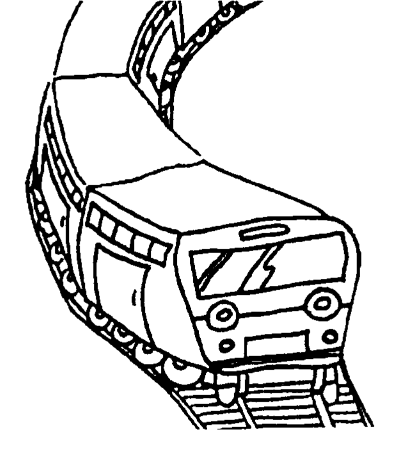
وكان الدهب بيلمع في عين بلال وكل ما يلمع يكركر من الضحك.

وجه أحمد الصبح وشاف الدهب وقعد يتنطط من الفرحة.

ونادى على فتحي وأعطاه 100 كيلو وقال له توديهم لفلان وتجيب الفلوس تحطها في البنك.

وقال لي: خبي الباقي وتعالى ننزل عندنا شغل، فسيبت الدهب على الأرض لبلال يلعب فيه ونزلنا. وأقسم بالله العلي العظيم كأننا بنتاجر في ترمس ولا كإن إحنا بنعمل حاجة ممنوعة ولا في بالنا خالص. وكان ناقص نفرش الدهب ونقعد بيه في الشارع. ودماغي وقفت لحد كده مش عارف أكتب، بس اللي أنا فاكره إن استمرينا في الشغل فترة طويلة والسفير اتنقل بلد تانية.

وأحمد بقى في البنك كأنه صاحب البنك، وخصصوا له غرفة رئيس البنك يجلس فيها يبيع ويشتري، وأنا مسؤول عن تجارة العملة أنا وفتحي، وهو في البنك كل يوم يقول لنا كسبنا كذا أو ماكسبناش وعمره ماقال لي إن إحنا خسرنا.



محطة (16)

ومرت الأيام واسمنا بينتشر في السوق يوم عن يوم.

وفى يوم نايم في بيتنا ولقيت الباب بيخبط بعنف، وكنت عامل غرفة مخصوص مخزن للعملة والدهب وكانت الورقة اللي بـ 100 جنيه لسه طالعة جديد.

وفى واحد صاحبي اسمه الحاج عادل هو من كبار الحيتان الآن ومن أعز أصدقائي، كان عنده مصنع مشغولات ذهبية وكنت أنا اللي باتعامل معاه.

وكان جابلي خزنة جديدة متنقلة لسه طالعة جديد، وكنت حاطط فيها 200 ألف جنيه من فئة الورقة أم 100 جنيه وكانت في دولاب غرفة النوم كنت سايبها لأم بلال علشان بلال لو عاز لبن أو حاجة.

والغرفة التانية فيها أشولة الدهب والفلوس وقمت فتحت لقيت عشر أنفار جوه البيت ورئيسهم بيقول لي: أنا العقيد فلان مباحث أمن الدولة إنت أشرف؟

فقلت له: أشرف إيه؟ قلت يمكن غلطانين في الاسم وكان أملي إنه يقوللي أشرف محمود أو أشرف زفت فقال لي: إنت هتهزر؟

إنت أشرف سعد؟ فعرفت إنهم جايين لي، والحقيقة رغم الرعب اللي كنت فيه إلا أنه كان بيكلمني بأدب وقال لي عايزين نفتش.

فقلت له: مراتي نايمة ممكن أخليها بس تدخل الحمام.

فقال لي: نادى عليها وإنت جنبي هنا.

فقلت: يا بلال يا بلال، لو سمحتي خشي الحمام علشان البوليس عايز يفتش البيت.

دخل الضابط وقال نبدأ بغرفة المدام عشان تطلع من الحمام وبص تحت السرير، فقلت له: حضرتك بتدور على إيه؟ فقالي: على فلوس ففتحت الدولاب وطلعت الخزنة وقلت الفلوس أهه، ففتح الخزنة وقالي: إيه ده؟ فقلت له: ميتين ألف جنيه.

وكان أول مرة يشوف الورقة اللي بـ 100 جنيه ومرتب الوزير يومها ماكنش خمسمائة جنيه بالرشاوى بكله، فالظابط ماصدقش وقالى: أنت بتهزر فأقسمت له إنهم ميتين ألف، ويبدو أنه كان جاي وفي ذهنه لو لقى ميت ألف يبقى معجزة.

فقالي: طب إلبس وتعالى. فقلت له: طب شوف باقي الغرف قالي: لا خلاص، فسألته: أنا هارجع تاني النهارده؟

قالي: لا مش هترجع هات هدومك معاك، ونزلت معاهم لقيت عربية بوكس وعربية فولكس، ولقيت أحمد طالع من شباك العربية بينادي عليا ياااااااااااااااا أشرف تعالى هنا اركب معايا وأنا ولا عارف أي حاجة.

وهما قابضين علينا ليه بس لما شفت أحمد بصراحة حسيت بأمان، وسمعته وأنا متجه ناحية السيارة والضابط ماسكني سمعته بيقول: أنا اللي جبتهم لك، فقلت له: كتر خيرك طول عمرك أصيل.

وركبت جنبه والضابط اللي معانا واقع من الضحك، فأحمد قاله: قوله يا باشا أحسن ده زعلان فضحك الضابط وسكت.

فأحمد قالي إنت عارف لو كنت سيبتهم يجولك لوحدهم كنت هتموت، دول جم عند شادية عربيتين أمن مركزي وفتشنا بيت شادية مالقيناش حاجة ولقيته بيتكلم بصيغة الجمع كأنه ضابط معاهم.

فقلت له: وانت بتفتش معاهم؟ فقاللي: طبعًا.

وبعدين وهما ماشيين قلتلهم لازم تفتشوا عند أم جويرية فسألونى مين أم جويرية؟

فقلت لهم: مراتي التانية لأن لازم العدل، وأنا والضابط ميتين من الضحك وهو بيحكي.

وطبعًا الضابط لم يشك لحظة أنه قبض على اتنين هبل. وكان مستغرب إن فيه طلب قبض علينا وأحمد بيحكي فقاللي: روحنا فتشنا عند أم جويرية ومالقيناش حاجة، فالضابط الطيب ده قال للحملة اتجهوا للدقى علشان نجيبب أشرف، دول كانوا هيروحوا لأمك لولا أنا قلت للضابط إنك عزلت.

وقلت له إنتو هاتروحوا لأشرف كده، فقاله: آه، قال له: والله العظيم هيموت، وقاله: إنتو عايزين إيه يا باشا؟ فقال له: فلوس.

قاله: خد رقم أشرف أهو وكلمه في التليفون وقوله فتش نفسك وتعالى وهو هيجيب لكم كل اللي عنده واللي أنتوا مش هتعرفوا تجيبوه، ده أجبن واحد خلقه ربنا يا بيه، وبعدين الراجل طلع جدع وجالك بعربيتين بس.

فقلت: هما قابضين علينا ليه؟ فقاللي: زيي زيك ولا أعرف حاجة. ولعلمك الباشا اللي قابض علينا برضه مايعرفش لأنه بقى صاحبي جدًّا وطول الطريق يقوللي إنتوا عملتوا إيه وأنا أقوله والله العظيم ما أعرف.

فتأكدت إنه مايعرفش حاجة ولقيت أحمد فرحان قوي.

وبيقوللي: أنا قلتلك إحنا بقينا مشهورين وهتشوف.

فقلت له: أبوس رجلك أنا مش عايز أتشهر أنا عايز أروح أنا لسه مخلف من أربع شهور وعايز أشوف ابني.

ورحت معيط، فقال للضابط: اتفضل أهو عيط قبل ما نعرف حاجة. واتجهنا لمباحث أمن الدولة في شارع جابر بن حيان في الدقي، ولقينا كل المخبرين حطونا في زنزانة تحت الأرض.

لأول مرة في حياتي أعرف إن فيه كده في مصر، وكانت الدنيا برد ومافيش غير الأرض وفضلنا للصبح ولا حد بص في وشنا، وجه الليل وإحنا كده وكنت أعرف أن جوز بنت الحاج محمود رشدان ضابط كبير فى نفس الإدارة اللي إحنا محبوسين فيها.

فسألت العسكري اللي قدام الزنزانة عليه فقاللي: هو فوق. فقلت: يعني عارف إني هنا، فقاللي: ده المدير، فعرفت إن الموضوع مصيبة سودة لأني اتغديت معاه كتير عند الحاج محمود رشدان ومستحيل يسيبني كده إلا إذا كان الموضوع كبير.

فرشت عبايتي على الأرض ومددنا عليها أنا وأحمد.

وقلت له: فاكر يا أحمد فرحتك لما كسبت ألفين جنيه من الدينار الكويتى، فقاللي: أشرف أنا عارف إنه يوم أسود وأنت هاتقلبها غم يا عم هنخرج والله هنخرج، هو أنت مش عايش معايا وأنا عايش معاك هو إحنا عملنا حاجة؟

أكيد فيه حاجة غلط.

فقلت له: لالالالا أنا مش مطمئن يا أحمد.

وبدأت أحكيله، قلت: تعرف إن جماعة التبليغ أنا اتعلمت منها حاجات تعرف ياحمد قبل ما قابلك أنا كسبت خمسة جنيه، والله العظيم كنت حاسس إني امتلكت الدنيا واللي فيها، وشوف الملايين جابتنا فين وعملت فينا إيه، معقول خمسة جنيه تسعد وملايين تتعس فقاللي: أيوه قول لنا شوية مواعظ من بتوع التبليغ.

فقلت له: إنت بتتريق. فقاللي: أعملك إيه ما هو لازم اللي يعمل عجة يكسر بيض.

فقلت له: أنا لا عايز عجة ولا عايز أكسر بيض أنا عايز أروح.

فقاللي بكرة تشوف بس حاول تنام. وفجأة فتحت الزنزانة ولقيت الحاج محمود رشدان داخل وقعد جنبنا على الأرض وأقسم بالله كأن ملك نزل من السما وقاللي: ماتخافش شدة وتزول.

فقلت له: إوعى تقوللي إنك ماتعرفش إنت كمان إحنا هنا ليه أكيد جوز بنتك قالك.

فقاللي: ده بنك مصر إيران اللي إنت فاتح حساب فيه مبلغ إنكم سرقتم اتنين مليون دولار فبصيت لأحمد فقاللي: بتبصلي ليه؟ فقلت له: إنت اللي مسؤول عن البنك.

فقاللي: مستحيل يكون صح. فقلت له: يعني الحاج محمود هيكدب ده جوز بنته مدير أمن الدولة هنا، فقاللي: الفلوس في البنك واحنا اللي داينين البنك أنا ماسحبتش مليم وطبعًا كلام أحمد عندي لايقبل النقاش فبصيت للحاج، فقاللي: إنت سألتنى إنتو هنا ليه، فقلت لك، لكن أنا متأكد زي الشيخ أحمد إن فيه غلط بس اللي عرفته من كمال إنه متوصي عليكم يطلعوا عينكم قبل ماتروحوا النيابة، لأن المفروض ماتتحبسوش هنا والمفروض تتعرضوا عالنيابة فورًا، لكن الداخلية عايزه تكشف تشوف ليكم علاقة بالإرهاب ولا حاجة.

فقلت له إرهاب إيه هو أنت مش عارفني، فقاللي أومال أنا جاي ليه، أنا معاك لحد ما تروح، فبكيت بكاءً شديدًا من موقف الرجل.

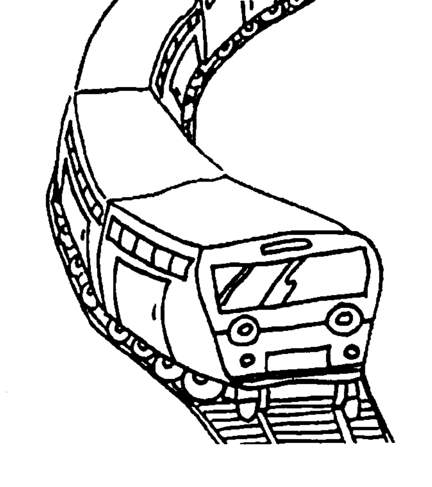
وإيه اللي يخليه يقعد معانا ويحرج جوز بنته فأقسمت عليه يقوم يروَّح وقعد معانا فترة طويلة وقال لازم نشوف محامي قبل ماتروحوا النيابة.

فقلت له: أنا المحامي بتاعي اسمه فريد الديب يا ريت تبلغه، وكنت عرفته من سنتين عن طريق واحد صاحبي، فقال: بس أول مايودوكوا النيابة لأنهم هيعرضوكوا على الإدارة في لاظوغلي عند فؤاد علام.

وبصراحة جوز بنتي قلقان منه بس إن شاء الله خير. وروح الحاج محمود وتاني يوم أخدونا على لاظوغلي وفضلنا في الحجز من الصبح لحد المغرب.

وكانوا حاطين حديد في إيدينا وأنا مترين وأحمد متر ونص.

وكل شوية يجرجرنى معاه واضطر أوطى عشان نعرف نمشي أو أشيله وده مستحيل. وبعدين رحنا عند فؤاد علام وقعد يبص لنا من فوق لتحت وقال خدوهم، وبعدين رحلونا على جابر بن حيان تاني. والمرة دي لقيت اللواء كمال بنفسه مقابلنا وقال طلعوهم مكتبي وخدني بالحضن، وقاللي مبروك ووراني تأشيرة فؤاد علام إن إحنا لا علاقة لنا بأي نشاط متطرف، وعشان كده هو قابلنى وقاللي خلاص كده إنتو مشكلتكم مع النيابة. وقاللي فيه محامي يعرفه يبقى أخو مرات لواء زميله اسمه نعمان جمعة، وكنت أول مرة أشوف الدكتور نعمان وقاللي هاخليه يروح لكم النيابة. وفعلا رحنا النيابة تاني يوم الصبح بس نمنا في غرفة كمال بك قاسم جوز بنت الحاج محمود بأوامر رسمية من زوجة اللواء. وجه الحاج محمود سهر معانا وجاب لنا أكل، وقاللي دي ضريبة النجاح وقعد يحكيلي عن المعاناة بتاعته، ومالقيتش فيها إنه اتسجن. فقلت: يا عم الحاج كل معاناة الحياة كوم واليومين دول كوم وماكنتش أعرف إن اليومين هيطولوا.



محطة (17)

ليس أمامي خيار إلا أن أذكر كل من يتجول في محطاتي.

إن الأحداث التي حدثت في النصف الأول من دخولي عالم المال كلها أحداث توالت كما البرق والرعد لا تعرف أيها حدث أولا.

كما قال الشاعر: **مكر مفر مقبل مدبر معا.**

ولكن ما يجعلني أقبلها أن الترتيب الزمني لحدوثها لن يؤثر على ذهن من يقرأها، فأينما وضعت الحدث تجده في سياقه، حتى ولو كان قبل أو بعد، ولكن ما أنا متأكد منه إنني سوف أستطيع السيطرة على ترتيب الأحداث في النصف الآخر من القصة والتي كنت أنا بطلها الوحيد وأملك أحداثها وحدي.

المهم ذهبنا إلى النيابة ووقتها أذكر أن عمري لم يكن تجاوز الـ 26 عامًا وأحمد 24، ودخلت أنا إلى المحقق وكان اسمه أحمد عزت العشماوي.

فقال لي: هل لديك بطاقة فقلت له: عندي جواز سفر فقال: اسمك وسنك وعنوانك؟

فقلت: محمد أشرف السيد على سعد، مواليد 1954 ساكن في 22 شارع الأندلس بمصر الجديدة، فقاللي: بتشتغل إيه؟ فقلت له: تاجر، فقاللي: تاجر إيه؟ فسكت وماعرفتش أجاوب فقال: (س) بتشتغل إيه؟ فقلت له: بصراحة ماعرفش. فقال: (س) بتشتغل إيه؟ فقلت له يا باشا تاجر عملة.

فقاللي: إنت عارف إنت فين؟ فقلت له: أنا في النيابة. فقاللي: عارف أنا مين؟ فقلت له: حضرتك وكيل النيابة، فقاللي: أنا المستشار أحمد عزت المحامي العام. فقلت له: يا أفندم كل الاحترام لك بس مش هتفرق معايا كتير. فقال: لا تفرق، لما يحقق معاك محامي عام يبقى القضية خطيرة وماعرفتش أرد عليه. فقاللي: بتشتغل إيه؟ فقلت له: يا فندم والله العظيم بحاول أفكر في كدبة مش عارف فلو حضرتكم تديني فرصة لأني جيت هنا ومش عارف أنا هنا ليه، فقاللي: إنت بتقلد المسرحية؟ فأقسمت له بالله أني لا أتكلم إلا صدقًا، وفعلا أنا تاجر عملة. فقاللي: إنت مش عارف إنها تجارة ممنوعة؟ فقلت: عارف ولكنها ليست جريمة فهي ممنوعة وليست مُجرمة، يعني لو مسكوا تاجر عملة بيصادروا الفلوس وخلاص فقاللي مانت فاهم أهو، فقلت له: لو حضرتك قابض عليًا في عملة فالبوليس أخد من عندي مئتان ألف جنيه خلاص مش عايزهم. لو كانت دي تجارة العملة فقاللي: أنت متهم بالاستيلاء على اتنين مليون دولار من بنك مصر إيران بمساعدة أحد موظفي البنك. فقلت له: لم يحدث أني تعاملت مع البنك في حياتي، فقاللي: يعني الحساب اللي في البنك ده مش بتاعك؟ فقلت: لا طبعًا بتاعي. وقاللي: مش ده توقيعك؟ فقلت: نعم هو، ولكن كل المعاملات اللي فيه مسؤول عنها شريكي أحمد توفيق وأكيد لو سألته هيجاوب ويوضح لسيادتك لأني اللي أعرفه إن إحنا أودعنا في البنك اتنين مليون دولار وما زالوا في البنك، فلو حدث أي تعاملات اسأل أحمد الأول وبعدين اسألني. فقاللي: يعني إنت تتهم أحمد؟ فقلت: يا فندم لو في جريمة وقعت فأنا المسؤول عنها لكن حضرتك بتسألني عن حركة حساب دخول وخروج وأنا فعلا ماعرفش عنها حاجة. فمسك كشف حساب البنك وقاللي: إيه ده؟ فقلت: له ماعرفش، فقاللي: إنت عارف مكتوب هنا إيه؟ فقلت له: ماعرفش فقاللي: حركة الحساب في شهر نصف مليار جنيه يعني قد ميزانية مصر، فقلت له: ماعرفش. فقاللي: إنت بتشتغل إيه؟ فقلت له: يا فندم أنا الآن بدأت أجمع خيوط القضية حضرتك إدينى نص ساعة أرتاح فيهم وهاخرج أشرب شاي وأجهزلك إجابات ترضيك. فقاللي: إنت بتهزر؟ فقلت

له؟ والله العظيم مابهزر حضرتك عايزني أكدب وأنا مستعد جدًّا للكدب بس خدتني على غفلة فسيبنى شوية وأنا هاعرف أكدب عليك وأقنعك. وبدأ لساني ينطلق وقلت له أنا زي كل المصريين ماتولدتش وعندي بابا وماما يصرفوا عليَّا واتخرجت من الجامعة ومالقيتش شغل وسافرت باريس وجعت وبردت وأكلت من الزبالة وشحت حق التذكرة عشان أرجع بلدي، ورجعت وقابلت ناس بتصلي في المسجد فصليت معاهم وعرفت إن هم على الطريق الصح، لأني كنت سعيد وأنا معاهم ولو كنت قابلت عصابة سرقة وانضميت ليهم يمكن كنت هابقى قدامك مش متلجلج لكن هو ده اللي حصل الناس بتحب المتدينين وبتثق فيهم، وفجأة لقيت معايا ملايين مسؤول عن استثمارها وفتحنا حساب في البنك واعتقد أنه مش ممنوع. فقاطعني وقال: إنت سنك ماكملتش 26 سنة وبتشتغل في نص مليار وقام وقف وطلع من جيبه 18 جنيها وقاللي: إنت عارف أنا باشتغل إيه؟ فقلت: محامي عام، فقاللي: أنا أقدر أقبض على أي وزير وأحبسه، فقلت: طيب وأنا ماسك حضرتك. فقاللي: إزاي جبته الفلوس دي؟ فقلت له حضرتك مصمم أني أكدب عليك.

فقال: طب وقع على كلامك فوقعت. وقال انتظر بره، وقال للعسكري: هات المتهم التاني. وخرجت ونادوا على أحمد فتقابلنا أمام الباب فقاللي بسرعة: أكيد عكيت الدنيا، فقلت له: خش إنت وشوف هتعكها ولّا لأ.

دخل أحمد وقعد ساعتين وبعدين خرج وجه في الغرفة اللي أنا قاعد فيها وقعدنا ننتظر قرار النيابة. وسألته عملت إيه؟ قاللي: زي مانت عملت هو واجهني بأقوالك وفي الأول افتكرت إنك اعترفت عليَّا، فقلت: اعترفت عليك بإيه؟ فقاللي: أنا حسيت إني قتلت واحد وانت اللي بلغت عني كل شوية يسألني ما قولك فيما قاله المتهم أشرف السعد أنك المسؤول عن إدارة الحساب، ففي الأول افتكرت أن فتح الحساب جريمة وأنت حدفتها عليَّا فلقيته بيقوللي انتوا سرقتوا اتنين مليون دولار، فقلت: أنا مش فاهم

حاجة اللي أعرفه إن إحنا لينا اتنين مليون دولار وطلعت كشف الحساب اللي معايا ووريته الرصيد وقلت له: حضرتك بتفهم في البنوك فزعل من السؤال، وافتكرت إني عكيت وهاخد إعدام فقلت له: يا فندم أنا بسأل لأن حضرتك ماسك كشف الحساب في إيدك وهو نفس الكشف اللي معايا والرصيد في الكشفين اتنين مليون دولار وأنهم موجودين في الحساب بقالهم سنة، وهافترض زي حضرتك مابتقول إن إحنا سرقناهم طيب هو اللي بيسرق من بنك بيسيب الفلوس فيه؟

فحسيت إني أفحمته بكلامي وقالي: كلامك منطقي يا حاج أحمد، وأول ما قاللى يا حاج أحمد عرفت إنه اقتنع وهيقوم يتأسف لينا وقلت له إنك فعلا ماتعرفش حاجة عن الحساب يعني طلعتك براءة. فقمت أنا قلت بصوت عالي قدام الناس أنا قلت لوكيل النيابة هات أحمد وهو هايحللك الموضوع في ثانية، والله العظيم قلت له حقق مع أحمد الأول لأنه هو عارف حركة الحساب. والله يأحمد كنت عارف إنك هتخش تمسح بيه الأرض وتعرفه إنهم كدابين. فقاللي شوف إحنا دلوقتي هنروح وأنا قررت خلاص نقفل حسابنا في البنك ده ونفتح في بنك تاني، ولعلمك أنا مش هاسكت أنا هارفع عليهم قضية. فقلت له: بص أنا محتاج أسبوع أجازة لأني بصراحة أنا اترعبت وحسيت إن إحنا خلاص مش هنشوف الأسفلت أنت ماشفتش الراجل عمل معايا إيه، فقاللي أنا في الأول لما لقيته مابيضحكش وشكله كده قعدت أتخيل منظرك وأنت مرعوب، حتى هو قاللي إنت سرحان في إيه فكنت هاقوله إنت سألت أشرف زي ما سألتني. فقلت له: ده أنا جننته وحياتك وقعدنا نخطط أنا وهو لما نروح هنعمل إيه بس اتفقنا ناخد أجازة أسبوع وبعدين نبقى نروح نقفل أم البنك ده فقاللي ماشي.

وبعد شوية طلع العسكري وقال: تعالوا معايا وحط الحديد في إيدينا. وقال: تعالوا فمشينا معاه وأنا وأحمد بنبص لبعض ومش فاهمين إيه اللي بيحصل. فأحمد سأل العسكري إنت مودينا فين؟ فقال: على المكان اللي جابكم. فقال له: أي مكان؟ فقال:

مباحث أمن الدولة في جابر بن حيان، فأحمد سأله هو مش إحنا خدنا براءة؟ فقاله لا 45 يوم حبس في سجن طرة.

نزلنا وإحنا مقيدين في الحديد وحالتنا يرثى لها ووجدنا الحاج محمود رشدان وفتحي وناس كتير واقفين تحت. وسألت الحاج محمود عن المحامين وبصراحة مش فاكر هل أتى أحد فيهم إلى النيابة أم لا، وأخبرني الحاج محمود أنه كان عارف القرار وأن هو رتب إن إحنا ما نرحش طرة وهيحاول يخلينا في أي قسم قريب لحد ما المشكلة تتحل.

وفعلا وحتى لا أرهق ذهني في تفاصيل لا فائدة منها وليست مؤثرة في الأحداث فكل ما أذكره تمامًا كأنه حدث اليوم أن المطاف استقر بنا في قسم الدقي، وكان رئيس المباحث فريد شرف تربطه علاقة وثيقة بابن خالي اللي كان في سويسرا، وأعتقد أنه رتب مع الحاج محمود رشدان عن طريق زوج بنته أن مباحث أمن الدولة ما زالت تريد التحقيق معنا وأننا في قسم الدقي بأمر من أمن الدولة.

والغريب في الأمر والمذهل جدًّا أنني أذكر أن اللواء كمال قاسم كان خائفًا جدًّا من اللواء فؤاد علام عندما أرسلونا إليه، فقد أخبرني بنفسه لاحقًا أنه كان يخشى أن فؤاد علام يجدها فرصة ذهبية أمامه أن اتنينْ ملتحين ومعاهم ملايين لا أحد يعرف مصدرها حتى هما نفسهم مش عارفين يجاوبوا على أي استفسار وأمامه قضايا كثيرة مفتوحة لم تُغلَق، وكان السادات لسه مقتول طازة ومن السهل إنه يلبسنا على الأقل قضية تمويل، خاصة إن أحمد له علاقة وطيدة بقادة الجماعة الإسلامية وقاللي كان ممكن يترقى فيها وزير داخلية، وأخبرني اللواء قاسم إنه لما قرأ تأشيرة فؤاد علام إن إحنا لا علاقة لنا بأي نشاط مشبوه عرف أن القضية كفتة. وحتى لما زارني في قسم الدقي قاللي انتو نفدتو من إعدام كان ممكن يتلفق ليكم والناس كانت هتصدق وقاللي عشان كده هو أقحم نفسه على أساس إني صديق حماه وإنه مش قلقان.

وأنا أكتب شهادتي الآن أمام الله رغم أني لم أكن قابلت فؤاد علام في حياتي وكان

يشاع عنه أنه رجل ظالم ومصاص دماء، ولكن ما حدث معنا يجعلني أشهد أمام الله وأمام الناس أن هذا الرجل شهد بالحق ولم يشتر منصب وزير الداخلية بظلم أبرياء، وأنا شهدت هذه الشهادة أكثر من مرة على شاشات التلفزيون فكل مكان تجد فيه الصالح والطالح.

وعلى أية حال أول ما وصلنا قسم الدقي وضعونا في الحجز وكان مكانًا لا يصلح للاستخدام الحيواني وليس الآدمي. والغريب أن نافذة الزنزانة تطل على فندق شيراتون، وبقينا فيها حوالي ساعتين إلى أن جاء فريد شرف رئيس المباحث وأخرجنا وطلعنا في غرفة صغيرة بجانب مكتبه، وكانت بالمقارنة بالزنزانة تعتبر قصرًا والذكريات التي حدثت في هذه الغرفة تكفي أن تكون فيلمًا وحدها.

ومن الطرائف التي لا أنساها إن أنا وأحمد كان بيجي يزورنا فيها يوميًا كبار التجار أصدقاؤنا وأهالينا. وكان الحاج محمود رشدان نسيبه مقيم معنا وطبعًا كل المشايخ أصدقائنا وكمية أكل تكفى ألف واحد يوميًا، فكان العساكر طبعًا مش عايزنا نخرج من هناك وأذكر أن الشيء الوحيد الذي كان ينغص حياة أحمد هو أن زوجته مش معاه وطبعًا كان واقف على الغرفة حوالى عشرين عسكري وكان دايما معانا في الغرفة على الأقل عشرة أشخاص طوال اليوم ده يبجي وده يمشي زي المياتم كده كل واحد يسمع ربع ويمشي عشان غيره يدخل. وأذكر أن زوجة أحمد الجديدة-أم مها جاءت لزيارته ولابسة نقاب غير اللي أم بلال بتلبسه، نقاب حتى عينها مش باينة، يعني الله أعلم مين دي فطبعًا كل الضيوف مشيوا فورًا عشان يجلس معاها وجلست هي بجواره وأعطتني ظهرها فلقيت أحمد بيبصلي يعني اخلع شوية، فبصيتله وقلت له إيه يأحمد فهز دماغه يعني اطلع بره، فقلت له: شوف خرجني من هنا وأنا أبقى ابن ستين كلب واخلع الجزمة واضربني لو وريتك وشي تاني، إلا أنا يا عم أحمد أنا قدرك خلاص وأعتقد أنه كان ناسي إني محبوس معاه وفاكرني جاي أزوره، وطبعًا لما فكرته إني محبوس معاه وتأكد

أني مستحيل أخرج وأسيبه مع الحاجة كأني حكمت عليه بالإعدام، وقلت له: بص أنا أقصى حاجة هاعملها إني أديك ضهري بس احلف إن دي مراتك فلقيتهم الاتنين ماتوا من الضحك.

عندما جاء الليل وأغلقوا علينا الغرفة سألت أحمد ما يمكن إنت حولت فلوس أو اشتريت دهب وفلوسنا موجودة برة، فقاللي تصدق وتؤمن بالله: وكيل النيابة بيفهم أحسن منك لو كلامك صح كانوا طلعوا كشف الحساب مدين يعني ناقص اتنين مليون ومكتوبين في خانة منه، هو أنت مش معاك بكالوريوس تجارة فقلت آه ليه، فقاللي: مادرستش الكلام ده؟ فقلت أنه مادرسوش لينا تجارة العملة لأنها ممنوعة، وبعدين العميد كمال أبو الخير أقسم بالله لو شاف كشف الحساب ده كان ضرب نفسه بالرصاص ده مرتبه 300 جنيه.

المهم جه وقت الجد وجاء الأستاذ نعمان جمعة وقابلنا في الغرفة وقال شوفوا أنا هاكلمكم بصراحة مافيش قضية ومستحيل يحولوها جنايات لأن مفيش معاكم موظف متهم، وعشان تكون تسمي استيلاء لازم يكون فيها موظف عمومي، وطبعًا ده كان أول احتكاك لنا بالنيابة والقضاء فكنا قاعدين مبلمين ولا فاهمين حاجة، وقال نفس كلام أحمد انتو كشف الحساب فيه حسابكم دائن ومش مدين، بس الموضوع فيه إن يعني حد متدخل فيه وهما هيستخدموا أقصى مدة للحبس الاحتياطي وممكن تبقى 6 شهور وممكن يطلبوا خبير ويطولوا المدة، فقلت له طب إيه المطلوب قال لو اتنازلتوا عن المبلغ هاتخرجوا فورًا فقلنا نتازل عن إيه دي مش فلوسنا، وبعدين هما لو حق ياخدوها من غير إحنا مانتنازل واسمحولي أخرج عن الموضوع وأرسل رسالة إلى من يحكم مصر.

طبعا الأمور وضحت لنا بعد ما أصبحنا لنا شوكة وعرفنا أن رئيس البنك كان فؤاد سلطان وزير السياحة الأسبق وعينوه في البنك لعلاقاته رغم عدم معرفته بأي شيء لا في السياحة ولا في الاقتصاد. وأنا بأحذر رئيس الدولة القادم من تعيين الوزراء السابقين

والمسؤولين السابقين في البنوك والشركات الخاصة لأنهم يستخدموهم للبلطجة على الناس في غالب الأمر مقابل رواتب ضخمة، وسأتطرق لهذا الأمر بالتفصيل فقد عمل عندي في الشركة كثير من الوزراء السابقين.

المهم طبعًا رفضنا أنا وأحمد العرض تمامًا فمعظم الفلوس اللي في البنك كانت ملك الحاج أحمد عبيد. وسألني أحمد عن الفلوس اللي في بيتي والدهب فأخبرته أني قلت للحاج محمود ياخدها عنده وأعطيته أسماء التجار اللي ليهم فلوس والدهب يوديه للخواجة (مش هاقدر أقول اسمه) فقاللي طب الحمد لله وكان وجه الأستاذ فريد الديب وكنت أعرفه من سنتين ولم يكن مشهورًا، وكان أول مرة يعرف أحمد في هذا اليوم وبعد كده طبعًا انتو عارفين إنه أصبح مستشار الريان. المهم الأستاذ فريد قال ده تهريج عليًا الطلاق دي براءة غيابي، ومستحيل النيابة تخاطر وتحولها جنايات أنا أنصحكم تتحملوا الحبس وماتتنازلوش. وكانت أختي الصغيرة إيمان تزوجت حسن صاحبي الله يرحمه، اللي كنت باستلف عجلته وأروح بيها لجولييت، وكان زوج عمته المستشار إبراهيم القليوبي النائب العام السابق كان لسه طالع معاش طازة ولسه هيبته موجودة وطبعًا جالنا القسم والقسم اتقلب رأسًا على عقب، وبصراحة اترسمت على أحمد جامد إن النائب العام السابق نسيبي. وطبعًا فريد شرف خلاه يقابلنا في مكتبه ولما شاف القضية قال نفس الكلام، بس قال أحمد العشماوي ده صعب وطالما أخد القرار ده يبقى مش هيرجع فيه، وأنا هأقدم تظلم للنائب العام وأشتكيهم وطبعًا أنا قلت لأحمد قوم نجهز هدومنا لأن خلاص ده نائب عام يا عم أحمد هيخش يشتمهم ويخرجنا. واللي عرفته بعد كده إن النائب العام مارضيش يقابله أصلا وحوله على النائب العام المساعد ورجع طبعًا بخُفي حُنين وقال هنتسنى تجديد الحبس وأنا هاتصرف.

زعم الفرزدق أن سيقتل مرْبَعاً   أبشر بطول سلامة يا مربع

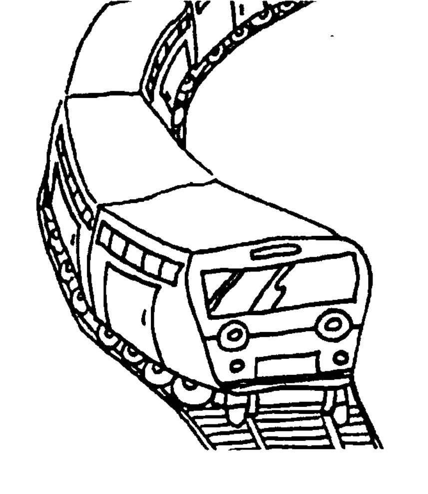
وبعدين قعدنا أسبوعين في شد وجذب إلى أن جاءنا الحاج أحمد عبيد وقال الفلوس

دي بتاعة مين فقلناله 80٪ منها بتاعتك والباقي بتاعتي أنا وأحمد فقال: اتنازلوا عنها وأنا هاديكم فلوسكم فلم نستوعب فقلنا له: إيه؟ فأعاد الكلام وقال أنا أكبر منكم بعشرين سنة في العمر وبألف سنة في الخبرة لو بقيتوا في السجن 6 شهور مش هتقوم لكم قومة تاني لكن لو خرجتم فالحقوق لا تضيع وسنقاضي البنك في الوقت المناسب ولكن أنتم الآن الحلقة الأضعف، وليس من الكياسة أن يدخل المرء حربًا هو الخسران فيها حتى لو ربحها، وطبعًا كانت جملة أكبر من أن نفهمها ساعتها ولكن كانت بمثابة طوق نجاة لنا. ولكن فوجئت أنني قلت له لالالالالالالالا مستحيل نتنازل يا حاج وإنت ذنبك إيه وأيدني أحمد في كلامي، فقال الحاج أحمد عبيد: أنا قلت اللي عندي وانتو أحرار ومشي وطبعًا أنا وأحمد كنا هنطير من الفرح وقالي إنت ليه قلت إننا مش هتنازل فقلت بجامله ياحمد بجامله، يعني الراجل يحس إن إحنا ما صدقنا فقاللي: أنا برضه حسيت إنك بتنصب فنصبت معاك. فقاللي نبعت بقه لفريد ولا نعمان ولا لقريبك الطيب ده، وقاللي بصراحة بلاش قريبك لأنه ممكن يسجنا وقعدنا نهزر واطمنا خلاص إن احنا هنروح بيوتنا بكرة لامحالة.

ذهب المحامون إلى النيابة وطلبوا حضورنا للتنازل وبالفعل طلبونا ورحنا النيابة وتنازلنا وصدر أمر الإفراج واضطررنا للرجوع إلى قسم الدقي وسلموا أمر الإفراج إلى المأمور، ووجد فيه أنه موجه لسجن طرة وفي أقل من خمس دقائق كنا في حال ورحنا لحال، أتاري إن حبسنا في قسم الدقي كان خطأ واتقلبت الدنيا على رأس فريد شرف وحس إن نهايته على أيدينا، وجه اللواء كمال والحاج محمود والمحامون واجتمعوا أكتر من ساعتين وبعدها قرروا إن إحنا لازم نروح ننام في طرة بس لازم يكون معانا خطاب من أمن الدولة إن إحنا انتهى معنا التحقيق وغير مطلوبين ونترحل على السجن، وبعد يوم يروح أمر الإفراج وكل اللي فات كووووووووووووووووووووم واليوم ده كووووووووووووووووووووم.

وكنت أول مرة في حياتي أشوف عم نمر اللي بيفتش المساجين وهما داخلين واقترح أحد المحامين المحترمين جدًّا وغالبا كان نسيبي إن إحنا نترحل للسجن عن طريق المواصلات العادية عشان الأمر يعدي عادي. وكان يوم أسود طلع معانا شاويش وكان خايف أصلا من اللي حصل، وكان رافض بس فريد شرف أقنعه وكان قرفان مننا فربطنا في الحديد ومشينا في الشارع وأحمد يمشي بسرعة زي ما يكون رايح الجنة بس أنا حسيت إنه متعمد يعذبني لأني لازم أنحني وأنا ماشي جنبه. وكان يوم أسود لحد ما وصلنا السجن وأول ما وصلنا شفت عالم تاني لأول مرة أشوفه في حياتي فراح الشاويش عند الباب وقال معايا إيراد. فنادى منادي أن افتحوا غرفة الإيراد بس يمروا على عم نمر الأول. فدخلنا على عم نمر هو راجل طيب شبه عشماوي وهو عنده إمساك يعني وشه مالوش ملامح، وقال بطايقك والأمانات اللي معاكم فرد العسكري: قال يعني الفلوس اللي معاكم فأنا كان معايا 500 جنيه وأحمد برضه كده فأخد مني الفلوس وقاللي: أكتبهم كام؟ فقلت له: يعني إيه؟ فرد عسكري قاللي يعني ياخد منهم كام. فقلت له ياخدهم كلهم. فقال: خلاص إنت براءة، فقلت له يعني أروح قال لا براءة من الشربة. وأحمد قاله وأنا كمان عايز براءة ماتكتبش حاجة وقال خدوهم على الإيراد دوغري وإحنا رايحين قابلنا شاويش طيب تاني قال ادخلوا هنا عشان تشربوا الشربة، فنادى عم نمر عليه وشاورله خلاص دول تبعي. ومن يومها أنا وعم نمر أعز أصدقاء، لأن الشربة دي لازم المساجين الجداد يشربوها عشان لو مهربين حاجة في بطنهم تنزل.

ودخلنا غرفة الإيراد وليت أمي لم تلدني خليت أحمد كان هيسيب الإسلام كله.



محطة (18)

دخلنا غرفة الإيراد وكأننا في حياة لا نعرفها واعتقدت أن هذا يوم القيامة وأنا وأحمد دخلنا جهنم وحطونا في الدرك الأسفل. وبدأت أنظر بذهول لكل من حولي وأتذكر جيدًا أن أحمد لم يكن يشغله في الحياة إلا ردة فعلي، وكأنه يعلم أن عذابه الحقيقي هو أني معه، كما كان محمد ابن خالتي ونحن في سوق اللحمة كان أسوأ خبر سمعه في حياته أنني سأرافقه في إفراغ حمولة التريلا من صناديق اللحمة، ولكن كان حال محمد أرحم بكتير فكان لديه الخيار أن يتركني ويذهب ولكن أحمد لا، فقد أغلقوا علينا أبواب جهنم وتركونا. وبدأت أسمع تعليقات المساجين ولم أستطع أن أُميز هل هم بشر مثلنا أم أن هؤلاء يأجوج ومأجوج. وجلسنا في ركن أنا وأحمد وبدأت أنا في البكاء بحرقة وهو يحاول تهدئتي وعلى فكرة هذا المشهد ظهر في المسلسل ولكن طبعًا كان محرفًا جدًّا فكان (خالد سرحان) يجسد شخصيتي و(خالد صالح) أحمد الريان.

وقال لي أحمد: إنت ليه بتعيط دلوقتي إحنا خارجين الصبح. فقلت له: لالالالالالالالا أنا قلبي حاسس إن دي نهايتنا. فقالي: إنت فقري إشحال لو ماكنتش شفت أمر الإفراج بعينك وقريبك هو اللي اقترح إن إحنا نيجي هنا. ودون جدوى حاول إقناعي أننا سنخرج غدًا ولكن لم أقتنع وظل الرعب رفيقي إلى أن بدأ المساجين يقتربون منَّا وسأل أحدهم أحمد هو الشيخ اللي معاك ببعيط ليه؟ فقاله: خايف إن إحنا ما نخرجش. فقاله: إنتو جايين في إيه؟ فقاله: عملة. فضحك الراجل بصوت مرعب أول مرة أسمعه في حياتي وقال: إنتو احتياطي ولَّا محكومين؟ فأحمد قاله: لالالالا إحنا إفراج وجايين

نخرج من هنا فضحك الرجل وكأنه يسخر من كلام أحمد وقاله: يا بني محدش بييجي هنا عشان يخرج تاني يوم سيبه يعيط هو فاهم أكتر منك.

وساعتها تحولت كالمرأة الموتورة اللي ابنها مات وأحمد يقوله: يا عم حرام عليك إنت كده هتموته، وجه الراجل جنبي وقالي: إنت خايف من إيه؟ فقلت: خايف ما نطلعش. فقالي: ما تخافش هتطلع بس إمتى الله أعلم فمرديتش عليه لأني كنت خلاص محتاج تبديل جلد وعضم ولسان زي اللي ربنا هيحرقهم ويرجع يبدل جلودهم. واتلم علينا المساجين وكل واحد بسؤال وفيهم اللي جاي عايز فتوى مننا، وكلهم بيقولوا يا عم الشيخ وأحمد بدأ يفتيلهم كل واحد على حسب سؤاله. وأذكر ساعتها فتحوا باب الزنزانة ودخل شاب بيعيط زيي بالظبط ووقف على الحيطة ويخبط رأسه في الحيطة فقام الراجل أبو صوت جهوري وقاله: إنت بتعيط ليه ياض؟ فقاله: حكموا عليًا بست شهور فراح شاتمو شتمة قبيحة وقاله: الله يخرب بيتك وبتعيط ده أنا قضيت الست أشهر دول في السجن حموم بس يعني مش حاسب الخلاء لأنه بقاله 23 سنة في السجن. ومر الليل علينا ولم تر عيني النوم وساعة أذان الفجر أذنت الفجر والغريبة إن كل اللي في الزنزانة صحيوا يصلوا وطبعًا معظمنا تيمم لعدم وجود ماء.

وكان الإمام أكيد أحمد والحمد لله إن ما صلاش بسورة البقرة كنا كلنا علقة فوق العلقة. والحمد لله كانت صلاة الفجر لها أثر شديد على كل من في الزنزانة وزاد احترامهم لنا. إلى أن جاء الصبح وفتحوا الزنزانة عشان اللي عايز يروح الحمام ومن غير تفصيل كانت حياة غير آدمية بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولم أخفِ سرا على أحمد فقد أخبرته أني ما بهزرش وإن لو ماخرجناش النهارده أنا هاموت إما موتة ربنا أو منتحر فلم يرد عليًا .

ثم أذن موذن النار انتباااااااااااااااااااااااااااااه، فوقف كل من بالزنزانة وطلب منا الحارس الخروج صفًا صفًا للتسكين فسألت يعني إيه تسكين فقالوا يعني توزيع الإيراد على العنابر كل حسب تهمته، يعني اللي جاي في مخدرات يروح عنبر المخدرات واللي جاي في قتل يروح عنبر القتل واللي جاي في نصب يروح عنبر النصب واللي جاي في دعارة يروح عنبر الدعارة، رحت لاطم على وشي وقلت لأحمد مش قلتلك مش خارجين.

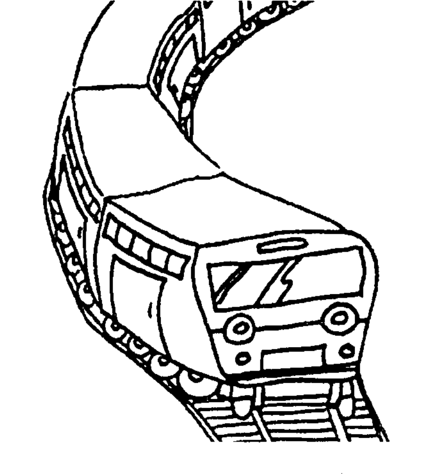
يعلم الله أنني لم أتمنَّ أبدًا أن يبتليني الله بحكم مصر إلا من أجل شيء واحد هو سجون مصر، فو الذي نفسي بيده لو مكنني الله من حكم مصر فسأقسم اليمين وأتجه فورًا إلى مصلحة السجون وسأذهب إلى جميع سجون مصر سجنًا سجنًا ولن أتدخل في أحكام القضاء ولو كان بيدي سأعفو عن كل من فيها مهما كانت جرائمهم وأقول لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء، وأفتح صفحة جديدة ولكن ما سأفعله بالتأكيد هو تحسين السجون وجعلها تصلح للحياة الآدمية، فكم تمنيت وأنا مسجون أن أكون قطة فقط كنت أرى القطة داخل السجن تعيش أفضل بكثير من معظم السجناء.

وأذكر يومًا أن الحارس أغلق عليًا الزنزانة والقطة داخل زنزانتي نائمة وعندما استيقظت وشعرت أنها مقيدة الحرية كادت أن تفترسني، وظللت أصرخ بأعلى صوتي حتى جاء الحارس وأخرجها وكان وقتها وزير الداخلية من أعز أصدقائي وهو محمد عبدالحليم موسى وأرسلت له خطابًا قاصًا فيه ما حدث للقطة وسأحكي قصتي مع هذا الرجل الفاضل في وقتها.

المهم وقف الضابط ينادي على كل مسجون وينظر في أوراق حبسه ثم يرسله إلى العنبر التابع للجريمة التي ارتكبها، ثم جاء دوري أنا وأحمد فظننت أنه هيقول للعسكري وديهم عنبر العملة ولكن قال كلمة نزلت على نفسي كالصاعقة، وكأن كل ما حدث كان لا شيء، وتمنيت بالفعل ألا أكون موجودًا في الحياة وتيقنت بعدها أننا هالكون لا محالة، حين سمعت الضابط يقول للشرطي وديهم عنبر السرقة.

وأخدنا العسكري وكأن على رؤوسنا الطير ومشينا معه مستسلمين حتى اقتربنا من عنبر السرقة وحدفنا فيه وأغلق باب العنبر، ويعلم الله بحالي وقتها وأنا ألعن اليوم اللي تيفت فيه الفلوس. وكان كل من في الزنزانة الحقيقة ناس أفاضل أول مرة في حياتي أتشرف بالجلوس معهم، ورغم أنهم استقبلونا بكل احترام وظنوا إن إحنا

ملائكة جايين نعلمهم التوبة إلا أن أصواتهم كانت غريبة وأرق واحد فيهم كان زي على الشريف الله يرحمه في «أفواه وأرانب». ولن أجد وصفًا في القاموس المحيط أو الزمخشري لأصف ما رأيت، وطبعًا أحمد كان بيجهز نفسه لتكفيني والصلاة على جثماني في الصباح على أقصى تقدير، ولكن الله خيب ظنه وأراد أن أفرح قبل أن أموت، ففجأة جاء العسكري وفتح باب العنبر ونادى علينا وتهلل وجهنا وقال لي أحمد شفت الإفراج جه وكم كانت فرحتي بهذا النداء، وندمت أني يئست من رحمة الله وجلست أستغفر الله حتى وصلنا إلى الضابط فقال للعسكري دول طلعوا نصب واحتيال مش سرقة وديهم عنبر النصب.



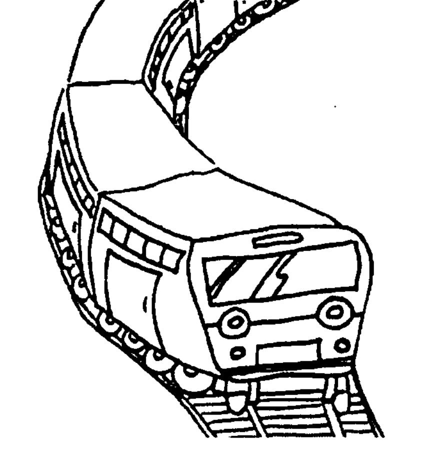
محطة (19)

ذهبنا إلى عنبر النصب وكأننا دخلنا عالمًا آخر فأنت عندما تدخل هذا العنبر تشعر أنك بين أذكياء العالم، وطبعًا معظمهم غاية الوسامة رغم ارتدائهم زي السجن، وطبعًا معظمهم رجال أعمال زيي أنا وأحمد وطريقة الاستقبال مختلفة تمامًا. وطبعًا لم نكن اشتهرنا على المستوى العام ولكن كنا الوحيدين أومات دقون داخل العنبر وبقى شكلنا إحنا اللي يخوف.

وعندما جلسنا في المكان الذي خصص لنا بدأ زمايلنا النصابين يقدموا نفسهم لنا ويستفسروا عن سبب تشريفنا وطبعًا ماطلعناش أي كلام لأننا اكتسحناهم، لأن أيامها أجدع نصاب فيهم كان داخل في نص مليون جنيه وأغلبهم نصب على البنوك، فلما عرفوا إن إحنا داخلين في اتنين مليون دولار أصبحنا في أقل من ثانية باشوات بدل يا عم الشيخ، فأصبح الجميع يناديني أنا وأحمد بالباشا. وبصراحة نفسيتي ارتاحت شوية وطبعًا كل واحد ينادي النبطشي بتاعه عشان يخدمنا والنبطشي اسم مشهور في العنابر، فكل واحد غني بيتبنى مسجون فقير عشان يخدمه مقابل أجر يومي، وطبعًا 90٪ من المساجين في خدمة 10٪ فمن الممكن تلاقي واحد عنده أربع مساجين بيخدموه، وسبحان الله اللي يتأمل في المشهد بهدوء يجد أن ربنا بيسجن الأغنياء عشان فقراء المساجين لأنهم بيتكفلوا بيهم وبأهاليهم خارج السجن، ولذلك عندما يُعلن أن رجل أعمال مشهورًا تم سجنه بيبقى فرح عند المساجين، وهذا الشيء عشته أنا اتسجنت في قضية توظيف الأموال وكان معايا الأستاذ عبد اللطيف الشريف فكان المساجين في فرح شديد وكنت باحس إنهم بيصلوا مخصوص عشان يدعوا ربنا ناخد تأبيدة.

المهم بدأت أهدأ تمامًا لأن كل اللي كانوا في العنبر خبرررررررررررررررررة، وطبعًا تسأل أي واحد فيهم لازم يطلع بريء والدولة هي اللي حرامية. وده طبعًا خوفني في بداية الأمر لكن لما حكينا القصة لناس فعلا بتفهم في القانون أكدوا أن ما يحدث لنا أمر طبيعي وأن طالما أمر الإفراج صدر يبقى المسألة مسألة وقت. وبصراحة كان أول يوم داخل عنبر النصابين ممتع للغاية وتحولت الجلسة إلى جلسة ضحك من القصص اللي بنسمعها من زمايلنا النصابين وشاي في قهوة في فاكهة وحلبة وسحلب كأنك في مقهى الشيراتون، ولو كنا في الجاهلية كنا طلبنا بيرة بس بصراحة حتى اللي بيشرب بيره احترمونا وماشربوش بس الحقيقة قالولنا ده النهارده بس احترامًا ليكم لكن بكره هنشرب وطبعًا ضحكنا وتغير جو السجن. وفجأة سمعنا صوتًا من الخارج بالليل بينادي على اسمي أنا وأحمد وبيقول إفراج فطبعًا أنا طرت من الفرح وقام المساجين يحضنوا فينا زي فيلم «الليمبي» والله العظيم. وافتكرت إن إحنا هانروح ساعتها لكن أصدقائنا النصابين فهمونا نظام السجن وقالولنا ده لازم ينادي على المساجين بالليل اللي عنده جلسة أو إفراج عشان يبقى الصبح جاهز فطالما نادى عليكم يبقى أمر الإفراج وصل، وطبعًا ماكنش فيه موبايلات عشان نتبادل الأرقام لكن عرفناهم عناوينا وأماكن تواجدنا ووعدونا أنهم لما يخرجوا هيزورونا وطبعًا كان أسعد خمس ست ساعات حتى شقشق الفجر وأذّنت وأنا فرحان طبعًا والحقيقة معظم اللي في العنبر من أصدقائنا النصابين كانوا بيصلوا طبيعي لكن كان لوجودنا أثر في حياتهم.

المهم خرجنا من السجن وكان في انتظارنا خارج السجن ناس كتير وعلى رأسهم فتحي توفيق، وأعتقد أنه كان قد اتخذ قرار الانفصال وطلاقي من أحمد ولكن لم يكن قد قرر أنه طلاق بالتلاتة لارجعة فيه، وهذا ما حدث بعد خروجنا فشعرت أن الطلقة الأولى وقعت.



محطة (20)

طبعا قبل ما نتفق على الطلاق اكتشفنا سر القضية أن البنك كان يضارب في العملة وخسر مبالغ كبيرة وطبعًا كان واضح لكل من يعمل في البنك أننا دراويش. وعلى أية حال عندما قويت شوكتنا كان لنا رأي آخر وكلمة أخرى ولعدم استنزاف الوقت في تفصيلات ليس لها تأثير فيما حدث لاحقًا، سوف أقفز فوقها وربما أعود إليها إذا أجبرني سياق الأحداث فأنا أكتب بتلقائية شديدة كيفما تقفز الأحداث إلى ذهني.

وكلما حاولت أن أستدعي الحدث أجده يهرب ويشتتني فأنا مجبر ولست مخيرًا فيما أكتب، صدَّق من صدق وأنكر من أنكر ولكنها هي الحقيقة.

ووقع الطلاق بمنتهى الحب وكان تسريحًا بإحسان من كل طرف، ولكن من الأكيد أنني وفتحي كان من المستحيل أن نقود سفينة معًا، ولو كان الأمر ضيقًا والسوق لايتحمل إلا واحدًا فغالبًا كنت سأكون أنا في القبر، ولكن الأمر كان يختلف عن صراع الحكم فالحكم مستحيل يكون لشخصين وهذه سنة الله في خلقه، فالقوي هو من يحكم ولكن في قصتنا كان الأمر يحتمل أكثر من إمبراطورية، ولذلك كان الانفصال مملوءًا بالحب ولا يخلو من التنافس المشروع، فقد شعرت من أول يوم أن أحد أضلاعي خلعت مني ولست أدرى هل هذا كان شعور أحمد وقتها أم لا، ولكنني جلست فترة أحاول التأقلم على الحياة دون أحمد فقد كنت أشعر أنه ظلي والعكس وكل ما يحضرني الآن أنني عدت لتجارة العملة وكنت مع الأستاذ سامي على حسن. وكان قد ترك بنك إسكندرية الكويت وذهب إلى «الوطني المصري» بعبد الخالق ثروت وكم كانت فرحته أني عدت إليه.

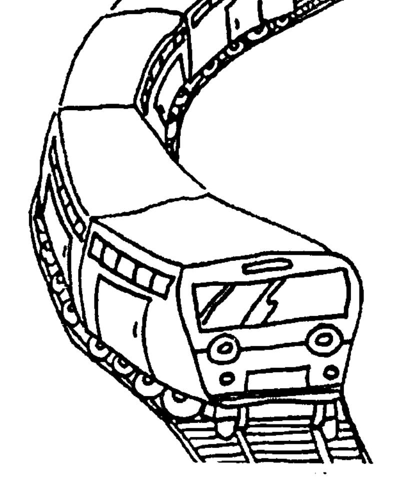
وما علمته من السوق أن أحمد وفتحي عادا لتجارة العملة وقد اتخذا البنك المصري الإفريقي مقرًا لهما. وطبعًا بعد القضية أصبحنا تحت الضوء أكثر لمباحث الأموال العامة وكان وقتها يرأسها اللواء حسن الألفي وكان بعبع تجار العملة في مصر العميد علاء عباس، ولمن في هذا الوقت كنا قد كبر حجمنا وأصبحنا نتلقى العملات داخل البنك وإن لم تخني الذاكرة كانت نهاية عام 80 أو منتصف 81، وارتبطت جدًا بالأستاذ سامي وكان هو طبعًا رأس العملة في مصر بلا منافس، وكانت كل تعاقداته تأتي له من خلال رئيس البنك فكل عملاء البنك يشترون من الأستاذ سامي وتدفق العملة لديه اليومي ضخم جدًا. ومرت الأيام والمنافسة مشتعلة ببرود بيني وبين فتحي فكنت حريصًا أن أعرف أخبارهما والعكس وكنا نلتقي في بعض الأحيان أسبوعيًا، وكان فتحي يتعمد أنه يقذف معلومة تغيظني فمثلا يجيله تليفون وإحنا قاعدين فيقول لمن عالهاتف حولت العشرين مليون؟ وطبعًا أنا أعمل مش واخد بالي.

ومرت الأيام واستيقظت في يوم على خبر اعتقال سامي على حسن إمبراطور العملة، وكان العنوان الرئيسي في الصحف واهتز السوق العالمي بلا مبالغة. وكان عنوان الخبر الرئيسي أعلى الصفحة في كل الصحف اتنين مليار دولار حجم تعاملات إمبراطور العملة في الشهر، وحتى أنا أقرب المقربين إليه، بل كنت أعتبر نفسي هو شخصيًا أذهلني الرقم، وافتكرت لما قلنا لزمايلنا النصابين اتنين مليون قلبوا الدنيا فقلت في نفسي زمانهم ماتوا لما شافوا سامي.

واختصارًا للوقت مر شهران وسامي لم يخرج من السجن ووجدت رئيس البنك يطلب مني أن أغطي ما كان سامي يورده للبنك وافتكرته بيهرج وقلت له: أنا لو قدرت أدبر خمسة مليون في اليوم أبقه بطل. فقاللي أنا هاوفرلك ما لم أوفره لسامي حتى نتفادى الأخطاء التي وقع فيها سامي. وأقسم بالله لم أفهم منه كلمة واحدة لأني أصلا لم أكن أتوقع أن سامي ممكن يقع في خطأ أنا أستطيع تجنبه. وكنت متأكد رغم صغر سني وقلة خبرتي مقارنة بسامي أن سبب اعتقاله هو تضخم حجمه مع صغر سنه والحسد، وطبعًا

أنا بشر ولست ملاكًا ولم أتعظ رغم أنني كنت متأكدًا أن ما حدث لسامي كان حسدًا ولعله من أقرب الناس، ولكنني مشيت على نفس الطريق وعملت نفسي مش واخد بالي وطبعًا شياطين الإنس أشد تأثيرًا من شياطين الجن، فكان أغلب الذين أقابلهم ويمكن كنت متعمد كانوا يحكون لي قصة سيدنا سليمان وإن الله أتاه الملك ومافيش حد بيجيب سيرة الأنبياء أولي العزم اللي كانوا رعاة غنم ومش لاقيين ياكلوا، أو حتى في سيرة الصحابة كنت تجد ابن عوف وعثمان متصدرين المشهد، والصحابة اللي كانوا الأغلبية وماتوا وهم لم يشبعوا يومًا نسيتهم أو تعمدت نسيانهم.

على العموم سأخرج من الوعظ والإرشاد إلى الحقيقة التي لن أستطيع أن أنكرها، فقد بدأت الحرب المعلنة بيني وبين فتحي إلى أن أصبحنا إحنا الإتنين أكبر قوة ضاربة لتجارة العملة في مصر بل في الشرق، وحتى الأموال العامة لم تستطع أن تقبض على أحدنا متلبسًا بتجارة العملة. وكنت أشعر أن فتحي استطاع اختراقهم، ولكنه كان مجرد إحساس فقط إلى أن أتى اليوم الذي غير خريطة الطريق بأكملها.

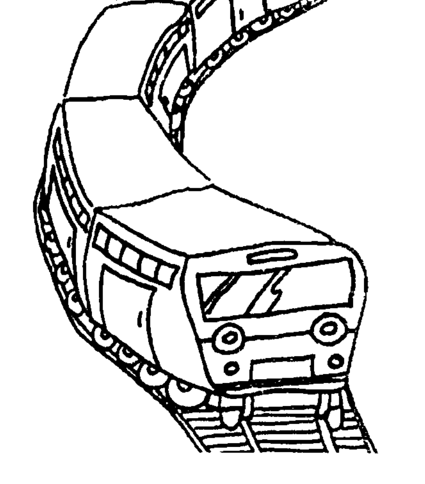


محطة (21)

قبل أن نذهب لنشاهد حرب داحس والغبراء معًا ونستمتع بأحداثها دعوني أعود بكم إلى أحداث متفرقة ربما ليس لها دخل بما سيحدث، ولكنني لا أستطيع المرور عليها مر الكرام. وقبل أن أخبركم أن الحاج أحمد عبيد أصبح في صفي فسأعود بكم إلى حبيب قلبي محمد رضوان وكيف رددت له الجميل الذي ما زلت أشعر أنه دين في رقبتي، فأنا أكتب ما حدث دون تزويق ولا تنميق. فكل ما أذكره أنني تعرفت على شاب ملتحٍ ولست متأكدًا متى وإن كان من طرف أحمد أو بسبب شهرتنا داخل الجماعات وقتها، ولكن ما أذكره كأنه حدث اليوم هو أنني تعرفت بشاب وكنت وقتها لي شنة ورنة داخل أوساط تجار العملة وبعض أصحاب الشركات الضخمة الذين كانوا يشترون مني العملة. وتعرفت على هذا الشاب الملتحي الذي كان وجهه يضيء مثل القمر وكان كالعذراء في خدرها من شدة الحياء والخجل وكان على درجة عالية جدًّا من الفقه، وكان يحفظ القرآن كاملًا وتقريبًا أحاديث البخاري ومسلم، وكنت قد تعلقت به جدًّا وأذكر أنه كان لا يفارقني لمدة لا بأس بها وأخبرني أنهم يبنون مسجدًا في ناهيا، أكيد كل واحد دماغه هتروح لعائلة الزمر، ولكنه لم يكن من عائلة الزمر. المهم لم يكن أحد يرى هذا الشاب إلا ويحبه وكان مهندسًا مدنيًّا معيدًا بكلية الهندسة وكان دائم الابتسامة. وطبعًا أنا أكثر واحد تبرعت لبناء المسجد وكان أي تاجر أو رجل أعمال يقابلني وهذا الشاب معي أقول له تبرع للشيخ لبناء المسجد في ناهيا، وطبعًا كلهم عايزين يتقربوا إلى الله وأسهل شيء للغنى يتقرب به إلى الله هو المال، فالغنى مستعد للتبرع يوميًّا في سبيل إن ربنا يغفره البلاوي، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

سبق درهم مائة ألف درهم فقالوا: كيف يارسول الله. فقال: رجل يملك درهمين فتبرع بدرهم لله، ورجل يملك آلاف آلاف الدراهم تبرع بمائة ألف. فالأول تبرع بنصف ماله والثاني لم يؤثر تبرعه في ماله.

وعلى ما أذكر أنني جمعت للشيخ أكثر من نصف مليون جنيه لبناء المسجد. وطبعًا زارني محمد رضوان وهو عندي وتبرع بمبلغ محترم وتعلق جدًّا بالشاب وأصبح يزور محمد في الكافتيريا. وفي يوم جاءني الشاب وأخبرني أنه شاهد أخت محمد رضوان في الكافتيريا وأنه يريد الزواج منها فطار قلبي من الفرح وذهبت لمحمد وأخبرته وفرح جدًّا، ولكنني ذكرته بأن الشاب في بداية حياته وليس عنده مال فقال يا شيخ أشرف عيب تقول كده أنا متكفل بكل شيء، وأخبرت الشيخ وراح جلس مع العائلة وحبوه جدًّا وتعلقوا به وقرأوا الفاتحة وحددوا ميعاد الزواج، ومحمد تكفل بكل شيء وكانت فرحة عارمة. ومر شهر ولا أذكر لماذا سافرت إلى سويسرا لمدة أسبوع وأثناء عودتي في الطائرة مرت المضيفة بعربة الصحف وسألتني إذا كنت أريد صحيفة أتسلى فيها ففكرت ثواني وقلت لها الأخبار من فضلك، وأعطتني الجريدة ولسه بافردها لقيت صورة الشاب صاحبي المؤدب الخجول اللي كالعذراء في خدرها لقيت صورته في نصف الصفحة الأولى، ومكتوب تحتها القبض على الرأس المدبر لحادثة المنصة، وإنه كان الممول الأكبر لشراء السلاح وأنه مرتبط بكبار رجال أعمال كانوا يمولونه.. الجدع يعرف حصلي إيه؟

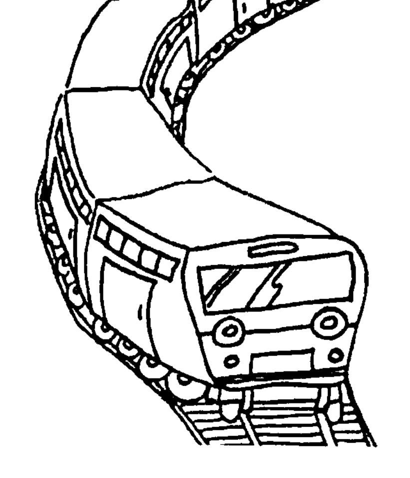


محطة (22)

لم يكن بد من الوصول إلى ما ينتظرني وأصبحت كل الاحتمالات مفتوحة أمامي ولم يساورني الشك أنني سيقبض عليَّ أمام باب الطائرة ولم يحدث فخرجت وركبت سيارتي واتجهت إلى مباحث أمن الدولة فرع الجيزة اللي كنا محبوسين فيها أنا وأحمد، وكان مدير النشاط الديني لواء يسمى محمد بخاتي فعرف أني موجود وكان حبيب العادلي في نفس الفرع مسؤولًا عن النشاط العربي، ودخلت للواء بخاتي أنا رافع إيدي وباضحك فقالي ينفع الكلام ده يا عم أشرف ينفع كده الواد يقرطسك وياخد الفلوس يشتري بيها سلاح، ولولا إن إحنا راكبينه كنت إنت رحت في داهية، بس خربت بيت رضوان الراجل كان بيبيع بيرة دخلته في جماعات وسلاح منك لله، فقلت له محمد مالوش دعوة والله العظيم أنا السبب، قالي ما توجعش دماغي إحنا عارفين كل حاجة وسألته انتو قبضتوا على محمد، فقالي آه وماتسألش كتير وقوم روح هو لازم هيقعد شوية لأن الواد ورطه، وده طبعًا الشيخ صالح جاهين بطل القصة. وخرجت من عنده والدنيا سودة في وشي بسبب ما حدث لمحمد، وقالي وأنا خارج المرة دي جت سليمة بطل شغل الدروشة بتاعك ده. وكان معاهم ابن خالة أحمد الريان وكان شغال معانا وهو من القيادات وعرفت أن أحمد تم سؤاله أيضًا وقالي محمد هيخرج فقلت له والله العظيم محمد بريء، فقالي: إنت هتخليني أزعل منك، فقلت: ليه بس، فقالي: إذا كنا بناخد عمال على بطال كنا خدناك وإنت المسؤول الأصلي بس إحنا راكبينهم من زمان وبلغنا الرئيس بس هو ماصدقش

وقال دول ولادي وعموما ماتدخلش فطلبت منه زيارة محمد فقاللي: مش دلوقتي بس، والله هو محبوس احترازي لأنه معلهوش حاجة وهاطمنك قريب بس روح إنت. والمشكلة إنهم قبضوا على أخته لمدة شهر ولحد الآن لا أعرف لماذا، ولكن الزيارة دي كانت بمثابة شهادة تانية في حق مباحث أمن الدولة فقد جاءتهم فرصة العمر للمرة الثانية ليفجروا أكبر قضية زور ولكنهم رفضوا، وأنا لا أدافع عنهم ولكن أحكي ما حدث فأنا على يقين أن فيهم من لوكنا وقعنا في يده لم يكن ليرحمنا ولكن معظمهم كانوا خيرة رجال الشرطة، ولي معهم مواقف كثيرة ولكن البلاء الأكبر في السجون.

الشيخ صالح جاهين مقبوض عليه الآن في أحداث رابعة بعد أن قضى من عمره 15 سنة، وخرج وعلى حد علمي ساعدته أمن الدولة في إنشاء شركة سياحة وأصبح رجل أعمال، ولكن إيه اللي رجعه بعد المراجعات الله أعلم. فقد كان زميل نبيل نعيم والظواهري، بل كان كما علمت مؤخرًا أنه أستاذ الظواهري والله أعلم بالحقيقة، إلا أنه اعترف بقضية السادات بالتفصيل ولله في خلقه شؤون.



محطة (23)

مرت الأيام وأصبح اسمي واسم أحمد كالطبل في سوق العملة كما أصبح كالطبل عند مباحث الأموال العامة، وكان أمل العقيد علاء عباس هو أن نقع في شباكه بعد أن أصبح اسمه بعبع تجار العملة. وكان وقتها نائب المدعي العام الاشتراكي المستشار حسني عبد الحميد الذي تولى التحقيق مع سامي وأصبح أي تاجر عملة على استعداد أن يقابل ملك الموت ولا يسمع اسم علاء عباس وحسنى عبد الحميد، خاصة بعد القبض على الدكتور مصطفى السعيد وتحويله للمدعي الاشتراكي، وكانت مرافعة حسني عبدالحميد الشهيرة التي قال فيها قولته الشهيرة «وعلى نفسها جنت براقش» وكان يقصد الدكتور مصطفى السعيد.

المهم إنني ولا أدري كيف أصبحت ودون أن أدري كما قلت متمكنًا من سوق العملة في مصر مناصفة مع فتحي وأحمد. وأصبح البنك الوطني مركزي الرئيسي وخصصت لي غرفة الاجتماعات واتطمنت وقتها وعينت عندي أكثر من 15 رجلًا معظمهم من عائلتي لكي يقوموا باستلام العملة من الموردين وجردها، ثم يقوموا بإيداعها في حسابي داخل البنك، وكان أحدهم محاسبًا يقوم بجمع إيصالات الإيداع ويكتب الشيكات للموردين ويأتي بها لي لتوقيعها وبدون أي أسباب معقولة أصبح إيراد العملة اليومي من جميع محافظات مصر يتعدى العشرين مليونًا، ولم أكن أدفع ثمنها إلا بعد بيعها، وكان الطلب أصبح أكثر من الوارد وكل الطلبات كانت تأتي عن طريق رئيس البنك وأصبح

البنك كأنه بنك السعد وليس البنك الوطني وكان والله منظر يخض فعلا. وكان أي حد ييجي يزورني كنت باشوف الدهشة في عيونه وأحيانًا كنت أشعر بشرار الحسد ولكن حب الصعود وفتنة المال كانت بتخلي الواحد يطنش ويعمل نفسه مش واخد باله من الخطر القادم. رغم أني عشت مع شيوخ الزهد وأحببتهم وتأكدت أن طرق النجاة معهم ولو شاء الله ما فاتتني ولكن الله يفعل ما يريد. وحتى لايفهم أحد خطأ فأنا عندما دارت بي الأيام وطحنتني أصبح في يقيني أن فتنة المال هي أكبر فتنة ولاينجو منها إلا من رحم ربي، ومن الأكيد أنني سأتعرض لها بالتفصيل الممل لأنني متأكد أن أطهر وأشرف رسالة هي تحذير الناس من اللهث خلف المال بحجج واهية، وأن الإنسان عندما يرزقه الله بما يكفيه فهذا قمة الثراء وسنستطرد في الوقت المناسب دون تزويق ولا تنميق. فكانت الأرباح تأتي من الهواء وكنا نجد يوميًّا في الوارد كمية لا تقل عن عشرة آلاف دولار مزورة وكنا نضطر لحرقها لأننا لا نعلم من الذي وردها لاختلاط العملة. وطبعًا كان كل يوم يمر أكتسب خبرة والغريبة أن في هذا الوقت رغم أنني لم أكن تجاوزت الثامنة والعشرين إلا أن أصغر واحد في أصدقائي كان يكبرني بـ 15 سنة على الأقل، وفكرت في كيفية تفادي شراء العملة المزيَّفة فأصدرت قرارًا أن كل مورد يجب أن يوقع على كل ورقة، ورغم أن القرار قلل من كمية المزور إلا أنه كان صعب التطبيق. وكان تتبُّع مباحث الأموال العامة لتجار العملة هو المخرج لي من هذا المأزق. وأعتقد أن علاء عباس نجح في تجنيد أحد العاملين معي أو أحد موظفي البنك ليخبروه عن ميعاد وجودي داخل الغرفة وتوقيع الشيكات حتى يصادر المبالغ ويضبطني متلبسًا.

وفي يوم كان الإيراد أكثر من عشرين مليون دولار وكان لي أيضًا عيون تراقب، فأخبروني أن علاء عباس في المصعد مع قوة فخرجت من الغرفة ولم أُكمل عشر خطوات ولقيت واحد بيخبط على كتفي من الخلف، فالتفت فعرفته من صوره في الصحف وطبعًا استعبطت وقلت: نعم تحت أمرك، فقاللي: إنت أشرف؟ فقلت له: مين عاوزه؟ فقاللي: أنا قريبه من البلد، فقلت: أنا أشرف بس إنت مش قريبي. فقاللي: عارف. ومسكني من

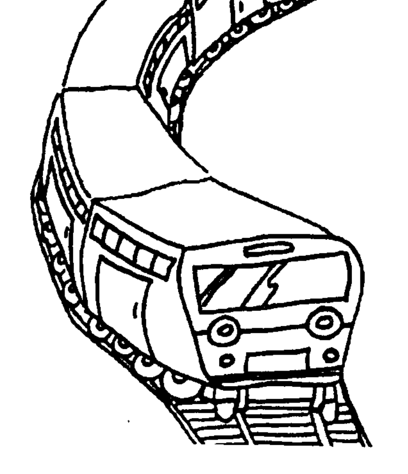
إيدى وقاللي: تعالى معايا، فقلت: فين؟ قاللي: ماتسألش، وطبعًا كان قلبي جمد شوية عن الأول، فقلت له: لا مش هامشي معاك إلا ماتقولي إنت مين. فقاللي: أنا علاء عباس، فقلت له: عارف، وطبعًا هو مابيهزرش ولقيت عينه على الغرفة اللي فيها البلاوي وفيها الراجل المحاسب ومعاه الشيكات موقعة مني والفلوس على الطاولة أكوام أكوام وكل كوم مكتوب عليه اسم صاحبه اللي ورده، يعني أكبر قضية عملة، حتى أكبر من قضية سامي لأن سامي كان لوحده، لكن هنا عصاااااااااااااااااااااااااااااااااابة.

الحقيقة رغم هيبة الموقف وسمعة علاء عباس المنيلة بنيلة وإنه مجرم حرب والكلام ده إلا أني لم أكن أشعر بأي خوف. وسبحان الله برضه الأيام بتعلم أحسن من الجامعات، فكنت أقف أمامه بثبات شديد وحسبتها في دماغي في ثانية وقلت هيعمل إيه يعني هي أقصاها لو أثبت شيء هيصادر العملة والمبالغ الموجودة كلها أصحابها موجودين وماليش فيها ولا مليم.

المهم قاللي علاء تعالى معايا الغرفة. وبصراحة كنت مخصوض من منظر الفلوس ورحت معاه ودخل وقفل الغرفة على كل اللي فيها وكانوا حوالى 30 شخصًا، منهم 15 تبعي، وضربت عيني على الترابيزة مالقيتش ولا مليم، فبصراحة ازداد ثباتي وثقتي في نفسي ولقيت العميد علاء عمال يبص تحت الترابيزة ويدور على الفلوس وهو في حالة يرثى لها، ومثل الثور الهائج يصرخ ويقول فين الفلوس أنا كنت قدام الغرفة وماحدش طلع وبصيت لرئيس العصابة بتاعتي فغمز بعينه إن ماتقلقش فطرت من الفرح وجلست على الكرسي، فقاللي علاء عباس: قوم أوقف ففضلت قاعد، قاللي قوم من على الكرسي الفلوس تحتك، فعرفت إنه مش عارف حاجة ووقفت ودوَّر تحت الكرسي مالاقاش حاجة. وبصراحة اليوم ده كان فاصل في حياتي لأني ولأول مرة أختبر عقلي بسرعة البرق، ولست أدري كيف قلت ما قلت، فوجدت نفسي أتكلم مع العقيد علاء بثقة شديدة وبمنتهى اللباقة والأدب، وسألته ممكن أسأل معاليك سؤال من غير ماتزعل

فنظر لي من فوق لتحت ولم يجب، فلم أنتظر إجابته وسألته هو ينفع معاليك أروح البيت وأقول لأمي إنتي إزاي تقعدي مع أبويا؟ فقاللي: تقصد إيه؟ فقلت له: بلاش دي، ينفع واحد يتزوج أختك ووالدك هو الذي وقع على عقد الزواج وأختك حامل منه وحضرتك تخش البيت وعايز تقتله لأنه اعتدى على أختك؟ فقاللي: إنت هتتفلسف. فباغته وقلت له يا معالي الباشا هو البنك ده بتاع مين؟ وكأني كنت معه في حلبة مصارعة وباغته بالقاضية فشعرت أنه فهم قصدي ولكن كان يستكبر أمام مرؤوسيه وكان معاه مقدم اسمه محمود الفيشاوي كان في قمة الأدب والأخلاق، ونظرت لوجهه فوجدته في قمة السعادة من سؤالي، المهم قاللي: تقصد إيه؟ قلت له: البنك ده ملك الحكومة وتديره وزارة الاقتصاد وحضرتك تبع الحكومة وتديرك وزارة الداخلية يعني انتو الاتنين أولاد الحكومة، وأنا واقف في البنك بأمر رئيس البنك يعني زواج شرعي موثق مش عرفي، وحضرتك لم تجرؤ أن تقترب من غرفة رئيس البنك وجيت تلومني أنا إني اتجوزت البنك والبنك حامل في الشهر التاسع وقرب يولد فهل هذا منطق، ولم يستطع أن يجيب وبدأ يهذي بكلام فاتجهت نحو الباب لأخرج فقاللي: أوقف عندك ماتخرجش. وكانت الأمور مختلفة تمامًا عن يوم القبض عليًا يوم بنك مصر إيران، فسألته بكل ثقة هل أنا مقبوض عليًا؟ فقال: لا، فقلت له: خلاص أنا لازم أخرج حالا وخرجت وهو يتوعدني بصوت عالٍ.

وقاللي: وحياة بنتي يا أشرف هاعملك قضية وهتحصل سامي وخرجت وهو يصرخ فين الفلوس اللي كانت هنا. وذهبت إلى غرفة رئيس البنك فأخبروني أنه غير موجود.



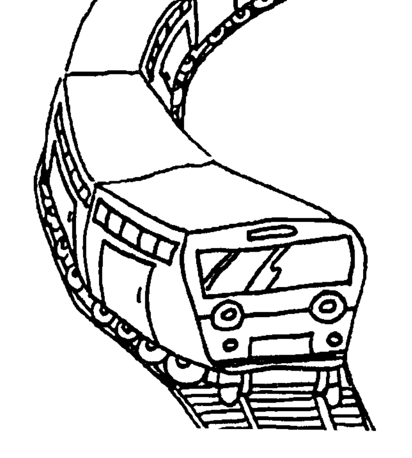
محطة (24)

بعد حادثة علاء عباس قررت ألا أستلم مبالغ نقدية من أي مورد واتفقت مع رئيس البنك أن الموردين يقومون بإيداع العملة في حسابي حتى يكون البنك هو المسؤول عن فحص العملة، وأيضًا حتى لا أعرض نفسي لموقف مثل الذي حدث مع علاء عباس. وبصراحة مش فاكر هل هذا كان اقتراحًا مني أم أن أحد الموردين اللي كان بيورد لأحمد وفتحي ويورد لي أنا كمان، لأن كثيرًا منهم كانوا بيوردوا حسب السعر الأعلى فاحتمال يكون حد منهم بلغني إن أحمد وفتحي بيعملوا كده وأنا غشيت منهم، لكن والله فعلا مش فاكر. ومرت الأيام والعمل يجري على قدم وساق وبهدوء وكان من حين لآخر نسمع خبر القبض على أحد الموردين ولكن بالنسبة لنا كان البنك حماية أكثر، ولكن علاء لم يهمد وبدأ يتربص بكل من يدخل البنك وبصراحة ماعرفش ليه أنا زهقت منه وكرر زيارته لي مرة أخرى وباءت بالفشل، ولكنه كان يتوعدني فقلت له في آخر مرة بقولك إيه أنا هاسيبلك مصر، ومصر عند من عاش في الأرياف تعني القاهرة، يعني لما أكون في القرية واسأل عند حد يقولوا ده في مصر.

ومش فاكر بالظبط إيه الأحداث اللي حصلت جعلتني أترك القاهرة وأذهب إلى السنبلاوين. وأذكر أن أحمد وفتحي تركوا البنك هما كمان واختفوا بس لا أذكر ما حدث أيامها جعلنا نغير في التكتيك. وعلى أية حال أخدت أم بلال وبلال ورحنا السنبلاوين ونزلنا عند حماتي حبيبة قلبي اللي أصبحت أنا عندها ديك البرابر بعد ما كانت مش طايقاني، وبدأت ممارسة تجارة العملة من السنبلاوين وغيرت التكتيك. وكان التجار

بيجيبوا العملة فكنت عامل وكر في القرية، ميت غريطة مركز السنبلاوين. وخلوني أنتقل من التفاصيل التي لا فائدة منها فلم تكن أبدًا مؤثرة في الأحداث، ولكن الذي أذكره وأنا مطمئن أنني قررت أن أمارس عملًا تجاريًا يكون واجهة لتجارة العملة وكانت هذه الفكرة هي نقطة التحول الأساسية في حياتي.

وكنت وقتها مشهورًا جدًّا داخل أوساط كبار التجار في جميع المحافظات وخاصة محافظة الدقهلية التي أنتمي إليها. وكانت حماتي تسكن في عمارة على شارع المعاهدة في السنبلاوين يملكها صاحب مصنع جرارات زراعية اسمه عبد المنعم كشك. وكان راجل ثرى وطيب جدًّا وكان بيحبني جدًّا. وكان تحت العمارة مخزن كبير فطلبت منه تأجيره فوافق فورًا. وكان فيه غرفة صغيرة بداخله عملت فيها مكتب صغير وعن طريق خال أم بلال اللوء يحيى الزلفي اللي كان يشغل منصبًا مهمًّا في المخابرات اتصل باللواء كمال الطناحي مدير إدارة المبيعات في مصنع شويبس الذي كان يملكه المهندس عثمان أحمد عثمان وذهبت إليه وطلبت منه أني أكون وكيل شويبس في السنبلاوين، وكان التأمين المطلوب خمسة عشر ألف جنيه 15000 فدفعتهم وأرسلوا لي حوالى ألف صندوق شويبس وطبعًا كنا بنشربهم أنا وقرايبي. بس كنت كاتب على المخزن من الخارج شركة آل سعد للمياه الغازية. كان الاسم الأصلي آل سعد، مش السعد وعملت سجل تجارى وكان طبعًا معظم التجار اللي في المحافظات عارفين إني عامله واجهة فقط حتى إنهم استغربوا إزاي واحد بتفكيري يعمل مشروع تافه زي ده واجهة له، فكان أي واحد عنده كشك سجاير وتلاجة كازوزة ممكن يقوم بالمشروع لوحده، ولم يكن أحد منهم ولا حتى أنا يعلم أن هذا المخزن سيكون نواة لأكبر شركة في مصر في الثمانينيات، ومن هنا كان كل يوم يأتي يحمل حدثًا ضخمًا معه أنا نفسي لم أكن أصدقه.



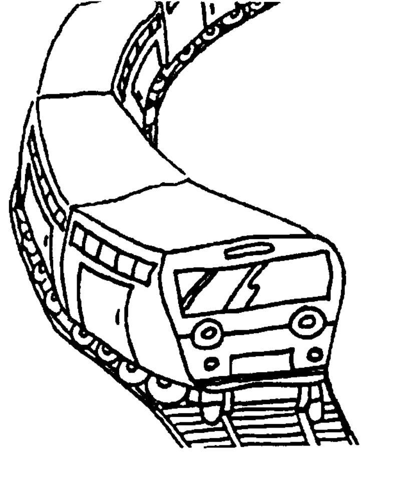
محطة (25)

تزاحمت مرة أخرى الأحداث في رأسي وبدأت تتصارع مرة أخرى وتقفز كل منها يريد أن يسبق الآخر، وأجدني مضطرًا أن أعود بكم إلى الوراء مرة أخرى وأخرى وأخرى، وهذه المرة أجدها ضرورية حتى أستطيع أن ألتقط خيط الحدث الأخير مرة أخرى، فقد تعودنا أنا وأحمد وفتحي عندما نكون في إجازة من العمل أن نذهب إلى الفيوم بصحبة أصدقاء لنا وبعض من كانوا يعملون معنا وكان هناك وادٍ تابع لمحافظة الفيوم اسمه وادي الريان، وهو الاسم الذي استخدمه بعد ذلك لتكوين شركته وكنا نصطاد سمكًا، وهو وادٍ حباه الله بجمال الطبيعة وشلالات غاية الروعة. المهم جلست في السنبلاوين في مخزن شويبس وكنت أقرأ عقول معظم التجار الذين يأتون للتعامل معي في العملة وكان معظمهم من كبار المستوردين كما قلت وكانوا جميعًا عندهم قناعة أني أنا وأحمد نتلقى تمويلًا من جهات لا قِبل لهم بها، ومعظمهم لم يكن يعرف أننا انفصلنا في العمل وأصبح كل واحد فينا شخصية مستقلة. والعجيب أنهم رغم ثرائهم وذكائهم لم يفكر أحد فيهم أن تجارة العملة تعتمد على الثقة وكل الأموال التي لدينا ملك للموردين ونحن نبيعها لهم ونعطي الموردين فلوسهم، ومن هنا نشأت الثقة ولكن الذي لفت نظري مرة وجعلني أتكتك وأفكر هو الحاج فتحي عوض الله وكيل شركة مرسيدس في الدقهلية ومن كبار التجار على مستوى مصر، وتربطني به صلة نسب فابن عمي شقيق أم بلال متزوج ابنة أخيه وكان رجلًا رغم أنه عصامي بنى نفسه

من الصفر إلا أن الله حباه بجمال في وجهه وكان يبدو أنه من الباشوات وكان يملك نصف مدينة السنبلاوين، ومن أحد أملاكه قطعة أرض كبيرة تزيد على فدان بجوار العمارة التي يقع بها المخزن وكان دايما يطلب مني دولارات لتمويل استيراد السيارات المرسيدس من ألمانيا، وجاءني يومًا وزارني في المخزن وقاللي: اسمع يا حاج أشرف رغم أني ابنه في سني إلا أني كنت أشعر أنه صديقي وأنني مثله في السن وكان شعوري مع الجميع أنني رجل في الخمسين رغم أني لم أصل للثلاثين، المهم قال لي الحاج فتحي: اسمع أنا عارف كل حاجة فقلت له: عارف إيه، قاللي: عارف مين بيمولكم وعارف إن عندكم فلوس مالهاش عدد وعارف إن أنت واخد المخزن ده واجهة، بس نصيحة مني ده مش قيمتك، وتذكرت كلام محمد ودنو لما قال أنا عارف إن إيران بتمولكم وأحمد قاللي سيبه فاكر كده ماتريحوش، فمارست نفس الحكاية مع الحاج فتحي وسيبته فاهم إن فيه جهة بتمولنا وقلت له: طب يا حاج تنصحني بإيه، فقاللي: أنا شايف أنك تعمل معرض سيارات حاجة تليق باسمك وأنا جايبلك عقد الأرض اللي جنبك حط فيه السعر اللي إنت عايزه وأنا موافق، وأقسم أن لن يفاصلني فتذكرت ما فعله معي الحاج محمود رشدان وتكرر نفس السيناريو ووقع العقد ومشي فجريت وراه وقلت له مش هاخده إلا لما تحط الرقم.

المهم أذكر أنه كتب مائتي ألف جنيه وطبعًا كان رقم كبير وقتها وقاللي: ادفع على مهلك، وبصراحة ماكنتش عارف هاعمل إيه بالأرض ولكن دون تفكير قبلت العرض وبقيت في المخزن بتاع شويبس ولم أقرر ماذا سأفعل بالأرض. وكان صاحب المخزن الحاج كشك يعرف مأمور المركز وطلبت منه أن يعرفني عليه قلت يمكن ينفعني في حاجة خاصة إن لو علاء عباس فكر ينزلي السنبلاوين أكيد هيبقى عنده خبر، وبصراحة كنت مهتمًا جدًّا أتعرف عليه، وكنت عرفت أن أحمد وفتحي اتعرفوا على كذا ضابط في الأموال العامة.

المهم وأنا كنت بانتظر أتعرف على المأمور لقيت واحد قريبي من اللي بيشتغلوا معايا من زمان وكان معايا وأنا مع أحمد وعارف علاقتي بأحمد، لقيته داخل عليَّا الصبح في المكتب اللي عامل زي الزنزانة ده وبيجري وماسك جرنال الأخبار في إيده وبيصرخ يقول يا عم الحاج يا عم الحاج، فقمت جري قلت له في إيه؟ لقيته بيديني الجريدة وبينهج وهو بيتكلم وبيقوللي شوف فمسكت الجريدة وبافردها لقيت الصفحة الأخيرة بالكامل وفي وشي الرئيس مبارك واقف ميت من الضحك وجنبه فتحي، وزي ما يكونوا بيلعبوا صَلَّح مع بعض، ومكتوب فوق الرئيس يزور الريان رحت واقع على الكرسي.



محطة (26)

قلت لقريبي خد الباب في إيدك واقفل باب القبر ده وسيبنى لوحدي وقعدت عالكرسي وفردت رجلي وغمضت عيوني، وقعدت أفكر وأكلم نفسي وافتكرت أحمد وهو بيقوللي ماتعرفش ضابط يطلع فتحي من القسم، وافتكرت نفسي وأنا قاعد مستني المأمور أتعرف عليه وفتحي جارر حسني مبارك في إيده وجايللى السنبلاوين في الجرنال وكان يوم زي بتاع قابيل وهابيل.

وقعدت أضرب أخماس في أسداس وأقول أنا كان قلبي حاسس يوم فتحي ماجه إنه هيفرق بيني وبين أحمد، كان زمانى أنا اللي متصور مع الرئيس وقعدت أقول في سري مبارك يا فتحي مبااااارك، طب كنت بلغني الخبر واحدة واحدة يعني مأمور الأول وبعدين اتصور مع وزير وبعدين رئيس وزراء وبعدين ريح شوية لكن مبااااااارك مرة واحدة؟ ده أنا ورب الكعبة ماحلمتش الحلم ده، طب أعمل إيه دلوقتي يا رب وحسيت نار قايدة في جسمي والله العظيم وكل شوية أقول مبااااااااااااارك؟

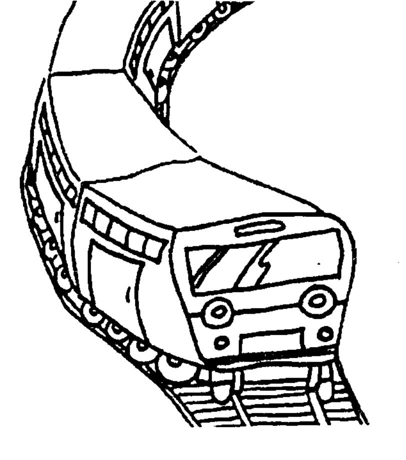
والمصيبة إني لقيت السنبلاوين اتقلبت عليًا في المخزن لأن الناس كلها عارفة إني وأحمد شركاء وكثير جدًا ما عزمته في البلد وكان بينام في بيتنا باليومين في القرية. واعتقدت الناس أن أنا ما رضيتش أروح أقابل مبارك وبعت فتحي واتقلب الحال من حال لحال، وبصراحة عقلي لم يعمل بسرعة مثل هذا اليوم فوجدت الكهرباء فيه كادت تحرق كل من حولي، وبدأت كلي حواسبي تعمل والتقطت منهم الخيط وأوحيت لهم أن كلامهم صح وأنا بعثت فتحي بدالي، وجاءت الناس تبارك من كل فج عميق

وبصراحة هما يباركوا وأنا أولع ما هو أنا خايف يعرفوا إني قاعد مستني المأمور، والمصيبة السودة إن المأمور جه آخر النهار يباركلي وطلعت فوق عند حماتي دخلت تحت الدش أطفي النار، وهديت ومسكت سماعة التليفون واتصلت بأحمد في بيته فرد عليًا وأول ما سمع صوتي راح صارخ وقاللي شفت ياض ياشرف الريانين عملوا إيه، شفت أخوك أحمد عرفت بقه إن كلامي كله طلع صح، ولسه هاتشوف ريحان معانا، فقلت في سري الله يحرقكم إنتو وريحان. فقلت له أنا عايز أشوفك فقاللي أنا والله العظيم هتجنن عليك بس بقولك إيه تعالى بكرة عشان فتحي مش موجود وأصله لما بيشوفك بيتعفرت فقلت له: لا خلاص، مش جاي، فقاللي: سيبك من شغل العيال ده وتعالى حتى لو جه أنا بس ماكنتش عايزك تضايق، فقلت له: خلاص هاصحى أصلي الفجر وأركب وآجي أفطر معاك في الشركة، فقاللي: عارف العنوان؟ فقلت له: مكتوب في الجرنان فقاللي: مستنيك. وطبعًا عيني ماشافتش النوم طول الليل كوابيس وصحيت صليت وركبت ورحت وأول مادخلت شارع الهرم لقيت طابور حوالى أربعة كيلو ولم أتوقع إنه يكون طابور على شركة الريان و المرور بينظم سيارات المودعين فولعت تاني. ووصلت الشركة ومعظم الموظفين قرايب أحمد يعرفوني فاستقبلوني استقبال جيد وخدوني على مكتب أحمد، وافتكرت لما أنا وهو كنا عند الشريف واتخضينا من المنظر فلقيت مكتب الشريف مقارنة بمكتب أحمد زي المقارنة بين مكتبي اللي في المخزن ومكتب حسني مبارك، فقلت مصيبة تالتة، ودخلت عليه وقام يتنطط على كتافي كالعادة واستقبلني استقبالًا لم أشعر أننا انفصلنا، وقاللي والله مانت مروح لازم تقعد معايا النهارده هنام هنا في الاستراحة، بس هغديك سمك عمرك ما كلته في المطعم بتاعنا وكلم المطعم وقالهم الحاج أشرف هيتغدى معايا اقفلوا المطعم عشانه وطبعًا كنت فرحان جدًّااا بس غيرااااااااااااااااااااااااااااااااااا ااااان جدااااااااااااااااااااااااااااااااا.
وقعدنا نضحك كما لم نضحك من قبل ولم ينغص علينا حياتنا إلا دخول فتحي علينا والمشهد ده أيضًا جاء في المسلسل اتفضل يا عم شوف مبارك بيضحك إزاي؟ طب خليكو مكاني.

كل اللي أنا فاكره إن الاستقبال كان رائع ورحنا مطعم أسماك الريان في شارع الهرم وكانت حفاوة كبيرة وماعرفتش آكل من فخامة المطعم وهو عمال يضحك ويقوللي طبعًا مانتش مصدق ياض ياشرف، وقعدت أنا وهو نسترجع ذكريات زمان ونضحك وحسيت إن فتحي مش مبسوط من إيه؟ وربنا ما أعرف، بس ماكنش مستريح زي ما يكون أحمد مراته وبتتكلم مع عشيقها وفاكر إنه رمى كلمة في وسط الكلام زعلتني شوية وأفتكر إني سألته إنتو وصلتوا للرئيس إزاي؟ فقاللي: ده شغل أخوك فتحي، ولقيته بيقوللي بس أستحلفك بالله عملت إيه لما شفت الصورة فقلت اتشليت فهات من الضحك هو وفتحي. بس هو كان بيضحك من قلبه لكن فتحي كان حاسس إني مش هفوتها، فقاللي بس أكيد فرحت فقلت له جداااااااااااااااااااااااااااا، بس كنتم تعملوها على مراحل فقاللي إزاي يعني، فافتكرت نكتة الراجل اللي كان عنده كلب بيحبه جداااااا وكان عايش معاه بياخده في كل مكان يروح فيه حتى وهو نايم بينيمه جنبه، وفي يوم جاله مأمورية للخارج وساب الكلب مع أخوه وقاله تحطه في عيونك وأنا هابعتلك كل شهر ألفين جنيه عشان تخلي بالك منه. وسافر وبعد شهرين أخوه بعتله برقية قاله الكلب، مات فنزل فورًا وأول ماشاف أخوه راح راقعه بالقلم فأخوه زعل جدًّا وقاله: ليه كده؟ فقاله لأنك غبي وكنت هتموتني فقاله بعد الشر عنك ليه أنا عملت إيه، فقاله: إزاي تقوللي خبر الكلب كده مرة واحدة فقاله أومال كنت أعمل إيه، فقاله: تبعت برقية تقوللي الكلب نزل يلعب في الشارع، وبعدين برقية تقوللي الكلب عمل حادث وبرقية تقوللي الكلب في العناية المركزة، وبعدين تقوللي الكلب حالته خطيرة جدًّا، وبعدين تقوللي البقية في حياتك الكلب مات، فقاله: حقك عليا ياخوي أنا آسف سامحني أنا غلطان وسافر الراجل وبعد شهرين أخوه بعتله تلغراف قاله أمك نزلت تلعب في الشارع.

فأنا كنت عايزها واحدة واحدة، بس ورب الكعبة ولا في الأحلام يا عم أحمد اللي

حصل ده. وقلت له فاكر لما كنا فرحانين إن إحنا نعرف ضابط وقلت له لعلمك أنا مضحي بزيارة مأمور المركز عشان أجيلك وفضلنا نضحك وبعدين وأنا ماشي مسك أحمد فيًّا أبات فقلت له: خليها يوم تاني: فقاللي: عمومًا اعتبر الرئيس مبارك أخوك. وضحكت لكن فتحي كان مصمم إن اليوم ما يعديش كده فقاله الحاجات دي مفيهاش هزار ياحمد، وقاللي كلمة ما زالت بترن في ودني فقاللي: اسمع يا عم أشرف إحنا عمرنا ماهنضرك بس برضه ماتحطش آمال على علاقتنا، واتكهرب الجو وقمت وأنا بافتح باب عربيتي أقسمت لنفسي إنه لن يمر أسبوع إلا إذا كان عندي شركة أقوى من شركة الريان وفردت الكرسي وقلت للسواق اطلع عالسنبلاوين وغمضت عيني وبدأ مخي يولع نار وأنا بقول أكلك منين يا بطة، وفورًا قفز في ذهني الحاج أحمد عبيد وعقلي حسب أكبر عملية حسابية في تاريخ حياتي، وتفوقت على نفسي فيها، وأثبت لنفسي أشياء كنت محتاج أثبتها، ورغم أنها كانت بداية طرق الهلاك وطريق اللي بيروح فيه ما يرجعش إلا أنني نسيت كل ما اكتسبته من جماعة التبليغ وفكرت بس إزاي مايبقاش الريان أكبر من السعد. وقررت في ثانية أن الشركة هايبقى اسمها السعد وأقر وأعترف أن بروز اسم أحمد عبيد في ذهني كان شيئًا لا إراديًّا، ولست أدري أكان عقابًا من الله أم رحمة، لأنني في أقل من ثانية عرفت أن أحمد عبيد هو الكارت الرابح وفعلا وصلت للحاج أحمد واستغرب إني جاي متأخر فأخبرته أن الأمر هام جدًّا!!!!!!!!!.



محطة (27)

لا أستطيع أن أتذكر أي شيء مما دار بيني وبين الحاج أحمد عبيد وكل ما أذكره ضحكته التي كانت تحمل ملايين الحروف، وكأنـي أذكر أنه قال دون أن يتكلم ماحدش هيلجمك يا أشرف فقلة الكلام أحسن. وكل ما أذكره جيدًا أنني أخبرته إنه مايتخضش لما يشوف اسمه في الجرايد لأني سوف أؤسس شركة باسمي واسمه. وأيضًا أذكر في هذه الزيارة أني كنت لأول مرة أسمع اسم حسن مالك وهل قدمه لي الحاج أحمد أم أخبرني فقط باسمه، ولكن الكلمة اللي بترن في وداني وهو بيقوللي اعتبره أحمد عبيد وثق فيه ومش فاكر أخدته معايا ولا جاني تاني يوم السنبلاوين، بس اللي متأكد منه إني تبنيته منذ هذا اليوم خاصة أنه أخبرني أنه زوج بنت شريك الحاج أحمد الأستاذ محمد عليوة، وإن لم تخني الذاكرة إنه كان بدأ حياته من تحت الصفر مثلي تمامًا وإن أنا سبب رئيسي في دخوله سوق المال.

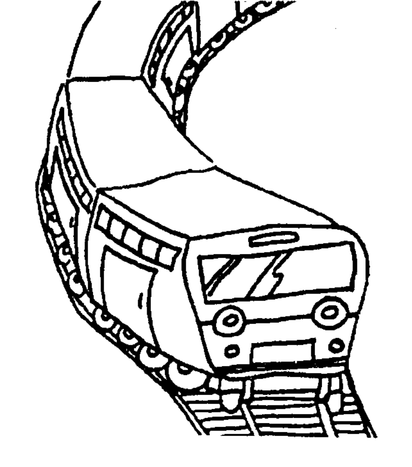
المهم قفز إلى ذهني أسامة ابن خالتي اللي كان معايا في فرنسا وكان متخرج في كلية الحقوق، واللي كان بيسكر معايا ويقوللي الحكم بغير ما أنزل الله. وكان في هذا الوقت أصبح محاميًا شهيرًا في المنصورة ونسي موضوع ما أنزل الله، فاتصلت به وقلت له تعال فوراً عايزك فجاء إلى مخزن شويبس، وقلت له: شفت الريان فقاللي: آه شفته، فقلت له: شفت الشركة اللي عملها بتاعة توظيف الأموال، فقاللي: آه شفتها، فقلت له: أنا عايز أعمل واحدة زيها، فقاللي: اديني ساعتين وهأرد عليك، قلت له: منتظرك، وجلست في المكتب لوحدي أتخيل الماضي والمستقبل والجريدة اللي فيها إعلان الريان في إيدي وكل

ماشوف الرئيس بيكركر وفطسان من الضحك أتجنن وأخبط برجلي على الأرض وأقول في سري طب ازاااااااااااى، وأقول في سري يا ريتني ما عرفتك يأحمد وادعي على فتحي وبقيت أستلف دعوات أمي اللي كانت بتدعيها عليًا لما أطلع عينها روح إلهي وأنت جاهي وأشوف فيك يوم يا أشرف يابن صفية زي مانت مخلي عيوني في وسط راسي، بس طبعًا كانت أدعى على ابني وازعل من اللي يقول آمين.

وأستطيع أن أجزم وبكل ثقة وأرياحية أن في هذا الوقت كان الرئيس مبارك محبوبًا جدًّا ومعروفًا عنه أنه حاسم ويكره الفساد. وكان وماعرفش ليه له هيبة لم تكن عند سابقيه. وأنا على يقين أن ظهوره مع الريان كان أقوى من أي شرعية قانونية وقتها وهنا تفصيلات دقيقة أعتقد أنني سأتعرض لها في حينها، فأنا على يقين أن أحمد أخطأ خطأ عمره إنه لم يستخدم هذه الشرعية كما يجب، وهناك تشابه بين خطئه وخطأ الإخوان عندما استلموا الحكم مع الفارق طبعًا ولكن هناك تشابه لا محالة في رأيي.

وجلست في الغرفة أتذكر كل ما دار بيني وبين أحمد بالحرف وأصول وأجول مع الذكريات، وتذكرت أول يوم ذهبت معه لبيت الأستاذ أحمد عبيد وكانت صورة ابن الحاج أحمد عبيد معلقة على الحائط وكان أحمد وكأن عليه عفريت، وكنت أول مرة أسمع حديث أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه جرس أو صورة، والحاج أحمد عبيد كان رمزًا من رموز الدين وكنت مرعوبًا وأحمد بينصحه يشيل الصورة حتى يومها قلت له إنت هتعرف أكتر من الحاج أحمد يأحمد، ولكن الحاج أحمد كان واخد الأمور ببساطة وقاله يومها ده أمر فيه خلاف شديد والمقصود بالصورة هي التماثيل. وفاكر إن أحمد كان متمسكًا برأيه حتى بعد ماخرجنا أنبني وقاللي: إنت هتهرج في الشرع. فقلت له: يا عم أحمد أكيد الراجل أعلم مني ومنك، فقاللي: لا طبعًا مافيش بشر يعلم كل شيء إلا الرسول ولازم لما نشوف منكر ننهي عنه، فقلت يعني نرجع له فلوسه فقاللي: إنت بتاع تهريج إيه دخل دي بدي، وأصر أنه لم يخطئ. تذكرت أيضًا عندما ذهبت له إمبارح

عشان أباركله لقيت في مدخل الشركة صورة مبارك وفتحي بالحجم الطبيعي فتذكرت صورة ابن الحاج أحمد عبيد، وقلت في نفسي أكيد طبعًا ومن غير سؤال صورة ابن أحمد عبيد حرام وبتطفش الملايكة لكـن صـورة الرئيـس لالالالالالالالالالالالالالالالالالا طبعًا لالالالالالالالالالالالالالالا وألف لالالالا أكيد دي اللي بتجيب الملايكة ولو كنت أنا اللي معاه فيها والله العظيم كنت علقتها على صدري. وقررت ماسألش أحمد لأنه لو قالي حرام كنت هاضربه ده دي الصورة اللي أنا باحلم بيها، وأقسم بالله وقفت أمامها ثواني وتخيلت نفسي مكان فتحي وقعدت أحلم بشركة السعد اللي هابنيها وييجي مبارك يفتتحها ولم يساورني الشك أبدًا أنني سأفعلها، رغم أن هذا الحلم لو راودني قبلها بيومين كنت عرضت نفسي على طبيب أمراض عقلية. وفضلت سرحان إلى أن أيقظني من أحلامي صوت أقدام أسامة وحسيت إن معاه شخص تاني، وفعلا كان معاه راجل قدمه لي وقالي الأستاذ فتحي مدير عام السجل التجاري وكل شيء تمام وجاهزين.



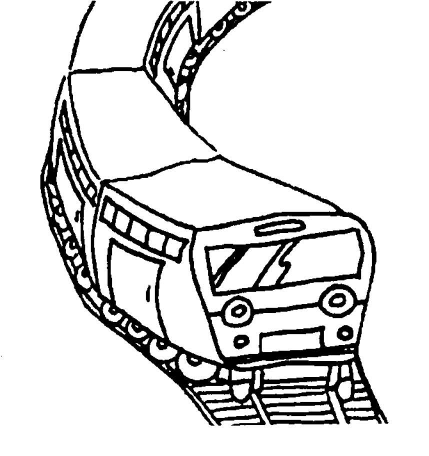
محطة (28)

دخل أسامة هو ومدير السجل التجاري وكان راجل طيب جدًّا قاللي: عايز نشاط الشركة إيه؟ قلت: أي حاجة. فقال: يعني إيه؟ فقلت له: أنا أهم حاجة أشوف جملة وله حق جمع الأموال من الجمهور لاستثمارها، وسألته هو السجل التجاري ده تبع الحكومة؟ فقاللي: إحنا الحكومة نفسها يا حاج، أي شركة في مصر لو مش متسجلة عندنا يبقى مخالفة فقلت له: يعني ينفع تديني تصريح أجمع أموال من الناس زي شركة الريان، فقاللي: بس لازم حتكتب هتستثمرها في إيه. فقلت: في كل حاجة. فقاللي: يعني أكتب مخدرات؟ فقلت: لو ينفع اكتب فهمات من الضحك. وقاللي: طب إيه رأيك أنا أشوف سجل الريان وأنقشه بالظبط؟ فقلت لأسامة: هنديله كام، فقاللي: ألفين جنيه. فقلت له: ورب الكعبة ما ياخد أقل من عشرة هو ده الدماغ ولا بلاش، وقعدت أحضن فيه وقلت له: بس لازم تكتب الشركة باسم أشرف سعد وأحمد عبيد. وقلت له: لازم تبروز لي اسم أحمد عبيد فقاللي: لالالا ده بقه إنت تبروزه في اليافطة اللي هتعلقها، فقلت له: ينفع أعلقها النهارده، فقاللي: هتعلقها فين؟ قلت: له على المخزن ده فقاللي: وده اللي هتلم فيه فلوس.

فقلت له: شوف إنت دماغك ذرية في شغلك لكن شغلى ماتجيش جنبه، لأنك هتتكهرب وضحكنا. وقاللي: إوعى تعلق حاجة إلا لما أجيبلك السجل ولازم الأول فيش وتشبيه لك وللحاج أحمد، والأستاذ أسامة يعمل العقد ويوقعه منكم وأنا أعمل

السجل في يوم، بس يا حاج على فكرة الريان ده معروف مين الممول الأصلي بتاعه فقلت له: إيران صح؟ فقالي: لالالالالا الملك فهد. فقلت له: إيه اللي عرفك؟ فقالي: يا حاج مصر كلها عارفة فسألته حتى هنا في المنصورة فقالي: يا حاج أنا أعرف ناس شافوا الشيكات اللي جاية من عند الملك فهد، فقلت في نفسي حلوة حكاية الملك فهد دي أقوى من إيران، وفكرت إزاي أخليه ينشر إشاعة إن أنا كمان بيمولني الملك فهد، وقلت بس خليها واحدة واحدة. واتصلت بالحاج أحمد وقلت عايزين فيش وتشبيه يا عم الحاج فقالي إنت برضه مصمم ولقيته هيمطوحني فقلت له: الله يسترك عايزينه بكرة يا حاج فقالي: مستحيل بكرة، فسألت مدير السجل هو لازم الفيش ده؟ فقالي: لو شريك متضامن يبقى لازم لكن لو موصي مش مهم. وطبعًا وقتها ماكنتش فاهم بس سألته الموصي اسمه مكتوب فقالي: آه، قلت له: فرجت خليه موصي أنا مش عايز غير اسمه على اليافطة. وعمل أسامة العقد وكتب فيه جميع أنواع الأنشطة التجارية من الإبرة للصاروخ. وفي الآخر وله حق جمع المال من الجمهور لاستثمارها وكررت السؤال عليهم كده يبقى إحنا بنجمع أموال قانوني فقالي: يا عم الحاج إنت بتستقل بينا ولا إيه وحياتك رئيس الجمهورية مايقدر يعمل شركة إلا بأمر السجل التجاري، وطبعًا كل ما يقولي كده أحضن فيه وأمسك الجرنال اللي فيه إعلان الريان وأرقص من الفرحة بس أنا بارقص لمحت اسم تحت الإعلان مكتوب فيه المحاسب القانوني مجدي حشيش فقلت إيييييه ده بقااااااااااااااااا إيه يا عم الحاج المحاسب القانوني ده؟ فقالي مدير السجل: لالالالالالالالالالا ده كفتة.... أهم حاجة السجل وبعدين إنت تجيب أي محاسب قانوني براحتك فقلت له: يعني مش مهم. فقالي: شوف أهم حاجة الورقة اللي أنا هاجيبهالك هي دي اللي مع الريان وأبوالريان ومن غيرها ولا يقدر يعمل حاجة ومشي الراجل وقلبي مشي معاه (المهم إن بعد خمس سنين اكتشفت أن السجل التجاري ده تبع وزارة التموين ومالوش أي علاقة بتوظيف الأموال من قريب أومن بعيد بس ولا أي حد في مصر فاهم حاجة).

وجلست أفكر فعلا أن لازم مقر للشركة فورًا ولازم أي نشاط غير صناديق الشويبس دي، وفكرت فورًا في الأرض اللي اشتريتها من الحاج فتحي عوض الله وجت في دماغي فكرة أني أعملها معرض سيارات مفتوح وأبني في آخرها مكاتب ودماغي بقت تودي وتجيب لأني شفت مقر الريان حاجة ولا في الأحلام وأثناء تفكيري اتصل بي أحمد الريان وقالي إنت مشيت زعلان من فتحي وهو ماكنش يقصد أي حاجة وعشان نثبت لك إحنا هنيجي كلنا عندك في البلد يوم الخميس وعايزين ناكل حمام وبط من إيد الحاجة، وماعرفتش أفرح ولا أزعل ولو شافوا منظر المخزن هيتريقوا عليًا، ولكن في النهاية عرفت أني لازم أستثمر هذه الزيارة لأن مصر كلها شافتهم مع الرئيس والناس اللي هنا عارفين علاقتي بآل الريان.



محطة (29)

كل ما أذكره أني من قبل ماعلق اليافطة كان منتشر في أنحاء محافظة الدقهلية على الأقل إني ورائي كيان ضخم يمولني، وربما كان في ذهن الناس برضه ملك من ملوك العرب، وماكنتش بانفي لأن النفي كان بالنسبة لهم تأكيد رغم أن لو أي واحد فكر ثانية واحدة بتجرد هيعرف إنه كلام فارغ.

وسأعود بكم إلى سيرتي الأولى فسأكتب الأحداث التي تقفز في عقلي وبعدين نرتبها على مهلنا واحدة واحدة، وكل اللي فاكره الآن أن السجل التجاري جه بعد زيارة الريان اللي كانت زيارة مليئة بالأحداث والذكريات وأكيد كل ذكرى فيها أثرت في الأحداث ومش فاكر إذا كان يومها شافوا المخزن ولا ماشفهوش، لأن العزومة كانت في بيت العيلة في القرية وكان فيها ما لذ وطاب من طعام الأرياف وضربت عزومة مطعم الأسماك.

وأذكر أني اتخذت قرارًا بالتجارة في السيارات لأن معظم التجار اللي كنت باعرفهم وقتها وكانوا بيشتروا مني عملة كانوا تجار سيارات. وكان المعرض اللي عملته في السنبلاوين على الأرض منظره يخض وماعرفش اتملى سيارات إزاي، بس فاكر تمامًا إن الحاج محمد عطوة الصياد كان من كبار التجار وبعتلي عشرين سيارة نصف نقل وخلال 48 ساعة كان فيه في المعرض أكثر من مائة سيارة، وكنت كاتب على المعرض شركة السعد للاستثمار وتوظيف الأموال تحت الإنشاء، لحد ماستلم السجل ولما استلمته قلت لأسامة عايزين ننزل إعلان في الأخبار والأهرام فقالي: أنا أعرف

مدير مكتب الأخبار في السنبلاوين عبدالله أبوالعلا، وفعلا كلمه وكان راجل قمة في الأخلاق وأصبح بعد كده ولمدة عشر سنوات لا يفارقني وهو اللي متصور معايا أنا والريان في الاندماج، وهو اللي واقف خلف فتحي الله يرحمه. المهم جه وقلت له عايز الصفحة الأخيرة بكره في «الأخبار» ولم أتوقع أن الأمر بهذه السهولة فقاللي: فورًا إدينى المادة وأنا هاسافر بيها حالا وسألته عن الدفع قاللي بعدين وأعطيته الصفحة وكانت من تصميمى، ووضعت فيها صورتي وكتبت بالخط العريض فوق الشركاء أشرف السعد وأحمد عبيد أحمد عيسوي، وحطيت عنوان المخزن العنوان الرئيسي وكتبت نفس النشاطات اللي كان كاتبها الريان وحطيت تجارة السيارات زيادة. ورغم أن الإعلان ماكنش فيه مبارك إلا أنه كان زي زلزال على الأقل في محافظة الدقهلية وكلمني عبدالله من القاهرة وقاللي الإعلان في المطبعة والأستاذ مصطفى أمين عايز يقابلك قلت له: مين؟ قاللي مصطفى أمين، فقلت له: طب بس لما ترجع فهمني لأني مش فاهم وماكنتش أعرف أن أبواب كل شيء قد فُتحت على مصراعيها وأنا لا أدري ماذا سيخرج من هذه الأبواب.

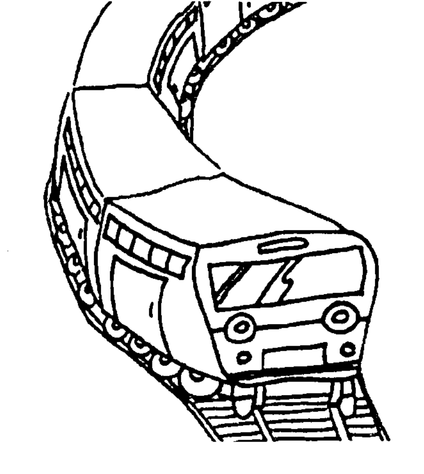
وطلعت آخر النهار عند حماتي وكانت طبعًا شايفه تطور الأحداث السريع ومش قادرة تستوعب، بس أكيد كنت أنا بقيت الطاووس عندها والكل ركن على جنب. وصحيت صليت الفجر في المسجد كالعادة وطلعت بعد الشروق أفطر وأغير هدومي والساعة 8 سمعت ثورة تحت البيت قدام المخزن وببص من الشباك اعتقدت أنه لم يبق أحد في بيته والجميع شايلين في إيدهم شنط ولفف ولم أستطع أعرف ما هو إحساسي وقتها ولكن الأكيد واللي فاكره أني خفت وبشدة.

كان رهاني على أحمد عبيد في محله ولم أخطئ قيد أنملة فالحاج أحمد قبض عليه عبدالناصر مع سيد قطب وباقي التنظيم وأعدم من أعدمهم وسجن من سجنهم، وظل أحمد عبيد في المعتقل حتى عام 71 حين أَفرج عنه الساداتُ وعن كثير من قيادات الإخوان. وعندما كنت أتعامل مع هذا الرجل لم يكن أمامي إلا أن أكره عبد الناصر من حكاوى أحمد عبيد

فلم يساورني شك أنه كان مظلومًا وهو كذلك فلم أرَ أرق قلبًا من هذا الرجل في حياتي، ومن سابع المستحيلات أن يحمل هذا الرجل سلاحًا على أبناء وطنه مهما كانت الأسباب، وخرج من السجن لا يجد قوت يومه ولكن الله عوضه وأصبح هو صانع رجال المال في مصر فهو أول من فكر في توظيف الأموال وبُنيت مصانع الشريف على أكتافه. والشاهد أن الفترة التي قضيتها معه تأكدت أنه لا يوجد بيت فيه إخواني لا يعرف أحمد عبيد وكان محل ثقة عند كل من يعرفه وحسبتها في دماغي بسرعة إذا كان أحمد عبيد كان مديرًا عند الشريف وتسبب في جمع كل هذه الاستثمارات فما بال أن يكون شريكًا في شركة، لم أخطئ فكان حجم الإيداعات أول يوم في مخزن شويبس عشرات الملايين حتى إنني أتذكر أنني يومها عينت أكثر من مائة موظف في الشركة وطبعًا كلهم كانوا إما من العائلة أو من القرية. وكانت صدمة بالنسبة لي فقد كان معظم المودعين يومها من عامة الناس معظمهم كان يعمل بالخارج وجاب تحويشة العمر وأتذكر أن أكبر مودع يومها أودع 180000 مائة وثمانون ألف دولار، وكنت في مشكلة في حفظ الأموال لأني لم أكن فتحت حسابًا باسم الشركة ولو وضعتها باسمي ممكن تبقى مشكلة ومش فاكر إزاي وبأسرع ما يمكن قررت شراء سيارات بكل الأموال. وأذكر أني استعنت ببعض كبار تجار السيارات ولم أكن أعلم أن استعانتى بهم ستفتح بابًا لم يكن في حسباني لأني اشتريت يومها أكثر من مائتي سيارة ودفعت ثمن السيارات اللي كانت عندي ولم أدفع ثمنها وأشاع التجار أيامها أن الشيخ أشرف بيلم السيارات من البلد والبلد يعني مصر، وانتشر الخبر على مستوى مصر وكان لزاما عليَّا أن أجد مخازن وليس مخزنًا لكي أستطيع تخزين السيارات، ودون أن أدري وليصدق من يصدق وليكذب من يكذب، أصبحت حديث تجار السيارات على مستوى مصر وليس الدقهلية فقط. وأتذكر أنني استعنت بالجورن في كل بيوت أقربائي في القرية والجورن هو الساحة أو الفضاء أمام بيوتهم، وكان بيت خالي الحاج أحمد وخالي ده ابن خالة أمي وعندنا ابن خالة أمي أو ابن عمها بنقوله يا خال، فوضعت سيارات في جورن خالي الحاج أحمد حتى لم يعد هناك ممر للمشاة وقامت القرية كلها على رجل وأصبح عندي أكثر من خمسين سواقًا في أقل من يومين.

وكان ذراعي اليمنى في هذه الأمور من هذا اليوم نبيل زاهر ابن عمتي وده له حكايات معي لا حصر لها، وظل يعمل معي حتى آخر يوم في عمر الشركة وهو راجل لم يكمل تعليمه ولكن كنت أعتمد عليه فكنت أشعر أنه مستعد يموت من أجلي. وأذكر أنه كان له طرائف كثيرة ونحن صغار وله معي طرائف لا حصر لها، لأني لما هربت أول مرة ورحت باريس أخدته معايا وذكرياتي في باريس في الرحلة التانية تحتاج ألف محطة، منها مائة خاصة بنبيل، فكان زي صعيدي في الجامعة الأمريكية بس هنيدي كان معاه الثانوية لكن نبيل راح باريس بالإعدادية. وقبل أن أعود لولادة شركة السعد أتذكر موقفًا لا أستطيع أن أنساه فكنت متعود أني أروح أحج كل سنة وآخد معايا مجموعة من أقربائي لأني كنت استأجرت بيتًا في مكة وظل معي عشرين سنة وخصصته للحج والعمرة. وكنت أصطحب معي بسطاء العائلة وكنا مسافرين للحج ومعانا الحاج ربيع باتع من البحيرة ابن خال أبويا شقيقه، وكنت وصلتُ الرحم معه بعد انقطاعها لعشرات السنين وكان لأول مرة في حياته يقترب من مطار القاهرة واحتمال أول مرة يخرج من البحيرة ودخلنا المطار، وطبعًا كنت أنا مشهورًا وقتها وأثناء مرورنا في كبائن التفتيش كان الجهاز الإلكتروني بتاع التفتيش لسه طالع جديد وبيحطوه على جسم المسافر فإذا كان فيه جسم غريب يزمر، فالحاج ربيع سأل نبيل هما بيعملوا إيه وأنا بالصدفة سامع الحديث فنبيل قاله: اسكت يا حمار هتفضحنا دول بيرشوا عشان الكوليرا ولم أتمالك نفسي من الضحك أمام الناس وقلت له هو برضه اللي حمار؟

المهم أعود بكم إلى تطورات الأحداث التي كانت بسرعة البرق كما كان في بداية تجارة العملة ولكن هذه المرة على مستويات أعلى بكثير من تجارة العملة وكانت المفاجأة الكبرى حين أخبروني أن رجلًا يركب سيارة مرسيدس من طرف الحاج أحمد عبيد عايز يقابلني واسمه صبري تقصيرة، وطبعًا أي حد من الإخوان الكبار هيعرف أنا باتكلم عن مين.



محطة

(30)

يعلم الله أن كل جملة أكتبها ما قصدت بها إلا كشف المستور عن أشياء يتعمد الناس تغطيتها بنفسهم، ولا يوجد حرف إلا ويحمل معاني كثيرة وحكمًا ومواعظ لمن يريد أن يفهم كيف كانت تُدار مصر ومن العدو الحقيقي للشعب وكيف نتغلب عليه، فقصة السعد والريان أو الريان والسعد احترامًا له هي مصر صغيرة، وأحداثها يجب أن يعلمها الناس على حقيقتها حتى لو فهمها البعض أنها تدين ولا تبرئ، فهذا لا يهمنى فمن الأكيد لنا أخطاء وقد تكون خطايا، ولكن في النهاية يجب أن تصل رؤيتي للأحداث كما هي وليفهمها كل شخص كما يريد. وأكيد سأضطر إلى كتم بعض الأحداث التي لا أملكها وحدي وقد تجرح ولا تفيد في مقصد الكلام.

كان الحاج صبري تقصيرة من أغنياء الإخوان المسلمين أبًا عن جد، وكان ثريًا جدًا **فدخل** عليًا المكتب وقاللي: أنا رفيق أحمد عبيد في السجن وأنا من قرية شها ومارضيتش أتصل بالحاج أحمد وأعمل واسطة لأني عرفت إنك ابن ناس طيبين وكنت مركز جدًا في كلامه ولا أريد مقاطعته حتى بالترحيب، لأني كنت أشعر أن هناك حدثًا عظيمًا فقال لي: أنا مش عايز أضيع وقتك بس عندي ليك هدية هتدعيلي عليها فقلت له: مقبولة. فقاللي: ممكن تديني ساعة من وقتك نوصل مشوار وكما قال كامل الشناوي فتركت له يدي ولكن ليس لتنام كالعصفور بين يديه ولكن لتطير كالعصفور معه، وركبنا سيارته ووجدته متجهًا نحو المنصورة، وفعلا دخل المدينة واتجه ناحية محافظة الدقهلية ولف حولها بسيارته ووقف أمام قصر كبير يمكن قد المحافظة وقاللي: إنزل فنزلت ولقيت

الغفر بيجروا يفتحوا الأبواب فلم يكن بابًا واحدًا بل أبواب، وبدأت أعرف لماذا أنا هنا وقبل أن يتكلم بكلمة قلت له: اشتريت يا حاج خلاص فقاللي: ومين قالك إني عايز أبيع؟ فقلت له: يبقى أقفل الشركة وأقعد في بيتنا لو ماعرفتش ولعلمك أنا حاسس بحاجة زي دي من ساعة ما ركبت العربية، بس بصراحة دماغي راحت لأرض زراعية أو مخازن سيارات لكن لم أتخيل أن أجلس في مثل هذا القصر أو أشتريه، لأني كنت بأمر عليه كتير وأعرف أنه مشهور باسم العبد باشا، فقاللي: ده خالي وأنا اشتريته منه وقاللي يبقى اللي سمعته عنك صح قالولى إنك فلتة الزمان، ولذلك أنا فعلا مش هابيعلك القصر بيع عادي فقلت له: لا دي مافهمتهاش. فقاللي: القصر ده تمنه مليون ونص، فقلت له: موافق. فقاللي: اصبر فصبرت. فقاللي: أنا عايز مائة ألف جنيه فقط ودخلنى معاكم شريك فقلت شريك إزاي فقاللي: زي ما دفعت أنت وأحمد أدفع زيكم. فقلت: يا حاج أنت شريكنا من غير ما تدفع بس والله العظيم لا أنا دفعت مليم ولا الحاج دفع مليم أنا دفعت عمري وأحمد عبيد هو صاحب عمري ومافيش أي أرقام في الدنيا تساوى عمري. فقاللي: يعني إيه؟ فقلت له: أنا باكلمك بكل شفافية، وضحكت، فقاللي: بتضحك ليه؟ فقلت له: فكرتني بوكيل النيابة اللي كان مصمم أني أكذب وأنا مش عارف فأنا فعلا والله لا أعرف كم أملك في هذا المال وكم يملك الناس، فقال عمومًا أنا جايب العقد معايا وراح موقع أمامي وقاللي العقد خالص التمن واعتبرهم وديعة عندك وتعالى أوصلك. فقلت له فيه تليفون هنا قاللي كل حاجة موجودة. فقلت يعني خلاص القصر بتاعي فجاب الغفر وقالهم عمكم أشرف اشترى القصر، فقلت له طب اتفضل إنت أنا قاعد هنا مش ماشي.

محطة (31)

اربطوا الأحزمة وكل واحد يقرأ كتيب السلامة، فسوف نحلق على ارتفاع اتنين مليار قدم قصدي دولار في السماء واللي قلبه ضعيف ينزل من الطيارة.

مسكت أحلى ساعة تليفون واتصلت بالسنبلاوين وقلت لأسامة هات الرجالة اللي عندك كلهم وتعالى وما تسألش فيه إيه، لأني مش هاعرف أجاوب وعدي على الخطاط اعمل عشر يفط مكتوب عليهم المقر الرئيسي لمجموعة شركات السعد واكتب أحمد عبيد وأشرف سعد بحجم كبير، وتعالى بسرعة. وخلال ساعتين كان ميت خريطة والسنبلاوين في قصر العبد باشا وبنعلق اليفط وأنا واقف بس أراقب وجوههم الشاحبة وكأنهم في ذهول مثل ذهول يوم القيامة بس داخلين الجنة، ومن ساعتها حتى أسامة لم يتلفظ بكلمة أشرف وأصبح الجميع يناديني يا عم الحاج، حتى خالي اللي كان بيطردني وأنا صغير بقه واقف قدامي يرتعش ومش مصدق. وطبعًا طلبت عبدالله مدير مكتب «الأخبار» وقلت له عايزين صفحة بكرة في «الأخبار» وتكون الأخيرة مش في الوسط وتعالى خد المادة جاهزة ولما جه مافتحش بقه وقعد يقول الله أكبر الله أكبر، وكان فعلا فرحان من قلبه وأذكر حين سجنت بعد عشر سنوات كان شبه مقيم في السجون رحمة الله عليه، وطار بالصفحة على مصر ووصل قبل المطبعة ودخل الإعلان المطبعة وكلمني وقالي كله تمام. وجمعت كل رجالتي وقلتلهم كل اللي فات كوم وبكرة الصبح كوم تاني عندما ينزل الإعلان في الصحف وبعت جبت أكل للجميع ونمنا كلنا في القصر

فلاحين وعمال وسواقين وغفر وطبعًا كنت معاهم زيهم تمام مفيش رئيس ومرؤوس، وكان القصر مفروشًا بس كنت باسمع أنين الحائط لما شافت الفلاحين والعمال والمناظر دي نايمة في القصر مكان العبد باشا.

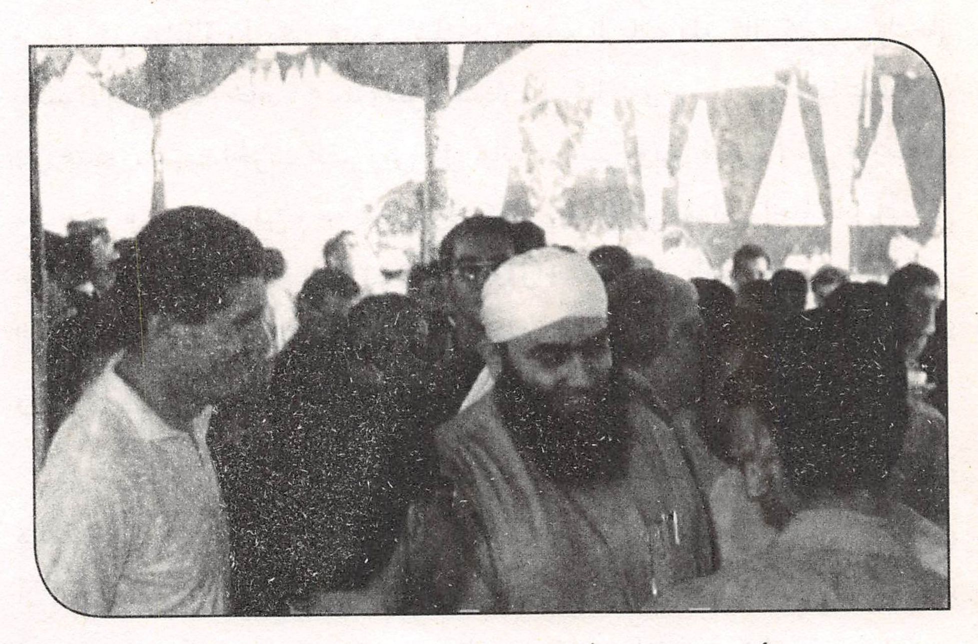
ونزل الإعلان وكانت ثورة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. والغريب أني لم أكن في حاجة لاستثمار اسم الريان، فيبدو أنه هو استثمر نفسه دون إرادته فكل المحافظة كانت متابعة تطورات الريان وكانت الناس بتسافر من المنصورة إلى القاهرة لتضع أموالها في الريان، وفي الصباح كنت أسمع صوت الناس في الزحام وهم يقولون أيوه كده افتحولنا فرع في كل محافظة ولم يكن عندهم شك إن أنا تبع الريان، فقد كان كثير من التجار يعلمون أننا شركاء خاصة محمد ودنو والتجار اللي كنا بنروح لهم، وساعتها عرفت أن دي هتكون سبب الحرب الضروس اللي هاتنشب بيني وبين فتحي لأنني قررت أن مايرحش عنده واحد من وجه بحري وقد كان. وبدأ الناس يقولون إحنا عايزين ننقل حساباتنا من مصر لهنا، ظنا أنها شركة واحدة، وأخذت وقت طويل حتى فهموا ولكن النتيجة واحدة فقد حرمت الريان من كل مودعين وجه بحري، وتفرد هو بالقاهرة والجيزة ووجه قبلي لحد مارحت فتحت في القاهرة.

ولم تمر ساعات على نزول الإعلان وطبعًا رقم تليفون القصر في الإعلان وكان هيتحرق من كتر الضغط. وأذكر أن عبدالله استخدم سلطاته وركب خطين وأخبروني أن الأستاذ سمير رجب على الهاتف فقلت مين سمير رجب؟ فأحد المتابعين للصحف قالي ده رئيس تحرير «المسا» ومقرب من الرئيس فقلت: الرئيس مين؟

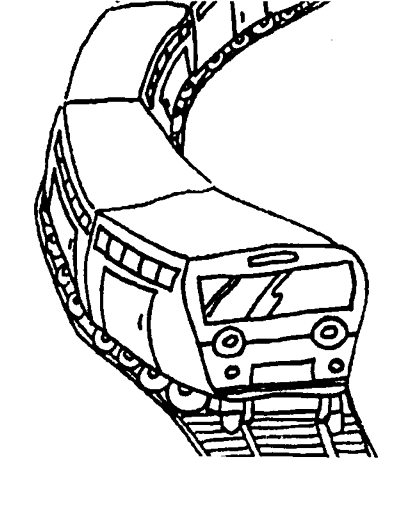
حمدًا على نعمة ربنا فقالي: الرئيس مبارك، فقلت آه عارفه فالي جنبي ماتوا من الضحك ورديت على الأستاذ سمير واتعرف عليًا وقالي مايصحش «الأخبار» تنزل الإعلانات وإحنا نقعد نتفرج، فافتكرت إنه عايز يجاملني فقلت له لالالالالالالالالالالالالالالا نزل الإعلان براحتك فقالي: يعني أعتبر دي موافقة. فقلت له: طبعًا. فقالي: طب

هابعتلك الأستاذ رفعت العتر مدير الإعلانات يتعرف على سيادتك. خلي بالكم من سيادتك دي عشان بعد كده قطعنا بعض.

المهم جه رفعت ووقعت له ونزل الإعلان، ولقيت اتصال من «الأهرام» وأرسلوا لي مندوبهم ولقيت فؤاد باشا سراج الدين بيكلمني وبيقوللي اوعى تنسي «الوفد»، وطبعًا أصبحنا أصدقاء بعد كده، ولي معهم صولات وجولات خاصة الأستاذ مصطفى شردي، وانقلب القصر إلى خلية نحل إلى أن سمعت ضوضاء وسع يا ابني والطريق فقلت إيه قالوا المحافظ جاي، قلت مين؟ قاله اللواء سعد الشربيني.



أشرف السعد مع أعضاء الجمعية العمومية لشركة السعد



محطة (32)

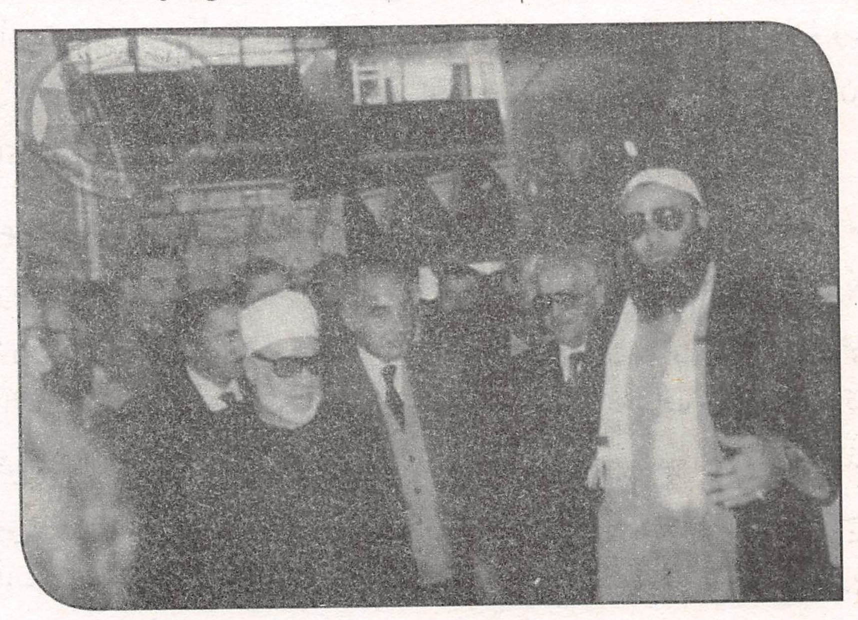
الغريبة أني كنت فاهم أني محتاج مبارك والريان والشريف وغيرهم عشان أروج لشركتي لكن الإعلام بكل وسائله كان يتهافت علينا كما يتهافت صائدو الوحوش على صيدهم. والغريبة أنهم كانوا يفعلون كما يفعل صائدو الوحوش فكل منهم يريد أن يستفرد بالصيد وحدَه، وهذا موضوع غريب جدًّا فلم يكن منظومة ممنهجة للفساد بل أستطيع أن أزعم أنهم جميعا كانوا محترمين ولكن غيبة القانون والعشوائية وبريق المال والتفاوت الطبقي هو الحاكم الحقيقي وخاصة العشوائية فكل ما في البلد الآن من مشاكل هو نتاج العشوائية وليس نتاج فساد ممنهج.

على أية حال كانت زيارة سعد الشربيني لي بمثابة زيارة مبارك للريان، فكان سعد الشربيني يشغل مدير مباحث أمن الدولة قبل توليه منصب المحافظ وكان محبوبًا بل معشوق أهالي الدقهلية. والغريبة أنه كان فرحان جدًّا وجلس يحكي لي أن معظم عائلته من الإخوان المسلمين والصوفيين ورواد المساجد، وكأنه كان يخاف أني أعتقد أنه كافر. ولكن شدة احتمالي له كسرت هذا الهاجس وفكرت وقتها عن كمية الخير التي في قلوب الناس وحتى المسؤولين وأنا أتكلم عن الروحانيات التي بداخلهم وكانت تحتاج إلى دعاة حقيقيين لكي ينموها، ولكن للأسف كنا قد جئنا لننمي المال وليس الروح وطبعًا كلنا اشتركنا في هذا، فغياب القانون ووجوده في الأدراج والعشوائية كانت تقضي على كل ما في هؤلاء من خير، ولكن يعلم الله أن هذا الرجل منذ أن عرفته إلى أن مات كان

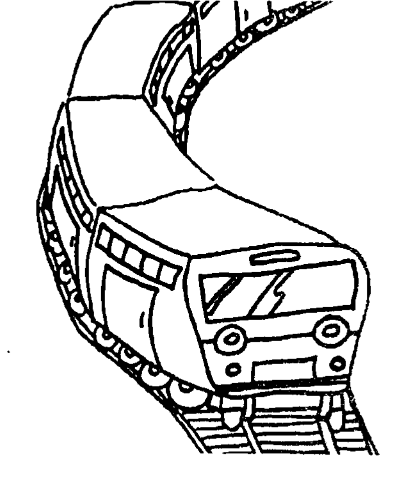
نظيف اليد ولا يتستر على أي فساد، وللأسف قتلوا ابنه الرائد عمر الشربيني في حادثة اغتيال رفعت المحجوب.

والشاهد أنهم جميعًا كانوا ينظرون لنا وكأننا مبعوثو العناية الإلهية. وباختصار اتفقت مع مدير البنك الأهلي أن يقدم استقالته ويمسك مدير حسابات الشركة، وفعلا حصل وبدأت أعين الرجل المناسب في المكان المناسب ولكن المحيطين بي كلهم قرايبي فلاحين أكتر واحد فيهم معاه إعدادية.

وبقيت مرة أخرى يجب أن أبحث وفورًا عن مشروعات لاستثمار الأموال المتدفقة. وكانت تجارة السيارات لا تحتاج لأكثر من نصف مليار يعني زي تريليون الآن. وبدأ يأتي إليَّ ناس من كل فج عميق فجاء لي رجل مشهور اسمه علوي الحضري، وعرض عليًّا أربعين فدانًا على الطريق بين المنصورة والسنبلاوين، وقاللي مش عايز فلوسهم، وكانوا النجدة بالنسبة لي فقد وضعت فيهم كل السيارات وطبعًا ماكنتش أعرف أنها مخالفة.



أشرف السعد مع شيخ الأزهر الدكتور/ جاد الحق واللواء سعد الشربيني محافظ الدقهلية واللواء أمين ميتكيس محافظ الشرقية



محطة

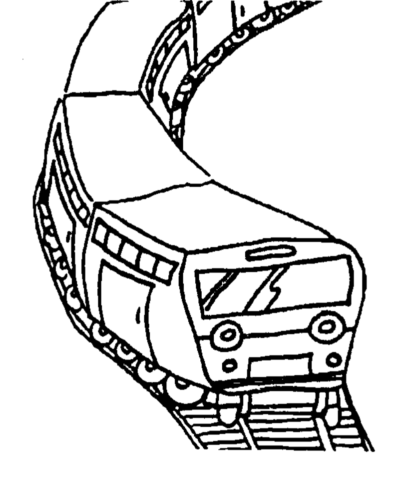
(33)

كتبت قصة حياتي من قبل ولكنني لم أعانِ ما أعانيه الآن من تدفق للأحداث في ذهني، وكأني لأول مرة أحكي ما حدث، فمن الواضح أن ما حدث بعد يناير جعل منظوري للأحداث مختلفًا تمامًا ووضحت كل الخفايا أمام عيني، ولذلك سأصول وأجول دون التقيد بأي قوانين لسرد الأحداث، ففي خلال ثلاثة أشهر لم يعد في محافظة الدقهلية مائة متر خالية من يافطة شركة السعد، والواضح جدًّا أن شركات السعد والريان نشأت في وقت كانت جميع المشروعات المقامة سواء كانت قطاعًا خاصًّا أو عامًّا على وشك الانهيار والإفلاس وهذا ما علمته مؤخرًا فأصبح تدافع رجال الأعمال أصحاب المشروعات الضخمة على الريان والسعد أكبر من تدافع المودعين. وكان هذا بسبب القروض التي اقترضوها من البنوك وأصبحوا عاجزين عن سدادها، وفي يوم وليلة أصبحت كلها معروضة علينا إما للبيع أو المشاركة لا أستثنى من هذه المشروعات أحدًا، فكل من لا يخطر على بالكم من الأسماء الرنانة الآن كانوا في طوابير الانتظار لتحديد موعد لمقابلتهم ليعرضوا مشروعاتهم إما لبيعها أو أن نحل محل البنوك حتى لايفقدوا مشروعاتهم. وكان هذا الأمر هو سبب شهرتنا السريعة. وانتشر في أنحاء مصر أن هذه الشركات لديها سيولة أضعاف التي في البنوك، وأن التعامل معها أسهل بكتير من التعامل مع البنوك. وبدأت أسمع أسماء لم أكن أسمع عنها إلا في الصحف والتلفزيون وأجدها في طوابير الانتظار لتحديد موعد للمقابلة. وسأحكي كل قصة

منها على حده وخاصة قصتي مع صاحب (النساجون الشرقيون) فهي قصة أغرب من قصص الخيال، وكذلك قصتي مع منصور شيفروليه وشركة فورد ومصانع زانوسي ومصاعد الترا وووووووووووووووووووووووو إلخ.

ولكن الآن تقفز في ذهني مكالمة جاءتني وأنا في منزل العائلة بالقرية وكنا في رمضان وفي هذا الوقت كانت قرية ميت غريطة أو خريطة كما يسمونها وهي مسقط رأس أبي وأمي، كانت وهي القرية المجاورة لقرية أم كلثوم طماى الزهايرة ولكن قريتي أصبحت أشهر من قرية أم كلثوم في هذا الوقت فكانت مثل خلية النحل على مدار اليوم. ورن جرس التليفون وأخبروني أن مكالمة هامة في انتظاري فمسكت السماعة وقلت ألو. فرد وقال: أيوه يا حاج أشرف أنا العميد علاء عباس، فقلت له: إنت هتهزر؟ لو ماقلتش إنت مين هاقفل في وشك. فقالي: والله أنا علاء عباس. فأغلقت الهاتف وسألني من كان جنبي عن سبب تغير وجهي فقلت: واحد بيهرج وعامل نفسه علاء عباس. ورن الهاتف سريعًا مرة أخرى ورددت فقالي: أقسم بالله أنا علاء عباس، وماتزعلش أنا هابعتلك مأمور المركز حالا عشان تصدق إني أنا فعرفت إن هو وضحكت وقلت له: معلش مانا أتوقع أن مبارك يكلمني وإنت لا، فضحك وضحكت وقلت له: اؤمر، بس لعلمك أنا بطلت تجارة العملة فقالي: حتى لو كنت بتاجر وأنا أقدر آجي ناحيتك يا عم اللي عِلي عِلي.

فقلت له: اؤمر، فقالي: عايزينك بكرة في مجلس الوزراء فقلت له: يبقى هنهزر تاني. فقالي: أقسم بالله مابهزر لأني مكلف أني أدعوك لاجتماع في مجلس الوزراء بكرة بعد الفطار، فقلت له: إيه الحكاية هتقبضوا عليًا. فقالي: إحنا لما بنقبض على حد مابنكلموش في التليفون ولا إنت نسيت يا عم أشرف، فقلت: في دي عندك حق. وسألته عن سبب الاجتماع. فقالي: يا عم أنا بقيت سكرتير عند معاليكم أبلغك بس ومات من الضحك. وقالي: ياريت ماتاخدش الموضوع هزار، لأن الدكتور عاطف صدقى في انتظارك فسألته: هو أنت انتقلت مجلس الوزراء فقالي: أنا زي مانا بس لما هتيجي هتعرف كل حاجة. وانتهت المكالمة وتركني أضرب أخماسًا في أسداس.



محطة (34)

حطيت السماعة وطار عقلي يسبح ويتخيل ويصارع الأحداث القادمة المجهولة تارة ويسبح مع الأحداث السابقة تارة أخرى. وأصبحت كل الاحتمالات مفتوحة أمامي. وأذكر أنني أصبحت لا على حامي ولا على بارد، وتوقعت أن ينتهي كل شيء ولم أكن خائفًا من هدم ما بنيته لأنه كان حديث البناء. وكنت رغم مرور عامين أو أكثر إلا أن سنوات الفقر لم تكن بعيدة عني وتمنيت أن تكون النتيجة هي ضياع المال دون التعرض لتجربة السجن التي أصبحت كابوسًا يطاردني رغم قصرها. ولا أذكر أنني قد نمت نوم طبيعي ليلتها، ولا أذكر أيضًا متى تحركت من القرية متجهًا إلى القاهرة ولكن كل ما أذكره أنني ويحيي السائق وكان ابن عم والدي ووُلدت وجدتُه يسوق سيارة عمي، ثم أصبح سائقي الخاص لحين خروجي من مصر. وكان اسمه يحيي برغوث، لأنه كان مشهورًا عنه أنه لا يجلس في مكان أكثر من دقيقة، ووصلنا مجلس الوزراء وبدأت دقات قلبي تزيد واقتربنا من البوابة وفتحت زجاج السيارة وشاهدني الحارس فقلت له: أنا أشرف السعد فأدى لي التحية، وفتح باب مجلس الوزراء ونظر لي يحيي ونظرت له ولم نعلق، وأشار لنا الحارس بيده إلى المكان الذي سنوقف فيه السيارة ووقف يحيى ونزلت أنا واصطحبني الحارس إلى غرفة كبيرة بجانب البوابة ونحن في الطريق قاللي: الكل في انتظارك.

ولم أعلق ودخلت الغرفة فوجدت الأستاذ عبداللطيف الشريف ومحمد الريان

شقيق أحمد وكان دوره في الشركة ثانويًا ووجدت الحاج طارق أبوحسين صاحب «الهدى مصر»، ومحمود طاحون صاحب شركة البدر. ودارت عيني في ثوانٍ تتفقدهم ثم أصابتني نوبة ضحك بصوت عالٍ وقلت لهم قبل أن أصافح أحدًا منهم دي مذبحة القلعة فضحكوا جميعًا ولم يكن أحد منهم بأعلم مني بسبب الدعوة ولكن الانطباع لدينا جميعا هو أننا مذبوحون لا محالة. وجلسنا نتكلم بأعيننا فقط ثم أذن مؤذن أن اتفضلوا، واصطحبونا إلى غرفة الاجتماعات بمجلس الوزراء اللي بنشوفها في التلفزيون وبدؤوا في وضع كل واحد منا في مكانه المحدد مسبقًا وكنت أنا بجوار الأستاذ عبد اللطيف وعن يسارى الحاج طارق وفي مواجهتي الريان، وبجواره الأستاذ فريد الديب الذي جاء بعد صعودنا بدقيقة وكان جاي بصفته محامي الريان ثم الأستاذ طاحون وجلسنا دقيقة، ودخل العميد علاء عباس وألقى علينا السلام جميعًا ثم نظر إلى باب الغرفة وتحرك نحوه فجأة وهو ينحني احترامًا للقادم من الخارج فدخل الدكتور عاطف صدقي وخلفه يوسف والي ثم زكي بدر ثم عاطف عبيد ثم يسري مصطفى وزير الاقتصاد وقتها ثم حسن الألفي، وأكيد وقفنا كلنا حتى جلسوا وظل العميد علاء عباس واقفًا طيلة الاجتماع في خدمة الباشاوات وإحنا معاهم طبعًا.

وظل الذهول على وجوهنا حتى رحب بنا الدكتور عاطف صدقي وشكرنا على حضورنا فعرفت ساعتها أن إحنا مش هننذبح وبدأت أتجعص على الكرسي بس برضه قلقان ومنتظر بفارغ الصبر أن أعرف سبب وجودنا، والذي زاد من اطمئناني دخول الساعي بمشروبات طبعًا مش روحية لأننا في رمضان ومعها حلويات رمضان وطلب مننا عاطف صدقى أن كل واحد يمد إيده بسم الله، وكلنا بنبص لبعض وبنقول في إيه الله يحرقكم.

الحوار التالي حوار مفصلي في حياتي ولا أطلب من القارئ أن يصدقه أو يكذبه، فأنا أعذر من لا يصدق وأشكر من صدق، ولكن هي الحقيقة بكل حذافيرها لا يوجد فيها حرف زائد ولا حرف ناقص سوى الألفاظ التي صدرت من الوزير

زكي بدر فقد تحفظت على بعضها. ولكن هذه الجلسة خرجت منها شخصًا آخر. بدأ الدكتور عاطف في الكلام حاكيًا لنا ما تمر به مصر من أزمة مالية في العملة الأجنبية وأننا كرجال أعمال مصريين يجب أن نقف مع الدولة فطلب فريد الديب الكلمة وكلنا في دهشة من بداية الحوار وقال فريد الديب: لا يخفى على معاليكم ما تبذله شركة الريان من جهود للنهوض بالاقتصاد المصري، فقاطعه يوسف والي قائلا: أنا حكيت للرئيس عن كل ما يفعله الحاج فتحي مع وزارة الزراعة وكيف أنقذ مصر من مجاعة فقاطعه الأستاذ فريد وهو منشكح قائلا له الآن الحاج فتحي في أمريكا يشحن الدفعة الأخيرة من الذرة الصفرا، وطبعًا أنا كنت عايز أقوم أحرقهم وقلت في نفسي هو فتحي ورايا ورايا حتى وهو في أمريكا، وبصراحة ولعت من الكلمتين دول رغم أن بعد أربع سنوات كانت الكلمتين دول سبب هلاك الريان.

المهم قعدوا اتنين واحد يقول يا ليل والتاني يقول يا عين، وكلنا زي الكراسي اللي قاعدين عليها فقاطعهم الأستاذ عبداللطيف الشريف وقال ممكن نعرف إحنا هنا ليه يا دولة الريس، وهذا لقب رئيس الوزراء في أي دولة، فرد زكي بدر فورًا وقاله بلاش إنت يا عبداللطيف دوسيهك معايا، وفجأة وجدت الشريف بوجه آخر وصرخ في وجه زكي بدر إنت بتهددني يا معالي الوزير وهتمسكلي شماعة الإخوان وأنا طبعًا زي الأطرش في الزفة، ثم أردف قائلا ما تسأل الدكتور عاطف عبيد هو متجوز مين.

وأنا في ثانية قلت يا ترى متجوز مين، وجه في ذهني إنه متجوز رقاصة، فرد زكي بدر قاله: إحنا عارفين هو متجوز مين وده دخله إيه؟ فقاله: ده متجوز بنت مرشد الإخوان السابق يعني ما تهددنيش بالإخوان. وكانت شركة الحاج عبد اللطيف وكرًا بكل ما تحمل الكلمة للإخوان. فقال الدكتور عاطف: يا جماعة مصلحة البلد أهم من الخلافيات، قولهم يا دكتور عبيد المطلوب منهم. فرد زكي بدر وقال: ده أمر مش طلب يا ريس. وبصلنا وقال: إحنا عايزين نص مليار دولار فورًا، وطبعًا أما كلمتين عبداللطيف لزكي بدر ولقيته هبشه هبشة تانية وما أدراك ما زكي بدر، خلوا قلبي زي الحديد. وضربت

عيني لقيت محمد الريان بيكتب شيك ووقعه وأعطاه لفريد الديب وطبعًا ساعتها لبِّسنا كلنا طرح. وقام فريد الديب خطب خطبة تانية وهو بيسلم الشيك ولقيت الشريف كأنه بركان واتفتح وقال: ده تهريج وإذا الريان عنده فلوس ملكه فأنا اللي عندي فلوس الناس فهزيت رأسي وقلت: وأنـا كمان. فقاله زكي بدر: اهدا يا عم عبد اللطيف وبصلى وقاللي: وأنت يابوسعد مش عايز تديني درس إنت كمان فقلت لالالالالالالا ده جايلي أنا مخصوص، وراح زاغرلي وقاللي دوسيهك معايا يابوالسعد فبمنتهى الشجاعة رديت وقلت له: وربنا عارف بتاع العملة صح، وضجت الغرفة بالضحك.

يعلم الله كل كلمة ستقرأونها الآن في حديثي مع رئيس الوزراء وكان عمري لا يتجاوز الثلاثين عامًا وكانت كلها نتاج خبرتي في سوق المال واحتكاكي بالتجار وبالناس. عندما جئت لأوربا وعشت فيها وجدتها هي القانون الذي بسببه نهضت أوربا ولا أقول هذا للفخر ولكن هي الحقيقة. وللأسف الشديد معظم الشعب المصري يعتقد أن ما حدث في مصر من تسطيح وتجريف للعقول هو بسبب حكم العسكر، ولكن عندما أنتهي من أحداث قصتي مع مصر ربما يتضح لكم ما أصبح عندي يقين لا ينتطح فيه عنزان، فآفة الدول العربية وخاصة مصر لأنها هي مسرح الأحداث بالنسبة لي، فآفة مصر وسبب الكوارث هي الاستعانة بما يسمونهم التكنوقراط أو النخبة المتعلمة أو بمعنى أصح أساتذة الجامعات، فلا توجد كارثة في مصر إلا بسبب الاستعانة بهؤلاء وكم قلت كثيرًا وعلى الفضائيات إن الطبيب الذي لم يمارس مهنة الطب بيديه واكتفى بما تعلمه في الجامعة حلاق الصحة أفضل منه ألف مرة، لأنه مارس الطب وتعلمه من احتكاكه بالأطباء الممارسين للمهنة وليس معنى كلامي أنني أقلل من قيمة من كانوا يجلسون من الوزراء، ولكن كل واحد كان ممكن أن يبدع في مكانه فمعظمهم كانوا أساتذة جامعات مهرة ولكنهم مهرة في التدريس وليس في التطبيق العملي، واللواء زكي بدر كان من أقوى رجال الأمن في مصر ومن ينكر ذلك فهو مجحف ولكن أن يتدخل في حل مشاكل اقتصادية فهي الكارثة بعينها، كما لو كلفوني بإدارة وزارة الداخلية فسوف

تكون مصر غابة، فالعسكر ماهر جدًّا في حكم البلاد ولا يصلح غيره، أما إدارة شؤون البلد فيجب أن تكون في يد من لهم خبرة في الاحتكاك بالناس وعاش مشاكلهم بنفسه وهذا سنشرحه بالتفصيل.

وأعود لمجلس الوزراء، فمن هنا بدأ كلامي مع مجلس الوزراء فحين طلب د.عاطف أن أتكلم قلت له يا دولة الرئيس -كما قال السيد الوزير زكي بدر- أنا كنت أتاجر في العملة وهذا صحيح لا أنكره بل أتشرف به، لأنني تعلمت الكثير من احتكاكي بسوق العملة وأنا لن أُعطى دروسًا فحاشا لله أن أتعدى حدودي، فأنتم من علمتمونا في الجامعات ولكنكم لم تمارسوا ما مارسناه بل كتبتموه في الكتب. وأنا سأعطي دولتكم مثلًا بسيطًا بصفتي كنت في يوم أستطيع أن أجمع جزءًا كبيرًا من دخل مصر من العملة الأجنبية، وعنوان كلامي أنني أقترح على من يسن قانون البنوك أن يصدر فورًا قانونًا بمنع الائتمان على الدولار.

وطبعًا زكي بدر كان هو والكرسي اللي قاعد عليه واحد وربما علاء عباس فهم قصدي هو ووزير الاقتصاد الذي كان في الجلسة زي القاضي بتاع مسرحية شاهد ماشافش حاجة، فلم يتلفظ ببنت شفَة طيلة الاجتماع. وبدأت أشرح كلامي فقلت أنا عن نفسي كنت أجمع ملايين الدولارات يوميًّا من العائدين من الخارج دون أن أدفع مليمًا واحدًا ووصل حجم تعاملاتي إلى مليارات دون أن يكون لدى خمسة جنيهات. فتاجر العملة يذهب إلى مدير البنك ويتفق معه أنه سيودع لديه وديعة دولارية يقترض بضمانها جنيه مصري. وطبعًا لا يوجد ضمان للفلوس أقوى من الفلوس نفسها. وكان واضح إن حتى علاء عباس ووزير الاقتصاد ورئيس الوزراء قد أصابتهم الدهشة من كلامي وكأنهم لأول مرة يسمعون هذا الكلام، وكان زكي بدر كأن على رأسه الطير، وقال لي د. عاطف: واحدة واحدة يا أشرف تقصد إيه، فقلت: يا معالي الباشا لا يجوز في دولة تعتمد على تحويلات العاملين بالخارج كمصدر للعملة الصعبة أن يكون فيها الدولار

أداة ائتمان حتى لو كان صاحبها هو الذي سيقترض مقابلها وليس تاجر العملة، فهذا يؤدي إلى حبس العملة عن مكانها الطبيعي وهو خزانة الدولة. وشعرت أنني سأطلب سبورة وأقف أشرح عليها وشعرت بكهرباء شديدة في المكان وأن الموقف أصبح محرجًا لهم جميعًا، فكيف يأتي شاب مثلي ويلقى هذه المحاضرة ولكن لم يجد أحد منهم سببًا لإيقافي وبدأت أتوسع فقلت أنا مثلا أتفق مع تجار التجزئة الذين يجمعون العملات من القرى والمدن من العائدين من الخارج وأتفق معهم أني سأعطيهم اتنين أو تلاتة مليم زيادة عن أي سعر في السوق وطبعًا وقتها السوق السوداء كان أعلى من سوق الدولة بعشرة قروش على الأقل، والسبب الرئيسي هو ما أقوله لكم فأنا عندي موردين العملة ولا أملك ما أدفعه لهم فأذهب إلى مدير البنك الذي أعرفه وأتفق معه أنني سأودع الدولار وأستلف مقابله عملة مصرية وطبعًا وأكيد هيفرح وكنت كالحاوي وأنا أتكلم فكنت أشير بيدي في جميع الاتجاهات واستطردت في الشرح وقلت....

عندما قال لي زكي بدر ملفك عندي يا أبوالسعد وأنا قلت له العملة صح؟ عرفت ساعتها إن فيه مشكلة في البلد، فوزير الداخلية يعتقد أني مش عارف إنه عارف إني كنت تاجر عملة. ومما لا شك فيه كتابة محمد الريان للشيك أحرجتنا جميعا والتقط الشريف الكلمة مرة أخرى وقال موجهًا كلامه لرئيس الوزارة: هو المطلوب مننا إيه بالظبط؟ فقاله: مطلوب أنكم تبيعوا لنا نصف مليار دولار بالسعر الرسمي. فقال الشريف: يا معالي الرئيس الدولارات اللي عندنا دي ملك المودعين وأودعوها لدينا بالدولار وهيستردوها بالدولار يعني مستحيل نقدر نبيعها بالمصري وبعد كده نييجي نشتريها نلاقى الدولار ضعف تمنه. وإذا كان الريان عنده مصدر للدولار غير المودعين ويستطيع تحمل المخاطرة فهذا شأنه أما أنا فمستحيل أني أتحمل هذه المخاطرة. وطبعًا كان كلامًا منطقيًا جدًا ولامس رغبة كل الموجودين وطبعًا أنا مركز على الشيك اللي كتبه الريان وعايز أعرف قيمته ولكن إلى الآن لم أعرف.

المهم احتدَّ النقاش بين زكي بدر وبين الشريف، وشعرت أن الشريف هو وزير الداخلية مش زكي بدر، لدرجة إنه قاله: شوف يا معالي الوزير الشماعة بتاعة الإخوان دي شماعة دايبة، فرد زكي بدر وقاله: إحنا عارفين إنك رجل محترم، لكن أنت تأوي عندك آلافًا، ومستحيل تعرف توجه كل واحد فيهم فقاله دي شغلتكم يا معالي الوزير وأنا لا أفتش في قلوب الناس واللي يخطئ يتعاقب لكن لا يجوز إقحام هذه المواضيع في أمور اقتصادية. وبصراحة لقيت جرعة شجاعة غريبة اقتحمتني وشعرت أني قاعد مع شوية عيال في إعدادى مش مع مجلس الوزراء اللي بيدير مصر.

وطلبت الكلمة وقلت للدكتور عاطف: أنا عندي حل لمشكلة الدولار يا فندم لو سمحت لي، فرد زكي بدر فورًا وحسيت إن رئيس الوزراء بيخاف منه، وقاللي: إنت جاي تعلمنا وراح واقف على حيله حتى ظننت إنه هيضربني ولكنه لم الأوراق التي أمامه وقال بينا يا دكتور عاطف يالله يا رجالة وسيبوا أبوالسعد يحل مشكلة مصر. ووجدت نفسي دون أن أشعر وكأن أمامي طفلًا أؤدبه، فقلت له: يا معالي الوزير لا يجوز أنت تسخر مني كده وأنا آسف جدًّا بس مضطر أقولك أنت تتكلم مع ظاهرة من ظواهر الكون، يعني ربنا بيخلق اللي مثلي كل مائة سنة، ووجدت وجه زكي بدر اشتعل ناااار وقاللي نعم يااااااااا وكان عايز يقول لفظ وحش فمسك نفسه وقال أجله شوية. وقاللي: نعم يا بوالسعد يعني إيه ظاهرة؟ اشجيني اشجيني. فقلت له: والله العظيم ظاهرة والدليل أني قاعد في وسطكم الآن هو معاليك مش معاك ملفي؟ افتحه كده وشوف أنا مواليد سنة كام وشوف أنا جيت هنا إزاى؟ وجبتوني منين؟ومين اللي استدعاني هنا ومن الذي يطلب مساعدة الآخر أنا أم أنتم؟

هو حضرتك مش ملاحظ أن الجلسة ينقصها فقط رئيس الدولة يعني أنا قاعد مع من يحكمون مصر. واستدعوني من قرية صغيرة في محافظة الدقهلية وأنتم من أنتم، وأنا

لم أكن أحلم أني أسلم على مأمور المركز واسأل الراجل اللي واقف وراك وأشرت إلى علاء عباس، وقلت له أسأله وهو يقولك إني ما كنت أقدر أسلِّم عليه وهو الآن واقف وأنا آسف في الكلمة وليعذرني فأنا جالس وهو لا يستطيع الجلوس أبقى ظاهرة ولا مش ظاهرة يا معالي الوزير؟ ونظرت في ثانية إلى وجوه الحاضرين ولاحظت أنهم كانوا هيصقفوا لولا الخجل بما فيهم رئيس الوزارة. والدليل إنه قال لزكي بدر سيبه يتكلم يا معالي الوزير فجلس زكي بدر وهو متغاظ مني جدًّا وكان ناقص يقوللي وحياة أمك هوريك. وقال الدكتور عاطف: اتفضل يا حاج أشرف اتكلم.

قلت لهم وقتها وشرحت وكأنهم لأول مرة يسمعون ما قلت وكلهم فيما عدا زكي بدر كانوا أساتذة في الجامعات، والأدهى أنهم أساتذة اقتصاد والحمدلله إن زويل ليس له حق الترشح كانت بقت مصيبة سودة على دماغنا وكانت تبقى أحلى لو البرادعي كان رئيس مصر كان هيبقى جوع وخوف، فعلى الأقل الحاكم العسكري يستطيع أن يوفر الأمن.

قلت لهم إن تاجر العملة بيفتح حساب في البنك ويتفق مع البنك أن كل دولار يدخل حسابه يعطوا له تلقائيًا مقابله جنيهًا مصريًا، ويتفق مع البائع اللي هو تاجر التجزئة أن يودع في حسابه ما جمعه من العائدين من الخارج، فعندما يضع التاجر العملة في حساب تاجر العملة فتلقائيًا البنك يقرضه بضمان تلك العملة ويبقى اللي دفع فلوس العملة البنك اللي هو ملك الدولة، واللي اشترى العملة تاجر لا يملك مليمًا، ثم يبيع العملة لشركات الدولة بمثل من سعرها ويسدد القرض وياخد هو الأرباح والدولة قاعدة بتتفرج، ولعلم معاليكم أنا كنت أفعل ذلك.

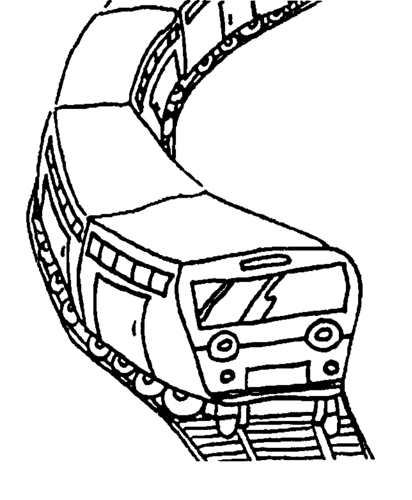
وكأني ألقيت قنبلة ذرية على من فهم ما قلته، وظل الأغبياء كما هم مندهشين. وكان لقاء ساخنًا جدًّا خرجنا منه باختصار كما خرج كفار قوم إبراهيم عندما أفحمهم.

﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا

فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء: 62 - 65].

فتكبروا أن يكون شاب مثلي يحل لهم مشاكلهم وقد سمعتها من كبيرهم لاحقًا حين قال لي: إنت عايزنا نقول للرئيس إن أشرف هو اللي حل المشكلة فقلت له: يا فندم مش مهم تقوله أشرف المهم إنها تتحل. وسأعود لكل حادثة بالتفصيل الممل فإن هذا التاريخ إن مت ولم يعرفه الناس فستكون أكبر جريمة ارتكبتها في حياتي. فما حدث في شركات توظيف الأموال يجب أن يعرفه الشعب حتى يعلموا من الصالح ومن الطالح. وأعود وأكرر فأنا أقسم بالله أن الله أنقذ مصر في ٣٠ يونيو ٢٠١٣ من كارثة محققة فكانت مصر علاوة على الجوع الذي تسبب فيه التكنوقراط أمثال البرادعي كانت ستفقد الأمن إن سقط جيشها والأمن والجوع متلازمان، وقد يعيش الإنسان جعان ولكن آمن، ولكن لا يستطيع أن يعيش شبعان وهو خائف، ولا أريد أن أقتحم النهاية من الآن قبل أن أسرد كل الحقائق أمامكم وأترك لكم الحكم.

المشكلة والمصيبة أن وزير الاقتصاد أصدر بعد شهر من الاجتماع قرارًا بعدم الاقتراض مقابل العملة وقلت الحمد لله ومش مهم مين اللي اقترح لكن المصيبة السودة أن مديري البنوك تحايلوا على القرار بأسرع مما أتخيل، فكانوا يتفقون مع تجار العملة أن يتقدموا بطلب اقتراض مقابل بضائع في مخازن، وييجي التاجر يحط كراتين فاضية في المخزن ويتكتب على الأوراق إن القرض مقابل بضائع وهو في الحقيقة مقابل عملة وهذا ما يجري إلى الآن.



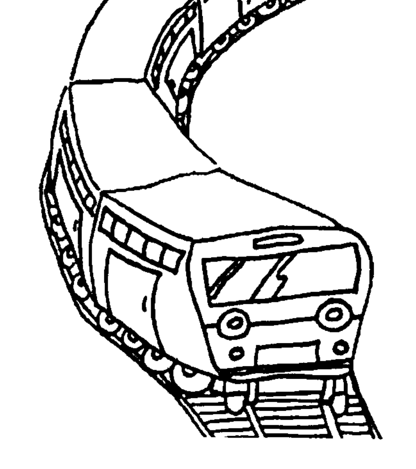
محطة (35)

خلوني آخدكم وأقفز سنة وبعدين نرجع تاني سوا فبعد أن أصبحت شركة السعد أكبر مؤسسة في الشرق الأوسط لتجارة السيارات وبها جميع أنواع السيارات ابتداء من الفيور انتهاء بأغلى سيارة مرسيدس في مصر، وأصبح المخزون الاستراتيجي آلاف السيارات واقترب العدد من 8000 سيارة وكانت معظم السيارات في مخزن الزريقي وفي أجران أقربائي في القرية. وكنت أحيانًا أستخدم مخازن تجار آخرين وكان من الضروري البحث عن مخزن عامٍّ لسيارات السعد خاصة أن وزارة الزراعة قد أقامت عليًا قضية تبوير أرض زراعية وألزمتني بإزالة التعدي ولم يكن بد من إزالة المخالفة. وكان لي صديق مقرب جدًّا اسمه تيسير الهواري أكبر تاجر حديد وقتها، وكان قد اقترب مني جدًّا وأصبحت ملازمه يوميًا وفي يوم كنا ذاهبين إلى باريس للتعاقد على بناء مصنع سكر في مصر وكان الاتفاق مع أكبر شركة سكر في فرنسا اسمها بيجن سياى، وكان معي اللواء أمين متكيس محافظ الشرقية وكان تعين مستشارا لشركة السعد بعد خروجه على المعاش. وطبعًا كنت جايبه واجهة أخوف بيه البلطجية لأنه كان طيبًا جدًّا ومالوش في أي شيء. فالمهم طيرنا إلى باريس وطبعًا عطوة صديقي كان في استقبالنا وطبعًا لم تكن المرة الأولى أن عطوة يقابلني وأنا ملياردير لأن المرة الأولى التي ذهبت فيها لباريس وأنا غني كنت ذاهبًا لزيارة عطوة وأصدقائي الشيالين اللي كانوا معايا في سوق اللحمة وكنت هاموت وأشوف ماتيلدا وسأعود لهذه الرحلة.

المهم وصلنا باريس واستقبلنا رئيس الشركة وأقام لي عشاء عمل في أفخم مطاعم

باريس وكان رجلًا محترمًا جدًا لأنه لن يسمح بنزول خمر على الطاولة احترامًا لي واتفقنا على الخطوط العريضة ووقعنا اتفاق نوايا. وأثناء وجودى في باريس اتصل بي تيسير الهواري وقالي إن أكبر تاجر سكر في مصر يريد أن يأتي إلى باريس ليعرض عليًا مشروعًا ضخمًا، ولعله يغير من خطتي بعض الشيء وكنت واثقًا في تيسير كما أثق في نفسي وهو يستحق. وجاء علي الصفدي تاجر السكر إلى باريس وقابلته في الريتس أنا والمحافظ ميتكيس وعطوة وهو فلسطيني متزوج من ابنة رجل أعمال مشهور في مصر وكان بيبالغ جدًّا في احترامي، حتى إنه كان عندما أحرك يدي يقف ظنًّا منه أني سأقف فقلت له يا عم على بالراحة شوية شايف عطوة صاحبي ده فقال آه. فقلت له: ده شيال في سوق اللحمة وأنا كنت شيال معاه من كام سنة بس هو كان شيال متثبت وأنا ظهورات.
فالمهم فكينا القعدة من الرسميات وبصراحة أنا عندي حاسة من الأشخاص اللي بيبالغوا في الاحترام بحس إنهم نصابين ودى خبرة اكتسبتها من زمايلى النصابين في طرة. وعرض عليًا علي الصفدي مشروعه وكان عبارة عن مصنع تعبئة سكر على أحدث مستوى مقام على مائة فدان، عشرة أفدنة مباني والباقي أرض فضاء غير مستخدمة وفي أقل من ثانية قفز في عقلي السيارات اللي هاتودينا السجن لو مانقلتهاش وكمان السيارات التي في أجران أقربائي وحطيتها في دماغي وبدأت أتفاوض معه وأخبرني أنه مديون للبنك بـ 15 مليونًا، وأن سعر المصنع بالأرض يفوق العشرين مليونًا، وهو عايز يبيع 90٪ من المصنع ويحتفظ بعشرة له مقابل أني أسدد الدين ووافقت فورًا لأني ضربتها في عقلي بسرعة أن الأرض لوحدها هتنقذ نص مليار عندي واشترطت عليه أن لما نرجع مصر المستشار القانوني بتاعي الأستاذ خالد حسونة رئيس محكمة المنصورة سابقًا وباقي المحامين يفحصوا الأوراق ولن أدفع مليمًا إلا للبنك تسديدًا للدين وبعد توقيع المستشار، القانوني واتفقنا مبدئيًّا أنني سوف أشتري عشرين ألف طن سكر لوزارة التموين قد كنت اتفقت مع جلال أبوالدهب لشرائهم عشان أغيظ الريان يبقى هو ماسك وزارة الزراعة وأنا التموين، واتفقت معاه إن السكر سيظل في مخازن وزارة

التموين في مصر وهو يستلم نصف طن بنصف طن، وكلما باع الكمية وسلم المبلغ للوزارة وقعت له بصرف نصف طن آخر حتى يتم نقل المصنع بكامله لي. ومش عارف ليه لقيته عارف موضوع السيارات بس قلت يمكن صدفة أو تيسير قاله فلقيته بيقوللي ما تجيب العربيات وخزنها في أرضك ما هي بقت أرضك. فقلت له بعد ما المحامي يروح للبنك ويديني التمام دي حاجة ما تزعلش يا عم علي، دول نصف مليار جنيه، وعموما دول هيخلصوا قبل مانتزل إنت بس إبعت المستندات اليوم وهو هيتحرك من الصبح، فهو كلم مكتبه في مصر وأنا كلمت مكتبي واتفقنا، بس أقسم بالله عندما غالى في الاحترام قلقت منه ولما قاللي إنقل العربيات قلقت أكتر.



محطة (36)

هذه القصة ليست حدوتة للتسلية ولكنها رواية لو كان هناك إنصاف كانت المفروض أن تكون مثل كتاب تاريخ الجبرتي، فكل حرف فيها يجب أن يبروز بحروف من ذهب لكي تكون شاهدة على نزاهة وشرف المؤسسة القضائية في مصر، وعلى هيبة الدولة التي كانت وقتئذ رغم كل ما حكيته من قبل وما سأحكيه هنا في هذه القصة، وعلى القارئ أن يتدبر كل حرف ليصل إلى المقصود والغاية من كتابتها. وكل ما أتمناه أن يقرأها من سيتولون مقاليد الأمور في مصر في المرحلة القادمة، وسأحاول بقدر الإمكان أن أركز على الأحداث التي من أجلها قررت كتابة هذه المحطات من حياتي. وهذه المحطة ليست الوحيدة التي تحتاج إلى تدبر ولكنها من أخطر المحطات. فبعد أن اتفقنا على شراء المصنع وإقامة شراكة بيني وبين الصفدي عدنا من باريس وذهب المستشار القانوني لشركات السعد إلى البنك وراجع مع البنك القروض التي على الصفدي، وذهب إلى الشهر العقاري وتأكد أن المصنع مرهون للبنك مقابل قرض 15 مليون جنيه تقريبًا، والأرقام التي أكتبها ربما لا تكون صحيحة ولكن لن تكون الفروق كبيرة، ففي النهاية تأكدنا أن المصنع مرهون في الشهر العقاري لصالح البنك مقابل المبلغ وتم دفع المبلغ ونقل ملكية 90٪ من المصنع لشركة السعد ونزِّلنا إعلانًا في الصحف أن الشركة أصبحت هي مالكة المصنع، وتم نقل جميع السيارات في الأرض الفضاء المجاورة للمصنع وحطيت عليها أكثر من مائتي غفير برئاسة أحد أقاربي من القرية رمضان سعد الدين وكان زي الحيطة مترين في مترين وأصبح منظر مخزن السيارات

مهيبًا، لدرجة أن الغفر كانوا يلاحظون طائرات تمر على المخازن لتصويرها فكانت لأول مرة في تاريخ مصر يظهر هذا المشهد المهيب. وكنت رغم أنني فرحان بالمخزن وأن جميع السيارات أصبحت في مخزن واحد وفي الوقت ده كان عندي في كل محافظة من محافظات مصر معرض سيارات وكل معرض يبيع ما لديه من مخزون يتم إحلاله من المخازن الرئيسية، ومدير المبيعات مسؤول أن يحتفظ بالمخزون الإستراتيجي الذي وصل إلى 8000 سيارة لم تكن شركة في الشرق الأوسط تملكه. ورغم كل الاحتياطات القانونية إلا أنني لم أكن مرتاحًا للصفدي. وبصراحة منذ ولادتي وأنا داخلي شخصية شيطانية لا أستخدمها إلا حين أن أشعر بقلق شديد ممن أتعامل معه. وكنا قد استوردنا بأكثر من خمسين مليون دولار سكر تم إيداعهم في شركة النصر، وهي شركة قطاع عام تابعة لوزارة التموين أو الاقتصاد إن لم تخني الذاكرة، وكان يرأسها رجل محترم اسمه كمال الهلالي واتفقنا أن لا يصرف حبة سكر لعلى الصفدي إلا بتوقيعي وكانت هذه هي السكينة التي وضعتها على رقبة علي الصفدي حين اكتشفت أنه يلعب بديله. وكان لي سكرتير (كاتم أسرار) أثق فيه تمامًا فسألته هل طلب الصفدي كمية من السكر لتعبئتها؟ فقال هو أرسل عايز عشرين طنًّا، فقلت له هات أمر الصرف وقلت له قلد توقيعي فقال ليه؟ قلت له نفذ من غير متسأل وخليته وقع أمر بصرف العشرين طن. وكان الصفدي متعود أنه يرسل أحد موظفيه لاستلام إذن الصرف ولم يشك أبدًا أني ممكن أكون مش موقعه وطبعًا صديقي قلد توقيعي لدرجة أنني شكيت أنه توقيعي وفعلا تم صرف الكمية لعلي الصفدي. ومرت الأيام والأمور تسير على ما يرام إلى أن جاء اليوم المشؤوم فصحيت على مكالمة من رمضان رئيس الغفر يخبرني أن مُحضرًا من محكمة التل الكبير جاء لتنفيذ أمر حجز على مخزن العربيات ولو كان قاللي كل عيلتك ماتت ما كنت ارتبكت مثلما ارتبكت يومها ولم أنتظر يحيى السواق، ولم أدخل حتى الحمام ونزلت من البيت طيران على العاشر من رمضان ووقتها كان الموبايل لسه نازل مصر وكان عبارة عن شنطة وزنها عشرة كيلوجرامات وكان فيه منه خمسة في مصر،

وقدت سيارتي ولا أدري كم كانت السرعة واتصلت بسكرتيري وكل من يعمل في مكتبي وقلت لهم تعالوا على مخازن العاشر من رمضان ورحت لقيت المحضر واقف أمام الباب فسلمت عليه وسألته: إيه الحكاية؟ فقاللي: معايا حكم من المحكمة بالحجز على مصانع الصفدي بما عليها من أشياء ثابتة أو منقولة. فقلت له هذا ليس ملك الصفدي وحاولت أشرح له. فقاللي: يا حاج ماتضيعش وقتي أنا بانفذ حكم وكل اللي قلته مافهمتش منه حاجة. فقلت: طيب أنا آسف مش هخليك تحجز فقاللي: براحتك، ومشي. وبعد ساعة لقيته هو وقوة من المركز بقيادة المأمور وطبعًا عبس وتولى، فلا فائدة من الكلام وأخبرني المأمور أن هذا حكم محكمة لا يستطيع إيقافه إلا حكم من المحكمة. فقلت له نفس الكلام آسف مش هاتحجز، فقاللي: ولا يهمك ومسك جهاز اللاسلكي واتصل بمدير أمن الإسماعيلية وبعد ساعة لقيت أكتر من عشر سيارات أمن مركزي بقيادة مدير الأمن السيد اللواء أحمد حسني بكر أمام بوابة المخزن............ وأرجو ألا يتسرع أحد في الأحكام على أي شخص أو مؤسسة حتى أنتهي من كلامي، لأنني سأثبت للعالم كله بمستندات لا تقبل الشك أبدًا أبدًا أن قضاء مصر هو أنزه وأشرف مؤسسة قضائية في العالم رغم كل ما فيه من ثغرات أو عناصر فاسدة. وحتى لا يخرج عليَّ أحد ويقول أنت تريد تلميع شخص أو أشخاص فهذا كلام باطل، لأن القصة سردتها بالكامل قبل الثورة وفي أوج قوة نظام مبارك، ولم يكن أحد في وضعي يجرؤ على التفوُّه بكلمة، وكل من كان يتكلم لم يكن عنده ما يخسره لكنني تكلمت ولم ألقِ بالًا لأي شيء، وكانت كل أملاكي تحت يد النظام فأرجو الانتظار لإطلاق الأحكام قبل أن أنتهي.

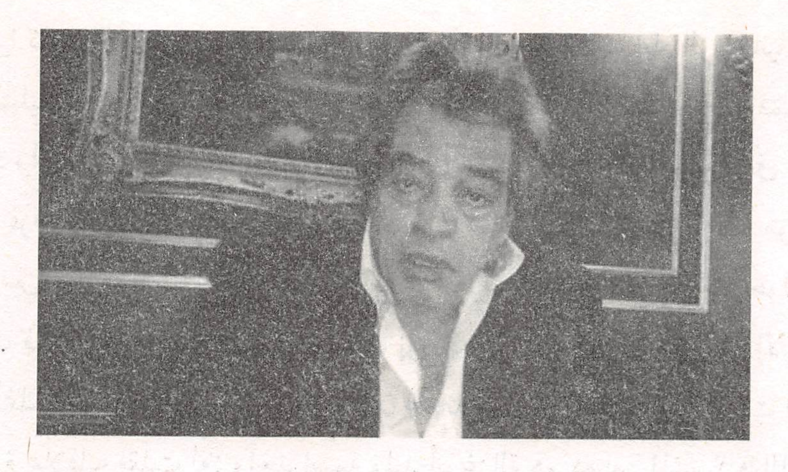
اسمحوا لي أن أصطحبكم معي في أعماق محيط الذكريات والتاريخ لنشاهد جميعًا ماذا فعلت العشوائية في المصريين. فقد تعودت من بداية تجربتي في الحياة ألا أكون الحلقة الأضعف أبدًا، وعندما كنت أشعر بالخطر من أي شخص كنت أفكر كيف يكون في يدي السلاح الذي أجعله هو نفسه يقضي على نفسه به دون أن ألوث يدي.

عمومًا جاء مدير الأمن ومعه قوة من الأمن المركزي ووجدني فارش عباءتي أمام بوابة المخزن. وقلت له لن أمنعك من الدخول ولكن على جثتي فقد كنت متأكدًا من خطورة الموقف رغم سلامة موقفي القانوني، ولكن إجراءات إثبات حقي كافية بالقضاء على كل ما فعلت لو انتشر الخبر وتم الحجز على سيارات قيمتها نصف مليار جنيه، ووقتها سأموت حتى أثبت أنني جمل وليس قردًا. واتصل مدير الأمن باللواء زكي بدر وقال له: أشرف السعد نايم أمام البوابة ولا يريد لنا أن ننفذ حكم محكمة وشرح له الموقف فقاله: دوسه وخش نفذ حكم المحكمة. واتصلت بزوج خالتي اللواء ممدوح برعي مدير أمن القاهرة وقتها، ولم يكن زوج خالتي فقط بل كنت أنا وبلا مبالغة مثل نور عينه وكان صديقًا وليس زوج خالة، وأخبرته بما حدث فقال لي: اسمع أنا مستعد آجي فورًا وأنا عارف إني ممكن أترفد فيها بس لازم تتأكد إني هاجي هابقى أنا ورمضان الغفير مثل بعض ونصحني أن أرسل المحامي بسرعة لعمل إشكال في التنفيذ وقاللي لن يستطيع أحد أن يتدخل في حكم المحكمة مهما كان مركزه. وقاللي: عشان ماتفتكرش إني بتهرب أنا جاي حالا، فأقسمت عليه أن لاينزل من مكتبه وأنا سأخبره أولًا بأول بما يحدث. وأصبحت الدنيا تشتد ظلامًا رغم أننا كنا في عز الضهر وكان كل ما يشغلني هو إخراج السيارات قبل تنفيذ الحجز فقد تأكدت أن المغرز المعمول فيًا هو من أجل الاستيلاء على السيارات. وكان وقتها رئيس مجلس الشعب هو الدكتور رفعت المحجوب وكانت تربطني به صلة قوية جدًا وقتها فاتصلت به عدة مرات حتى تمكنت من الحصول عليه وشرحت له الموقف فقال لي من غير ما تشرح أنا لن أصدق فيك أي شيء مهما كان، ولكن هذا حكم محكمة ولن يستطيع حتى رئيس الجمهورية التدخل، ونصحني بنفس نصيحة ممدوح برعي وقاللي إنت ناسي اللي حصلي أنا أخويا كان في السجن بأمر محكمة وإنت اللي أنقذته إنت نسيت يا عم أشرف. واسمحوا لي أن أترك مدير الأمن والصفدي والسيارات وأذهب إلى علاقتي برفعت المحجوب هذا الرجل الذي أحسبه مات شهيدًا ولا أزكيه على الله فقد ظُلم كثيرًا كما ظلم غيره، وكل

ما أرويه مؤيد بمستندات دامغة. وسأعود بكم إلى الوراء كثيرًا إلى يوم زيارتي للريان في مكتبه، يوم أن قرأت الإعلان الذي ظهر فيه مع مبارك. فعندما ذهبت إليه أخبرني وأنا معه في المكتب أن الفنان محمد العربي وزوجته هناء ثروت قد اعتزلا الفن وأن زوجها يعمل معه في الشركة، ولم أكن شاهدته من قبل فقلت له: مين محمد العربي؟ فقالي اللي عمل الفيلم المشهور «حمام الملاطيلي»؛ تخيل يا شيخ أشرف إن هو وبطلة الفيلم شمس البارودي اعتزلا الفن وتخيلت محمد العربي شابًا وسيمًا جدًا من رواية أحمد عنه، وأثناء حديثنا دخل رجل غاية الوسامة واعتقدت أنه محمد العربي من شدة وسامته فقلت له: أكيد أنت محمد العربي فضحك أحمد وقالي: لالالالالالالالا ده العقيد حسني رضا وهو ضابط بالبحرية متقاعد ويعمل في تجارة الرخام، وهو من أقرب الناس لشركة الريان، وشعرت وقتها بحب شديد لهذا الرجل ولقيته بيقوللي: إنت أكيد الحاج أشرف، واحتضني بشدة، وأقسم أنه بيتحايل على أحمد منذ شهور إنه يعرفني عليه من كتر حكاوي أحمد عني، وأعطيته تليفوني وفعلا زارني بعد كده وأصبح هو ضلي فلا أذهب لمكان إلا وهو معي. وكان يعمل في القوات المسلحة ضابط بحري وهو سبب هزيمتنا في 67، لأنه كان بيسيب المراكب الإسرائيلية تعدي ويقعد يعاكس ستات.

طبعا باهزر لكن هو فعلًا كان غاية في الوسامة وتم نقله من البحرية للحراسات الخاصة، وكان الحرس الخاص للسيدة جيهان السادات فكان يرافقها إلى الجامعة عندما كانت تدرس الدكتوراه في كلية الاقتصاد. وكان وقتها رفعت المحجوب هو عميد الكلية فكان يجلس في مكتبه أثناء المحاضرات ينتظر جيهان السادات فنشأت علاقة قوية جدًا بينه وبين رفعت المحجوب، ثم ترك وظيفته وأصبح المحجوب رئيس مجلس الشعب واحتفظا بعلاقتهما. وأتمنى من القارئ ألا يتعجب من تشعبي بالأحداث فلا مفر ولا مهرب من كتابتها كما حدثت، رغم أنني وأنا أكتب الآن أجدها أغرب من الخيال، فعندما تكتمل خيوط القصة سوف تلتمسون لي العذر لتشعبي وأنا أحكيها لأنها هي السبب بعلاقتي برفعت المحجوب وكيف كان المحجوب واللي مشغل المحجوب وكل قوى العالم لايستطيعون أن يقتربوا من القضاء.

الشاهد أن في هذا الوقت كان مصطفى السعيد وزيرًا للاقتصاد وهو ليس تكنوقراطيًا فقط بل هو من أذكى وزراء الاقتصاد الذين مروا على مصر، ولكن كان ينقصه الولاء. وكان رفعت المحجوب ومصطفى السعيد وفتحي سرور شركاء في مكتب استشارات قانونية دولية قبل توليهم مناصب في الدولة. وكان مصطفى السعيد معروفًا أنه ابن المحجوب المدلَّل، وكان شقيق رفعت المحجوب عبد الخالق هو مدير مكتب مصطفى السعيد، وكان حسن الألفي وعلاء عباس وأحد مراكز القوة في مصر حلفًا ضد المحجوب والسعيد وكانت كل قضايا العملة لايجوز تحويلها إلى المحكمة إلا بعد موافقة وزير الاقتصاد. وكانت معظم القضايا التي يضبطها علاء عباس يجد فيها السعيد تعسفًا من الشرطة فيرفض إقامة الدعوى الجنائية، مما جعل علاء عباس يمكر به ويكيد له والخفايا لايعلمها إلا الله حتى الآن. أما أنا فأكتب ما كنت طرفًا فيه بنفسي ووقع أن علاء عباس كما رُوي أنه اتفق مع أحد كبار تجار العملة أن يضبطه علاء متلبسًا ثم يتهم مصطفى السعيد وشقيق المحجوب أنهم أخدوا منه رشوة لرد المبالغ المضبوطة وكانت من سلطة الوزير أن يرد المبالغ دون إبداء أسباب. وبالفعل تم ضبط تاجر العملة محمود سلطان وتم العرض على الوزير ورفض إقامة الدعوى الجنائية ضده ووقع عليه الدكتور مصطفى السعيد وذهب التاجر لاستلام الورقة من مكتب الوزير وفي يده شنطة بها دولارات، وأثناء الاستلام دخل علاء عباس ومعه قوة وأمر من النيابة وتم القبض على شقيق رفعت المحجوب بتهمة الرشوة وطبعًا الدكتور مصطفى السعيد من حقه رد المال، والأمر لا يحتاج للرشوة، واعتقد المحجوب الكبير والصغير أن علاء عباس ورئيسه ووزيره وقتها قد حفروا قبورهم بأيديهم لأن شهادة الدكتور مصطفى تنسف القضية برمتها، ولكن المفاجأة أن الدكتور مصطفى السعيد عندما ذهب إلى النيابة أنكر أن يكون وقع على الورقة وأن شقيق رفعت المحجوب زور توقيعه، وتم حبس شقيق الدكتور رفعت وهو رئيس مجلس الشعب ونُشر الخبر في جميع الصحف وسقط المحجوب الكبير مغشيًا عليه في مكتبه.



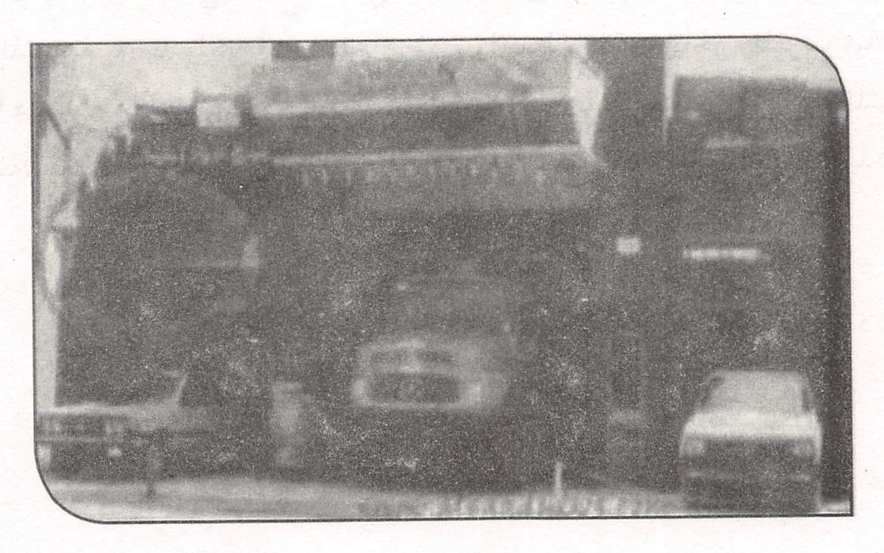
حسني رضا

حاول الدكتور رفعت المحجوب إقناع مصطفى السعيد أنه يقر أنه توقيعه وهذا لن يضره لأنه من سلطته، ولكن كانت المؤامرة للتخلص من رفعت المحجوب قوية وكان رفعت المحجوب مقربًا جدًّا من الرئيس مبارك، ومع ذلك لم يتدخل الرئيس مبارك ببنت شفة وحكمت المحكمة على شقيق المحجوب بعشر سنوات سجنًا. وبقدر الله وحده كنت أنا السبب في كشف الملعوب بعد أن قضى شقيق المحجوب أكثر من نصف المدة. وكانت بسبب معرفتي بحسني الذي أخبره أن نجاة شقيقه في يدي فوجدته في بيتى فورًا مع حسني، وكلمني حسني قاللي أنا والدكتور رفعت في الطريق لك ومن يومها أصبحت أنا عند المحجوب صاحب فضل وتوطدت علاقتي به جدًّا. وسأعود إلى قصة كشف الملعوب، ولكن أنا كتبت سبب تعرفي على الدكتور رفعت حتى يتأمل الناس فيما كان يشاع عنه وأن القضاء مسيس، ولذلك عندما استنجدت به يوم الحجز على السيارات وقال إنه لن يستطيع التدخل ونصحني أن أذهب إلى المحكمة وذكرني أنه لم يستطع أن يتدخل في القضاء لإنقاذ أخيه فطبعًا صدقته وعرفت أنه لا يتهرب مني. الشاهد بدأت الدنيا تسوَّد في وجهي واقترب المغرب ومدير الأمن لا يريد استخدام القوة معي، وحاول إقناعي أن أمكنهم بالدخول دون التعرض لي بأذى لأن الحكم سوف

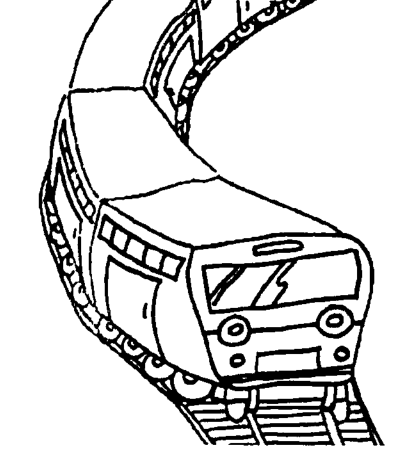
يُنفذ مهما كانت الأمور، وسجدت لله ودعوت الله واستحضرت أيام الروحانيات مع جماعة التبليغ وبكيت في سجودي وكان دعائي اللهم استرني ولا تفضحني، وقمت من السجود وأنا مستسلم لقضاء الله تمامًا ونويت أن أنصرف من أمام البوابة ودق جرس الموبايل فرفعت السماعة وقلت نعم. فرد صوت شاب وقال: حسني رضا موجود. فقلت: مين عايزه. فقالي: أنا وليد أبوغزالة، وشعرت أن فرج الله جاء بلا حول مني ولا قوة، فكتمت صوت التليفون والتفت إلى حسني لأنه كان لا يفارقني إلا وقت النوم وأغلب الأوقات كنا نبيت معًا إذا كان عندنا عمل خارج القاهرة. وكنت أعرف مدى قوة علاقاته فقلت له: واحد اسمه وليد أبوغزالة هو ده ابن المشير؟ فقالي: آه، وخطف السماعة وقالي: ده نفسه يتعرف عليك من زمان، فشديت السماعة منه ويدي على زرار كتم الصوت وقلت له: خليه ييجي وأى شيء يطلبه هاعطيه له، فقالي: مانا هاعمل كده وكلمه حسني وسمعته بيديه عنوان المخازن. وقفل حسني الهاتف وقالي: اعتبر الموضوع انتهى، ربع ساعة وهيكون هنا. فقلت له: تفتكر هيعمل اللي المحجوب ماعملوش، فقالي: بقولك اعتبر الموضوع خلصان فقلت له: طب عشان خاطري كلمه شوفه اتحرك ولا لا، فقالي: يا عم أنا بقولك جاي فأصريت أنه يكلمه فطلبه قاله: أنا بيني وبينكم ربع ساعة أنا ركبت طريق مصر الإسماعيلية وداخل على العاشر. وطبعًا لقيت نفسي واحد تاني وقمت وبصيت لمدير الأمن وقلت له اتفضل خش احجز وشعر إن فيه شيء مش مظبوط، وأن فيه حاجة هتحصل فقالي: مانا قلت لك من الصبح مافيش فايدة ده حكم محكمة. فقلت له: اتفضل نفذ الحكم بس لعلمك دي سيارات المشير أبوغزالة، فقالي: يعني أنا باحترمك من الصبح وماردتيش أسمع كلام زكي بدر وإنت تيجي تهددني دلوقتي وراح شاتم أبوغزالة واللي خلفوه. وقالي: والله العظيم لو بتاعة مبارك هاحجز على المصنع وما عليه، يعني هاحجز وطال بيننا الكلام وكأنه كان متعمدًا تأخير الدخول لإحساس داخلي عنده وشفت من بعيد رعاش سيارة تقترب من المخازن ولقيت حسني واقف يشاور له فتأكدت أنه وصل، ولقيت سيارة (بي. إم) بتركن

جانب البوابة، ونزل منها شاب طوله متر ونص واخترق قوات الأمن المركزي ووصل لمدير الأمن وطبعًا كان حسني فهمه الموضوع بسرعة وعندما اقترب من مدير الأمن قاله: لو سمحت ممكن كلمة على انفراد، فغضب مدير الأمن وقاله: مين حضرتك؟ فأخرج له كارنيهًا عندما رآه مدير الأمن تغير وجهه تمامًا وقاللي: ليه ماقلتش من الصبح إن الباشا له علاقة بالموضوع كنت قلت لك تعمل إيه، وطبعًا أنا أذكى من إني أقوله إنت لسه سايب اللي خلفوه فقلت له: أنا آسف يا فندم ومشي هو ووليد حوالى نصف ساعة في الصحراء حتى اختفوا عن أعيننا، وبعد نصف ساعة عادوا الاتنين مع بعض وسألني مدير الأمن العربيات دي بتاعتك يا حاج أشرف، فقلت: نعم. فقاللي: يعني كل أوراق ملكيتها معك؟ فقلت: نعم، فقاللي: يعني تقدر تنقلها من هنا وماحدش يتعرض لك؟ فقلت له: طبعًا. فقاللي: اسمع أنا شرحت للباشا وإحنا لازم ننفذ أمر المحكمة حتى لو المشير نفسه جه ولكن أنا هاخدم في شيء واحد إن الوقت إتأخر والمغرب هيأذن فأنا هامشي وهانيجي بكرة الصبح الساعة تسعة وهنحجز على كل شيء حتى لو المشير نفسه، فبكيت من الفرحة ووجدت نفسي أؤدي له التحية العسكرية وكدت أقبل يده.





حسني رضا اللي على يميني ومحمد محجوب الله يرحمه ابن خالتي اللي على شمالي واللي كان بيشتمني في باريس لما كان بيفرغ كميون اللحمة وكل ماينزل كرتونة يشتمني والصورة الثانية واجهة معرض السنبلاوين اللي بنيته على الأرض اللي أخدتها من الحاج فتحي عوض الله واللي خلف حسني يحيى سعد السائق الخاص لي وابن عم أبويا



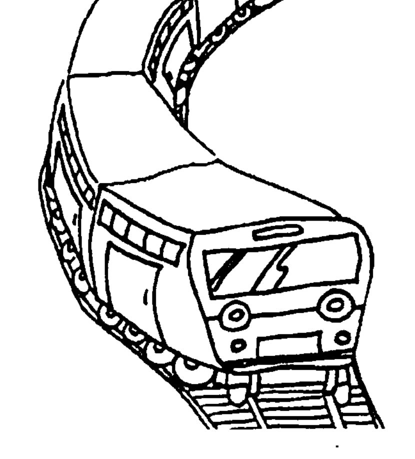
محطة (37)

لم أصدق نفسي من الفرحة وطبعًا كان أهل المنطقة كلهم تجمعوا لمشاهدة الحدث كطبيعة المصريين. وكانت علاقات رمضان رئيس الغفر بأهل المنطقة توطدت جدًّا وكان واضح أن في مشكلة في إيجاد مكان لتخزين السيارات وباختصار وجدت أن مُلاك الطريق الصحراوي بأكمله عن طريق وضع اليد كانوا من الحاضرين وبدأت العروض تنهال عليًّا لشراء أرض وفعلا اتفقت مع أحدهم على شراء مائة فدان. وكان من عادتي دايما يكون معايا نصف مليون جنيه في العربية للطوارئ واشتريت الأرض وفي أقل من نصف ساعة كان معي أكثر من 200 أو 300 سواق وقلعت هدومي وبدأنا ننقل السيارات وأنا معهم وطلع الفجر وقد تم نقل جميع السيارات إلى الأرض الجديدة. وجاء اللواء في الصباح ولم يصدق أبدًا ما حدث وطبعًا كان حسني في هذا اليوم طوق النجاة لي وقلت له شوف وليد عايز إيه اللي يطلبه إديه ضعفه والحقيقة لم يطلب 1٪ مما توقعته. وطلبت من حسني إنه يطلب منه يشتغل معايا وهاعمله مكتب أحسن من مكتبي واللي يطلبه هاعطيه إياه ووافق وبدأت أتفرغ للصفدي وعرفت أنه كان مقترضًا على المصنع مبلغ عشرين مليونًا قرضًا تجاريًّا بضمان بضائع في مخازن مغلقة، وطبعًا كلها صناديق فاضية ومن هنا تعلمت الرهون المزيفة واللي كلمت رئيس الوزراء عنها في اجتماع مجلس الوزراء، وللأسف هذه الرهونات لا تظهر في الشهر العقاري وكانت من هنا الخدعة ولم يكن الصفدي يعلم ما كنت دبرته له وأثناء خروجي من المصنع وجدته واقفًا في مدخل المصنع ولما شافني اتجه نحوي وقبل أن يتكلم صرخت بأعلى

صوتي أمام كل الحاضرين بما فيهم مدير الأمن وقلت له إن مالبستكش فستان وخليتك تحط روج تكون مراتي طالق مني وهالبس أنا فستان وألف مصر كلها. ولعلمك إوعى تفتكر إن وليد هيدخل وهتشوف بنفسك وسيبته ومشيت وقلت لحسني خلاص أنا هاروح ونتقابل بالليل في المكتب فقاللي: هتعمل إيه؟ فقلت له: بالليل هتعرف ومش عايزين وليد يتدخل في حاجة ماتقلقش الخطر زال والفضل لله ثم لك، فقاللي: بطل هبل. فقلت له: فاكر أوامر الصرف ففهم فورًا اللي هاعمله وقاللي: عليًا الطلاق أنا كان قلبي حاسس إنك مابتهبلش وحاسب كل حاجة.

وطبعًا لو كنا رحنا المحكمة كنت هاكسب القضية لا محالة، بس كنت وقتها حياتي ستدمر إن تم الحجز على السيارات ولو لساعة واحدة. وطبعًا تاني يوم الصبح أرسلت لشركة النصر خطابًا أطلب فيه رصيد الشركة من السكر عندهم فأرسلوا لي ما يفيد رصيدي فأرسلت لهم أن الرصيد ناقص عشرين ألف طن وطبعًا كلها مخاطبات رسمية عن طريق الشؤون القانونية في شركتي وشركة النصر، وطبعًا شركة النصر قطاع عام ملك الدولة فأرسلوا لي أنني وقعت أمر صرف للصفدي بعشرين ألف طن فقلت لم يحدث، فأرسلوا لي أمر الصرف فقلت ليس توقيعي ومستعد أروح الطب الشرعي وطبعًا في ثانية كانت الدنيا مقلوبة وقامت الشؤون القانونية بإبلاغ النيابة ضد الصفدي بتهمة الاستيلاء على المال العام وتزوير مستند رسمي، وتم إصدار ضبط وإحضار في حقه وهنا تدخل زوج خالتي فأمر الضبط والإحضار تابع لمديرية أمن القاهرة وهو الآن بينفذ القانون وليس عليه حرج، ورحت قعدت في مكتبه لحد ما استلم أمر الضبط والإحضار ووقتها كان محمود وجدي هو رئيس مباحث العاصمة وأنا قلت لممدوح برعي لو ماقبضتش عليه النهاردة يبقى لا تعرفني ولا أعرفك، وفعلا جابوه من مزرعة يملكها حماه على الطريق الصحراوي بعد أن ذهبوا إلى منزله ومراته لما شافت المنظر اتخضت، وللأسف الشديد زوجته كانت قمة في الأخلاق وكانت صديقة أم بلال الله يرحمهم الاتنين، وكانت عارفة اللي عملوا جوزها رغم أني وقفت معاه وكان أبوها من

كبار التجار في مصر وكان صاحبي جدًّا ولن أذكر اسمه لأنه لا دخل له فيما حدث. وكانت النيابة المختصة نيابة بورسعيد وأذكر اسم المحقق حتى الآن كان رئيس نيابة اسمه فتحي غزي، وتم ترحيل علي إلى بورسعيد عن طريق القطار وأنا ماشي بعربيتى مع القطار لأني عارف إن النيابة ستحول التوقيع للطب الشرعي وأنا وصلت قبل القطار يمكن بثلاث ساعات وجاءني حماه إلى الفندق الذي كنت نازل فيه في بورسعيد وقاللي أنا مستعد أن أصحح كل ما فعله وحقوقك ترجعلك بس بلاش القضية دي فقلت له يا فلان بك إنت راجل محترم بس جوز بنتك عارف أنا عايز إيه وأنا أقسمت أمام الناس وأنا مش عايز فلوسي ولا المصنع بس لازم ينفذ اللي أنا طلبته منه وحققت معه النيابة وحققوا معي وأرسلوني إلى الطب الشرعي الذي أثبت أن التوقيع ليس توقيعي، وساعتها علي عرف أن أَقَلَّ حكم فيها 15 سنة لو اتحولت للمحكمة وراح وكيل النيابة راقعه 45 يوم حبس مع مراعاة التجديد في الميعاد.



محطة (38)

بررت بقسمي وكان في أضيق الحدود مجاملة لنسيبه، وتم التنازل عن القضية، وتم تسجيل المصنع بالكامل باسمي بعد أن دفعوا القرض وقد قدمت في مدير البنك بلاغًا اتهمته فيه بالتواطؤ. وعلى أي حال أخدت حقي تالت ومتلت، ولكن كانت نفسي قفشت من المصنع واتفق معي حماه إنه هيشتريه بس أعطيه فرصة وقد كان. وأريد أن أعود إلى السنبلاوين وشركات السعد في بدايتها ولكن قضية وليد تلح عليَّ أن أكملها، وكذلك قضية مصطفى السعيد تقفز إلى عقلي وكأنها تهددني إن تركتها للنهاية، وسوف أستجيب لهما، ولكنني مضطر أن أظل في وسط القصة لأن الأحداث حدثت في منتصف التجربة، وهناك أحداث مهمة حدثت في البداية قفزت فوقها سنوات ولكن أنا متأكد الآن أن الأحداث لا محالة ستعيدني إليها مجبرًا ومسلوب الإرادة. وأستكمل قضية وليد فقد خصصت له مكتبًا بجانب مكتبي الذي كان في قصر البدراوي الذي حكيت لكم حكايته حين كنت أمر عليه يوميًا وأنا ذاهب للمدرسة وكنت أتمنى أن أدخله ولو لمرة واحدة داخل السور فقط، وبالفعل استطعت التعرف على البواب وأصبح صديقي أمر عليه يوميًا وأحييه وأقول إزيك يا باشا فيرد على يقول أهلا سعادة البيه. وكم كنت سعيدًا حين يناديني بسعادة البيه وأنا طالب في ثانوي وكنت أتعمد أن أصطحب أصدقائي ونمر من أمام القصر وأسلم على البواب فيقوللي يا سعادة البيه وكنت أخطف كلمة يا باشا عشان ياخدوا بالهم فقط من سعادة البيه، ويظنوا أن القصر ملك أحد أقاربي

وكنت متخصصًا إن أي حد يزورنا من البلد الفلاحين طبعًا وحتى المتعلمين فأقوله تعالى نتمشى وأفرجك على مصر وأخده ونروح نمر على القصر وأسلم على البواب وهو يقوللي يا سعادة البيه عشان لما يرجعوا البلد يحكوا الحماتي اللي هي أم هدى بنت عمي.

ولما اشتريته وقفت أمامه أكثر من ساعة أتأمل قدرة الله وسألت على البواب فللأسف كان مات فحمدت الله لأنه لو كان عايش وعرف إني أنا اللي اشتريت القصر كان هيطب ساكت ويموت وابقى أنا القاتل.

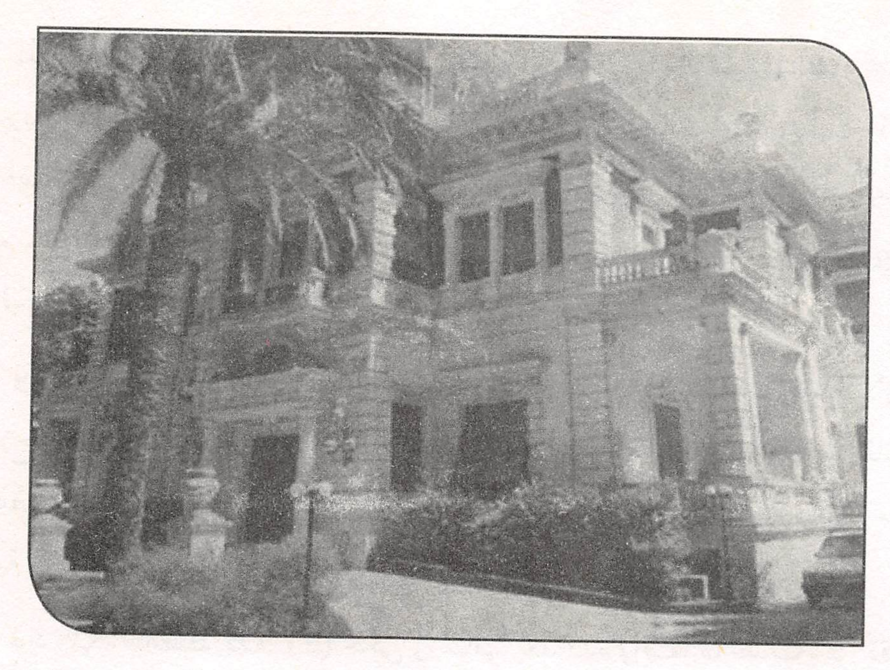
وكان قصرًا مهيبًا وعندما اشتريته أذيع الخبر في جميع أنحاء مصر رغم أني اشتريته من الريان وحولته فورًا إلى المقر الإداري لمجموعة شركات السعد وكان هذا القصر سببًا آخر في أنه يعمل عندي وكان وقتها ابن صفوت الشريف يعمل في الشركة بمرتب ألف جنيه، ولم يستمر كثيرًا لأنه بقى أغنى مني خلال سنة. المهم وجود وليد مما لا شك فيه كان سببًا في تحصين الشركة على الأقل من تلقيح الجتت إلى أن جاء اليوم الموعود.

كان حسني رضا كاتم أسراري ورفيق عمري في الشركة فقد أصبحت مدمنه ولا أستطيع أن يمر يوم وهو ليس بجانبي وهو نفس الشيء، وكان عمه نائب وزير الزراعة وكان حسني يعمل عند الريان قبل أن يعمل معي كما أخبرتكم وكان عمه هو المسؤول عن استلام الذرة الصفراء من الريان، وهو السبب في تعارفه على د. يوسف والي، وطبعًا حسني كان قد قرر الاستقالة من الجيش وممارسة التجارة فهو سليل أسرة كلها إقطاعيين فخاله طلعت بك سليط من السنبلاوين وهو معروف جدًا وحماه محيي ترك صاحب أكبر مصنع رخام في مصر.

وكان حسني يبرم صفقات وهو مع الريان وحتى وهو معي كان يتسبب في إبرام صفقات ضخمة وطبعًا كنت باحفظ حقوقه وكنت أعامله على أنه شريكي وليس كاتم أسراري. وللأسف الشديد كان قدرنا دائمًا علاء عباس فهو يعلم علاقة حسني بالمحجوب، وكان حسني قد حصل من الريان على شيك بربع مليون دولار عمولة

على صفقة رخام ويعلم الله أن هذا ما علمته، أما الحقيقة فهي عند الله. وجه يوم أسود من قرن الخروب حسني اتأخر ماجاش في ميعاده فاتصلت بالسيدة حرمه حنان ترك، فوجدتها تبكي بل تصرخ وتقوللي إلحق حبيبك أنا قلت ده مات طب هالحقه فين ده، بس بصراحة جلست مكاني ولم أستطع الحركة حتى قالت علاء عباس جه قبض عليه الفجر وقبض على عمه نائب الوزير، والموضوع نازل في جرايد النهارده، يعني كتبوه قبل ما يقبضوا عليه، فجبت الجرنان لقيت القبض على حسني وعمه وأحمد الريان في قضية الذرة الصفراء.

وكانت تهمة حسني هي الشيك الذي أخذه من أحمد وطبعًا عرفت إن حسني قال إن دي فلوس كانت له عند الريان وأخدها منه وحطها في شركة السعد، فعرفت إن رجلي جاية وقلت بلاش استعجال الأمور. ودخلت مكتب وليد وقلت له: حسني اتقبض عليه هو وسامي صادق، وسامي ده كان ضابط في الجيش وكان الحرس الخاص للمشير الجمسي، وكنت على علاقة ليست وطيدة بالجمسي ولكنها كانت قوية بحسني لأن الجمسي كان يعمل مع حماه في مصنع الرخام بعد أن ترك الخدمة. والعجيبة أن الجمسي كان هيشحت لو ماشتغلش فكانت يداه طاهرة ولم يخرج إلا بمعاشه، وكان طلبه الوحيد أني أشغل سامي معايا وفعلا اشتغل معايا وأرسلته مع وليد إلى النيابة. وكان المحقق وكيل نيابة لو أبوه راحله في ردار، يعني سرعة زيادة، ورب الكعبة يحبسه، وكان اسمه محمد شيرين فهمي، وده اللي حكم على حازم أبو إسماعيل بسبع سنين سجن، فكان لا يعرف أي مجاملات ويبقى يوم أسود على المسؤول اللي ممكن يغلط ويشيل السماعة ويكلمه. وراح سامي ووليد وبعد ساعة دق جرس الهاتف وكلمني السواق اللي كان معاهم وقاللي عندي خبرين أسوأ من بعض فقلت: قول. فقال: اعتقلوا سامي ووليد فقلت: ماتقلش الخبر التاني، لأني عرفته وقفلت في وشه وكان عندي غرفة نوم في المكتب للطوارئ فدخلت نمت.



هذا هو قصر البدراوي الذي قضيت فيه باقي عمر شركة السعد وهو الآن مقر حزب الوفد.

دخلت أنام ودماغي زي المفرمة بتودي وتجيب وعمال أقول هو إيه اللي بيحصل؟ أكيد فيه حاجة أكبر من استيعابي وفي ثانية وجدتني أتذكر كل حرف دار في مجلس الوزراء ولعلني كتبت في محطة سابقة أن يوسف والي ظل يتغنى بما يفعله الريان لخدمة مصر أكثر من نصف ساعة، وكان مركز جدًّا على صفقة الذرة الصفراء وكيف أن الريان أنقذ مصر من مجاعة ولقيت نفسي باخبط كف على كف وأقول منين أنقذ مصر بهذه الصفقة ومنين متهم بالرشوة في هذه الصفقة وأين يوسف والي الذي كاد أن يقول - أستغفر الله - الريان صلى الله عليه وسلم. ولما عرفت أن الرّشوة مليون جنيه كنت هاخبط رأسي في الحيطة لأن في هذا الوقت لو طلب يوسف والي ميت مليون هياخدهم ونائب الوزير اللي هو عم حسني وارث من جدوده ملايين ولقيت مافيش حاجة راكبة على بعضها، ولكن كنت مستغرب إن يوسف والي تخلى عن أحمد الريان والغريبة إن اللي كان مسؤول عن الصفقة فتحي واللي مقبوض عليه أحمد، ولقيت نفسي هاتجنن.

المهم ذهب وليد إلى النيابة وكان رئيس النيابة اللي بيحقق في القضية المستشار محمد شيرين فهمي. وقبل أن أخرج من هذه القصة فأنا رغم إني وقفت أمامه ورأيت ما في وجهه من شراسة إلا أنني أقر وأعترف أن أي دولة في العالم لو عندها خمس قضاة مثل محمد شيرين فهمي فيكفيها أن تفتخر أن لديها أقوى وأنزه مؤسسة قضائية في التاريخ. وإليكم ما حدث وعليكم أن تتدبروا كل كلمة.

وصل وليد إلى مكتب محمد شيرين فهمي وطلب من الحارس الدخول فقاله: لازم تروح السكرتارية، فراح زاقق الباب وداخل وطبعًا سامي طيب دخل وراه، وفي ثانية انتفض محمد شيرين فهمي وقاله: إنت مين؟ فقاله: أنا وليد أبوغزالة، وفي أقل من ثانية سأله شيرين فهمي وقال: المشير؟

فرد وليد: بالظبط كده. وكما حكى لي سامي بعد كده واصفًا ما حدث بكل دقة قال لي سامي: أقسم بالله يا عم الحاج وكأنه تحول إلى وحش كاسر وقام بنفسه وهو يصرخ على الحرس اقبضوا عليهم اقبضوا عليهم، وفي ثانية كان حوالينا أكثر من عشرين ضابط وعسكري ودخلوا مرعوبين من شيرين فهمي وأدوا له التحية وقال رئيسهم: أؤمر يا فندم. فقالهم: 45 يوم حبس وينزلوا الحجز اللي في المحكمة حالا، ولو جه المشير هنا حطوه معاهم. وقال لي سامي: والله يا عم الحاج أنا افتكرت إنه سيلفظ أنفاسه من كتر الانفعال وحطوا الحديد في يدي ويد وليد، فتيقنت إني لن أرى الشمس مرة أخرى. والغريبة أنه نزل مع الحرس بنفسه حتى حجز المحكمة واطمأن أننا دخلنا الحجز وقال يترحَّلوا لطرة اليوم. وقال لي سامي: بعد ساعة سمعت حوالى عشرة انتباه وانقلبت المحكمة رأسًا على عقب. وشعرت أن رئيس الجمهورية وصل المحكمة وانقطعت معرفة سامي بما حدث بعد ذلك، ولكنه فوجئ أن التحقيق تأجل مع حسني رضا والريان وعم حسني لأنه شافهم في الزنزانة اللي قصادهم، وما عرفته أنا بعد ذلك أن وزير الداخلية وصل مقر المحكمة والنائب العام ومسؤولين

كتير وصلوا وحاولوا تهدئة المستشار شيرين وأنه يلم الدور، فأقسم أن لو تدخل أي شخص في الموضوع حتى لو مبارك فسيقدم استقالته وصمم أنه يتصل بالمشير بنفسه ويبلغه أنه أمر بحبس نجله، وأنه لن يفرج عنه إلا بعد تقديمه للمحاكمة بتهمة اقتحام النيابة العامة ومحاولة التدخل للتأثير على المحقق مستغلًّا مركز والده، وحاول النائب العام إثناءه ولكن دون جدوى. وأقسم أن مستقبله في القضاء في كفة وحبس ابن أبوغزالة ومن معه في كفة أخرى، وفعلا اتصل بالسيد المشير أبوغزالة وقاله: أنا آسف يا فندم على إزعاجك ولكن الأمر خطير وأخبره بما حدث. فقال له المشير: إنت حبست ابني إزاي وولادي الاتنين واقفين قدامي.

الغريبة أن المستشار شيرين هدأ تمامًا بعد أن عرف أنه ليس ابن المشير، واتضح بعد ذلك أنه ابن شقيق المشير. ويعلم الله أنه أمامي على الأقل لم ينصب على أحد وأنا لا أنكر أنه استفاد كثيرًا من منصب عمه. والأغرب أن ولاد أبوغزالة نفسهم لم يكسبوا شيئًا بسبب منصب والدهم. وأنا هنا لا أدافع عما فعل فهو أكيد مؤشر خطير يجب أن تتخلص مصر منه، رغم أن لولاه كنت أنا في خبر كان. ولا أريد أن أطيل في قصة وليد فقد هاجر إلى أمريكا ويعيش هناك على حد علمي، ولكن الذي أدهشني هو كيف مر على كل هذه القيادات ولم يشك أحد لحظة أنه ابن المشير. رغم أن المشير ليس لديه ولد باسم وليد. وطبعًا سامي قضى شهرًا في الحبس بسبب خطأ ارتكبته أنا.

وأعود إلى مربط الفرس فقد كانت قضية الذرة الصفراء من الأشياء التي أفهمتني ما لم يفهمه أحد حتى الآن، فالفساد والرشوة والمحسوبية لم تكن هي سمة النظام رغم وجودها ولكن الذي أستطيع أن أوكده وأنا مطمئن أن 90٪ من مؤسسة القضاء مثل شيرين فهمي لا تخشى في الحق لومة لائم. وأنا قلت هذا الكلام في أوج قوة نظام مبارك، فقد أقسمت وكنت غير كاذب أن مبارك نفسه يجبن ولا يستطيع أن يرفع سماعة الهاتف ويتصل بقاضٍ، ولكن الذي اكتشفته من هذه

القضية وقضية شقيق المحجوب أن الصراع داخل النظام كان مشتعلًا وفي أسوأ أشكال الصراعات، فحتى القصر الجمهوري كان مثل الإخوة الأعداء رغم أن معظم الشعب يعتقد أن الفساد ممنهج ومتجذر وأن شجرة الفساد متماسكة ومتحابة ومجتمعة على مص دماء الشعب، ولكن الذي اكتشفته أن كل هذا غير صحيح، وأن الحرب بينهم أهون من حرب العرب وإسرائيل. وكان كل مسؤول يشاع أنه مقرب للرئيس كانت تكثر أعداؤه وهذا ما حدث للمحجوب واكتشفت في قضية الذرة الصفراء أن المقصود بها هو يوسف والي والضرب كله في يوسف والي لقربه من مبارك. ولن أدعي أني اكتشفت العفريت الذي يحرك الأحداث ولكنه حتى الآن لا يستطيع أحد أن يعرفه لأنه ببساطة مثل السحر كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 116] وبسبب هذا الخوف لم يستطع يوسف والي أن يدافع عن الرجل الذي وقف معه وساعد وزارة الزراعة ومصر في وجوده، وضحى بنائبه ولم يكن أمام أحمد مخرج من القضية كما نصحه محاموه إلا أن يعترف على عم حسني وبذلك يكون شاهد ملك، وأما حسني فقد أقر في التحقيق أنه وضع المبلغ اللي أخده من الريان في شركة السعد واستدعاني المحقق وسألني فقلت ما قاله حسني صحيح وكنت خايف أنه يطلب مستندات الإيداع أو كشوف الشركة، ولكنه لم يفعل، بل طلب أن أرد المبلغ ووافقت على الفور وتم إخلاء سبيل حسني وحبس عمه ومات في السجن، واعتبر حسني أنني أنقذته من عشر سنين سجنًا، ولكنني لم أكن أشعر بتاتًا أن لي فضلًا عليه في هذا الموقف.

بدون لف ودوران فقد توقفت ذاكرتي عن باقي تفاصيل الحدث وأعتقد أنها أصبحت ليس لها قيمة كبيرة في هذه المحطة.

وأعود بكم إلى شركات السعد التي أصبحت وبدون أن يسألني أحد هي حديث

الناس في مصر بل في معظم الدول العربية. وكان تدفق المال اليومي على الشركة ينتشر في الأوساط المالية كالنار في الهشيم.

ومن هنا تبدأ قصة مجموعة شركات السعد وكل ما فات كان مقدمة للأحداث الضخمة التي سأتعرض لكل حدث فيها بالتفصيل، والتي لو اختصرت فيها نصف حديثي فلن تقل عن ألف محطة والشاهد أني وكما قلت لا يسألني أحد كيف حدث فأنا ليس عندي إجابة والمختصر أنني فوجئت أن 90٪ من كبار رجال الأعمال المشاهير وبدون مبالغة وجدتهم أمام مكتبي واحدًا تلو الآخر، وكل منهم يخبرني أنه على حافة الهاوية وأن الله بعثني لأنقذه ولايوجد عندي قصة واحدة غير موثقة كامل التوثيق.

والأغرب أن معظم ما تشاهدونه الآن من إعلانات في الإعلام عن شركات بمليارات الجنيهات معظمها خرج من تحت عباءتي، ولم يحمل منهم الجميل إلا قليل بل فرد أو اثنين هم من حملوا لي الجميل حتى الآن أو حتى وفاتهم. وما سأسرده عليكم أغرب من الخيال وما كان ليخطر على قلب أحد منكم حتى من عايشوا الأحداث معي لم يعرفوا ما حدث وراء الكواليس، فسترون ناسًا من المستحيل أن يذهب عقل أحدكم أنني كنت أنا السبب في إنقاذهم أو ما هم فيه حتى الآن.

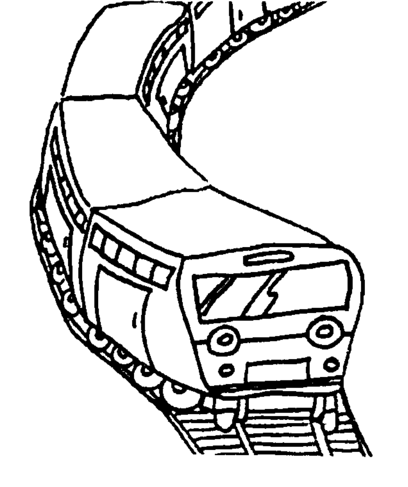
وقبل أن أبدأ في سرد باقي محطات حياتي ومنها محطات كانت سببًا في تغيير شخصيتي نفسها أو دخولي عالمًا جديدًا، لم أكن قد دخلته وعمومًا أنا لم أندمج معه فقد كرهني وكرهته وهو عالم الأرستقراطية. وقبل أن أصول وأجول بكم مرة من البداية وأخرى من النهاية وأنا قد أخبرتكم بهذا من قبل أن الأحداث غير مرتبة بتواريخ حدوثها ولكن أعتقد أن التواريخ ستكون أدق. وقبل أن نستقل سفينة الأحداث أريد أن أترحم على الرجل الفاضل الوحيد الذي حمل جميلي حتى لفظ أنفاسه الأخيرة وكان شجاعًا أن قال ذلك على شاشة قناة «المستقلة» وهو السيد الوزير الفاضل المرحوم منصور حسن.

وبمناسبة ذكر اسم السيد منصور حسن فقبل أن أبحر في أعماق الأحداث وربما أغرق ولا أستطيع الخروج منها سالمًا. وكعادتي لا أستطيع التركيز في تسلسل الحدث ولكن هذا

الإعلان كان من أخطر وأقوى الأحداث في حياتي، وربما كان القاسمة، فمن له دراية بسوق المال فسيعلم من هي شركة بروكتر آند جامبل وكيف هز هذا الإعلان أسواق العالم وليس السوق المصرية، رغم أني كنت أوقع العقد بكل بساطة وظني أنني باشترى أرضًا من الحاج فتحي عوض الله ولم يكن في حسباني أبدًا أنني اقتربت من مافيا العالم وليس مافيا مصر، ولم يخطر ببالي أن أسال نفسي لماذا يبيع السيد منصور حسن نصيبه في شركة بروكتر آند جامبل، ورغم أن هذا الحدث كان في عام 87 أي من الأحداث المتأخرة ولكن لديَّ إحساس أن وجوده الآن سوف يدفعني لكتابة الماضي براحة أكتر فيعلم الله أنني ولأول مرة أشعر وكأنني في مخاض عسير وأنني أصارع الحروف وأحاول كتابة كل شيء كما هو رغم أنني أحيانًا يدي تمنعني.



صورة من إعلان عقد السعد وشركة (بروكتر آند جامبل)

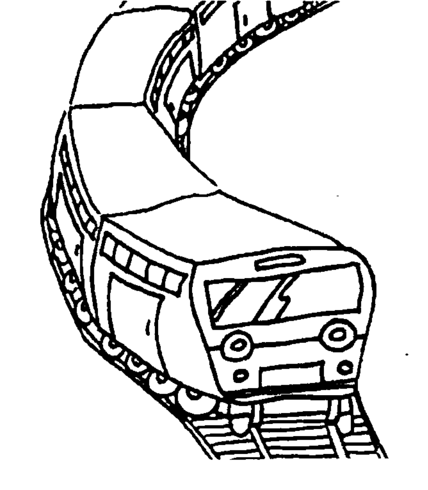


محطة (39)

مضطر أن أعود بكم للوراء قليلا فعندما بدأ نجمي في السطوع وكنت وقتها لم أفتح فروعًا للشركة في القاهرة أو أي محافظات أخرى، فقد كانت الأموال تتدفق على الشركة في فرع المنصورة من جميع محافظات الوجه البحري. وطبعًا كان الريان مستريحًا جدًّا مني وأنا بعيد عن القاهرة وأذكر وأنا طفل كان بيزورنا في القرية في وجود جدتي أم أبي وهي من البحيرة مطوبس وتزوجها جدي ماعرفش إزاي وإيه اللي وداه البحيرة ولكنها كانت سيدة متدينة جدًّا بالفطرة ولا تقرأ ولا تكتب ولكنها الوحيدة التي كنت أراها تقوم الفجر في عز الشتاء وكان بيتنا في البلد من أكبر بيوت القرية إن لم يكن أكبرها، وأذكر أننا كنا بنلعب كرة في الفَسَحَة (الصالة) وكنا فريقين كل فريق خمسة وكان البيت ملحق به بيت بالطوب النى يعني من الطين، وكان به طرمبة للمياه تمدنا بالمياه في حالة انقطاع الماء من الحنفيات فكنت جدتي تذهب في الشتاء لتتوضى من الطرمبة وكانت تقف في الصالة وتنادى على كل اللي في البيت مش عشان يصلوا لالالالالا عشان أي حد يقوم يساعدها في الطرمبة. وكانت ست الحقيقة مبروكة جدًّا وكانت تقول لابنها الكبير يا سي أحمد، ولما مات راحت قعدت عند قبره شهر تبكي ولم تعد إلا لما واحد كان مابيعرفش ينام منها وكان ساكن جنب الترب، فراح داهن نفسه طين وعمل نفسه عفريت وطلعلها بالليل فبطلت تروح. وكنت لما أنزل البلد في أجازة الصيف كانت الهدية المفضلة لها النشوق فكنت أخلي أبويا يشتري نشوق ويدهوني عشان أدهولها وطبعًا هي ماتت وأنا باشحت حق النشوق.

والمقصود أني كنت باشوف أهلها اللي هما أخوال أبي بييجو يزوروها من مطوبس وحفروا في ذاكرتي وكان بتيجي سيدة من طنطا تزورنا وكانت متواضعة الحال بل تحت شوية كمان، وكنت أعرف أن جدها ابن عم جدي يعني ببساطة في مركز ابنة عم أبي. فعندما سطع نجمي وأصبحت من الأثرياء وكنت وقتها نصف مشهور جدًّا خاصة في محافظة الدقهلية وكنت مشهورًا في تجارة السيارات على مستوى مصر على الأقل قررت أن أصل رحمنا التي قُطعت منذ وفاة جدتي وعمي اللي هو أبو أم بلال، فطلبت من نبيل ابن عمتي وكنت أعتبره وزير الشؤون الاجتماعية طلبت منه أنه يبحث عن عناوينهم ونروح نزورهم وفعلا جاء بعنوان ابنة عم أبي وكان في طنطا وطبعًا كانت سمعت عني هي وأولادها وعرفوا أني اشتهرت وظنوا أنهم لو جم يزوروني فسيكون من الصعوبة مقابلتي، وأخدت نبيل ابن عمي وبلال ابني كان عمره أربع سنين وخال بلال الله يرحمه مجدي وذهبنا إلى طنطا وكانت ساكنة في شقة من غرفتين فوق سطح العمارة، وصعدنا إليها ولن أستطيع بحال من الأحوال أن أصف ردة فعلها عندما رأتني في وشها وعرفت أني أشرف ابن ابن عمها السيد أفندي سعد، كما كانوا ينادونه فأعتقد أن هذا الموقف كان من المواقف التي أثرت في نفسي جدًّا ولكنني فعلا ساعتها شعرت بملائكة ترفرف حولنا فقد كانت نيتي فعلا لله وحده. وعندما رأيت الفرحة في عيون أولادها وكان عندها ولد عمره 17 سنة كان هو العائل لهم، لأن زوجها توفي وكان دخله الشهري لا يزيد على عشرة جنيهات مثل ملايين المصريين. وكم كانت فرحتهم عندما قلت لها ابنك محمد من الآن موظف في شركة السعد وهاجهز له سكن خاص ويزوركم كل أسبوع لحد ماينقلكم هناك، وبعدين وأنا باتكلم سرحت وقلت إزاي هتمشي وتسيبهم كده فقلت لها ولو تحبي من بكرة تتنقلوا المنصورة فأنا مستعد وطبعًا أخدت كمية دعاء ربنا ساترني بها إلى الآن، ولم أبالغ ولم أكذب عندما قلت إنني شعرت أن الملائكة كانت ترفرف حولنا ولو كشف الله عني الحجاب كنت رأيت الله (سبحانه وتعالى) وهو فرحان بفرح هذه السيدة والدليل على كلامي المعجزة التي حدثت بعد ساعتين من زيارتي لها

وسبب إصراري أن أروي أدق تفاصيل، هذه الزيارة لأول مرة لأنني كتبتها كتير وقلتها على قناة «المستقلة» ولكن دون هذه التفاصيل فسبب كتابتي لها الآن أن يعرف الناس سر صلة الرحم وسر إدخال السرور على أي روح حتى لو روح حيوان، فما بالكم بروح رحم قد قطعتها قسوة القلوب، فقد نزلت من عندهم وتركت على وجوههم فرحة عارمة، وصمم محمد ابنها إنه ييجي معايا يستلم العمل فورًا واحتمال إنه شك أنه في حلم، واحتمال أروح أنا شغلي وأتلهي فيه وأنساه ولم يكن يعلم أن الله لا ينسى فهو الذي ألهمني أن أزورهم، وحدثت المعجزة وأنا ما زلت واقفًا أمام بيتهم وبيودعوني أنا ومن معي وبيودعوا محمد ابنهم وأمه لم يسكت فمها عن الدعاء، وهنا حدثت المعجزة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وقبل أن أكتبها أريد أن كل واحد فيكم قاطع للرحم أن ينوي أن يصلها فورًا فما حدث أشبه بالمعجزات.



محطة (40)

أثناء توديع قريبتي لنا وهممت أن أركب السيارة وإذ برجل تبدو عليه علامات الثراء وقبل أن أركب السيارة جاء ليصافحني وقال لي: الحاج أشرف السعد صح؟ فقلت: نعم. فجذب يدي بلطف وقال: أنا الحاج إبراهيم عبد العزيز صاحب هذا المعرض وأشار بيده إلى معرض سيارات فخم، وقال: أنا من المتعاملين مع شركة السعد وكان نفسي أشوفك وسبحان الله وجدتك أمام عيني وأقسم أن أشرب عنده شايًا، ودخلت أنا ومن معي إلى مكتبه داخل المعرض ولقيته معلق صورة شاب فقاللي: إنت تعرف ده فقلت: للأسف لا، فقال: ده الفنان محمد ثروت ابن أختي، وسألني عن سبب وجودي فقلت له السبب، وكان يعرف ابنة عم والدي وحاول أن يخفي دهشته ولكني لاحظت على وجهه الدهشة، ويبدو أنه كان يعطف عليها لأن ابنه كان يعرفه جيدًا وبدر منه ما جعلني أظن ذلك.

وجلست مع الرجل وشاهدت وجه أقربائي تغير فقد شعروا بثقة في أنفسهم وكان الحدث الذي غير كثيرًا من حياتي وقلب حياة أقاربي رأسًا على عقب، فقال لي الحاج إبراهيم: أنا عندي ليك هدية في طنطا فيه قصر للبيع وأنا حاسس إنك جاي عشانه. فقلت له: بصراحة ليس عندي أي نية لفتح فرع للشركة في طنطا، لأني كنت قد سمعت أن طارق أبوحسين صاحب الهدى مصر ينوي فتح فرع هناك. فقال لي: مش هتخسر حاجة ومش هتغير طريقك فالقصر في طريقك وكل المسافة مائة متر خارج طريق، وبدأ

يُحسن لي موقع القصر وتحت إصراره وافقت وركب سيارته ومشى أمامنا وركبنا سيارتنا وقلت لنبيل ومجدي هنبص بصة ونرضي الراجل ونمشي فورًا وشعروا أني رايح تحت ضغط وإحراج. ووصلنا القصر وكان في منطقة هادئة وكان عبارة عن فيلا تشبه قصرًا صغيرًا مكونة من ثلاثة طوابق وكان الحارس اسمه فاروق إن لم تخني الذاكرة وكان ضخم الجثة، ونزلنا جميعًا من السيارتين وقال الحاج إبراهيم للحارس: إدي الجماعة خبر. وطبعًا أنا لابس زي الواعظين بتاعي ونبيل لابس جلابية وطاقية وحتى بلال لابس جلابية وطاقية والوحيد اللي لابس قميص وبنطلون مجدي وانضم إليه محمد ابن قريبتي وطبعًا شكله زي اللي طالعين من القسم فشكلنا كان زي العصابة ونادى الحارس وقال: اتفضلوا، فصعدنا وفتح الباب شاب واضح جدًّا أنه قمة الأرستقراطية وقال: اتفضلوا، فأخبره الحاج إبراهيم إن إحنا عايزين نتفرج فقال: اتفضلوا وبصراحة نظرة واحدة تكفي أي شخص عنده ذرة ذوق أن يقع أسيرًا للذوق والفخامة التي كانت عليها حالة البيت. وأقر وأعترف أني لأول مرة أرى هذا المشهد حتى في الأفلام لم أره ووقع في قلبي حب البيت، وشعرت أنني مالكه لا محالة، وطلب الحاج من الشاب أن نتفرج على الأدوار الباقية فقال: طيب دقيقة أعطى الوالدة خبر، وطلع الشاب واتجهت نحو الصالون فوجدت صور عريس وعروسة وواضح أن العريس مصري من طنطا والعروس إما من أوربا أو الجنة، فقلت له: مين دول يا حاج إبراهيم؟ فقاللي: دي صاحبة البيت اللي عايزه تبيعه. فقلت له: ومين ده اللي جنبها؟ فقاللي: ده المرحوم زوجها فلان بك وزير كذا وكذا، وبدأ يعدد لي أصله من الباشوات وأنا لم أسمع سوى كلمة واحدة وهي المرحوم زوجها، وسرحت ولاحظ هو وكل من معي أني سرحت حتى بلال لاحظ فقاللي: يا حاج أشرف فقلت: نعمْ. فقاللي: الهانم مستنية فوق، فقلت له: دي، وأشرت إلى الصورة فقاللي: أبوه أو أمها وحسيت إنه فك معايا جدًّا وعرف اللي جاي كله ولقيت مجدي أخو مراتي وشه راح لون وجه لون، وقاللي: إنت مش قلت نبص بصة فقلت له: مانا ببص أهو، واتجهنا جميعًا نحو السلم الداخلي فقال الشاب

وبمنتهى الأدب: يا ريت المشتري بس اللي يطلع لأن ماما ما زالت في فترة الحداد أو العدة والله ما فاكر لأني كنت عايز آخد السلالم في نطة واحدة، فقلت له: أنا اللي هاشتري فطلب منهم الجلوس في الصالون بس الواد بلال زوغ واستخبي في جلابيتي وهو شافه وضحك وقاله: لالالالا أنت مسموح لك. وطلعنا لقينا الدور التاني أفخم بكتير من الدور الأول ووجدت سندريلا لابسة أسود وعاملة زي الشمس في اليوم البارد والقمر في اليوم المظلم، فقلت: هي الهانم هتتأخر (باستعبط طبعًا) فرد الحاج إبراهيم قال: هي دي الهانم مدام عنايات أبو جازية. فقلت للشاب: أختك، فردت هي وقالت: ده من لطفك بس والله العظيم لو كانت بتكلم فاروق البواب ماكنتش كلمته بقرف كده، ويبدو أنها لم تكن تحتك بعامة الشعب أمثالنا وحاولت أظبط العمة من غير مرايا وماعرفتش فقالت: حضرتك اللي عايز تشتري البيت؟ فقلت: نعم أنا. فقالت: قالك على سعره؟ فقلت: هو قاللي 400 ألف إن لم أكن مخطئًا. وكان الحاج إبراهيم متفق معايا أني ما وافقش فورًا لأنه هينزل خمسين ألفًا على الأقل، وطبعًا قلت له حاضر لأني لم أكن أنوي الشراء وبعد ماشفت اللي شفته قلت الراجل ده عبيط ولّا إيه. فقالت هو فعلا كده، فقلت لها: وأنا موافق وهادفع فورًا. فاضطر الحاج إبراهيم أن يخبطني عشان يفكرني وأنا ولا عبرته. فقالت: يعني هتدفع المبلغ كاش. فقلت: فورًا بس ليَّا شرط واحد فقالت إيه: قلت أستلم النهارده. فقالت: إنت أكيد مش في وعيك ده حتى لو كنا مستعدين نسيبه فورًا فلن يكون قبل أسبوع وعمومًا أنا اللي ليَّا شرط مش إنت. وحسيت إنها هتخلع الجزمة وتضربني وهي بتكلمني وقالت: إحنا نتفق ومش هاسيب البيت قبل ولادي ما يخلصوا دراسة الجامعة وهما في آخر سنة يعني مش قبل سنة مهما كانت الظروف، فقلت لها: ممكن أقعد لأن رجلي وجعتني وبدأت تحس إني أهبل. فقالت: اتفضل، استريح، فقعدت على كرسي غاص بيَّا واتجعصت وقلت يا حاج إبراهيم أنا جبت سيرة إخلاء البيت فزدت الطين بلة فقالت: إنت لسه قايل حالا لازم تمشوا النهارده وتسلموني البيت، فقلت: يتقطع لساني وثكلتني أمي وطبعًا كنت

متأكدا إنه مش هتِعرف ثكلتني أمي فشرحتها له. وقلت له أقسم بالله العظيم لم أقصد وبعدين سنة إيه اللي يقعدوها دول يخلصوا ويحضروا دراسات عليا كمان. فقالت: أمال يعني إيه تستلم النهارده؟ فقلت: يا هانم وأنا داخل الفيلا شفت الدور اللي في الجنينة فيه شقتين مغلقتين وأعتقد أنكم لا تستخدمونهم فقالت: فعلا بس فاروق ساكن في واحدة منهم فقلت: والتانية فاضية، فقلت: والله العظيم أنا ما عايز غير اللي قصاد عم فاروق فتغير وجهها ألف درجة وبدأت تبتسم وقالت لخالد ابنها: قول للسفرجي يجيب الشاي، ونادت على بلال وخدته في حضنها وقالت له: اسمك إيه؟ فقمت أنا ووقفت على السلم وناديت على نبيل وقلت له هات الشنطة من العربية وجابها فطلعت 350 ألف جنيه، وقلت لها الخمسين ألف عند التسجيل وتسليم باقي الفيلا فقالت: بس كده يبقى كرم كبير فقلت لها. كرم من مين؟ أكيد تقصدي منكم فضحكت وقالت لبلال ده أبوك شكله حكاية فبلال هز رأسه.

وقالت لخالد: إيه رأيك؟ فقال: مافيش مانع. وقال: بس بأكد على حضرتك مش هنقدر نمشى قبل سنة فقلت له: طب أقسم بالله لأحط بند في العقد أنكم لو مشيتوا قبل خمس سنين ترجعوا لي الفلوس وغرامة فضحكت هي ضحكة لم أسمعها من قبل، وأعتقد أعتقد أن ابنها حس بحاجة مش ظريفة هتحصل، وطبعًا مجدي ابن عمي كان لا على حامي ولا على بارد، وكل شوية يقوللي من تحت اتأخرنا يا أشرف فقلت له: روح إنت.

زعق مجدي وقال: إنت هتقعد ليه، فقلت له: أنا هابعت أجيب المحامي وهنكتب العقد النهارده، وفعلا أرسلت للمحامي المستشار خالد حسونة وأخد العنوان وكان وقتها وصل عدد الموظفين في الشركة 3000 وقتها وأصبح لدى قدرة أن أفعل الكثير، فاتصلت بالمهندس المسؤول عن تصميم المشاريع اسمه إبراهيم فؤاد وطلبت ييجي فورًا وأعطيت المبلغ لأصحاب البيت ورفضت آخد وصل. وجه المحامي وطلع فوق

وقعد ربع ساعة في ذهول وهو ينظر لصاحبة البيت ويقول: لاحول ولا قوة إلا بالله اضطريت أخده بره وأساله ليه بيقول كده، وقلت له: أنا حسيت الست اتضايقت فقاللي والله أنا لا أقصدها نهائي أنا باقصد أم بلال فسقطت على الأرض من الضحك، وكتبنا العقد واتصلت بعبدالله أبوالعلا مندوب «الأخبار» وطاهر صلاح مندوب «الأهرام» ولما وصلوا كان الإعلان جاهز افتتاح فرع السعد بطنطا، وقلت لهم طيروا وعايز آخد التمام إن الإعلان في المطبعة واستأذنت من أصحاب البيت يسلمونا الشقة اللي جنب عم فاروق البواب وعلقنا اليفط وفي ساعتين كانت مفروشة مكاتب للموظفين. وبعت جبت واحد من الإدارة المالية واتنين محاسبين وقلت لمجدي: خد بلال أنت وروح لأني هانتظر الافتتاح غدًا فقاللي: لا إحنا معاك. وبعت جبت كباب من عند كبابجي مشهور يعرفه محمد ابن قريبتي وناداني وهو خارج قاللي أنا عايزك دقيقة يا عم الحاج فطلعت معاه فقاللي: على فكرة البيت ده بتاع الدماطي باشا وأبويا كان شغال عندهم طباخ لحد ما مات. فقلت له: مين؟ قاللي: أبويا، فقلت في سري الله يحرقك إنت وأبوك طب دي هنعمل فيها إيه دي كده الجوازة شكلها باظت لأني طبعًا قلت لهم إنه ابن عمي وسألته إنت جيت لأبوك هنا؟ فقاللي: كنت صغير فقلت له: طب اكفي على الخبر ماجور واسكت وخلي بالك إنت هتبقى عيني هنا وأول مالشقة تفضى هتيجي إنت وأمك تقعدوا فيها وخلاص كده شغلك هيبقى جنب أمك، وفرح جدًّا وراح جاب الكباب وفرشنا على الأرض وقعدنا ناكل كلنا ما عدا المستشار ماعرفش يقعد على الأرض فأكل على الكرسي، وجبنا عم فاروق أكل معانا وشافه خالد فيظهر طلع قال لأمه وقالت له هم شكلهم بيئة بس معاهم فلوس، أنا باخمن طبعًا.

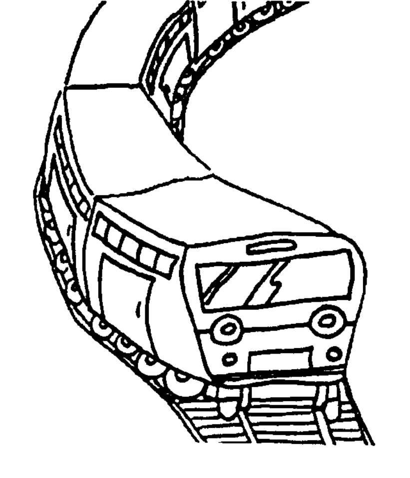
وجاني تليفون من مصر إن كله تمام والإعلان نازل بكرة وكل شيء صار على ما يرام، ولم يعكر صفونا إلا خالد ابنها نزل ونادى عليًا وقاللي: عمي عرف وجاي من القاهرة الآن يتعرف عليك فقلت له: ليًا الشرف. وطبعًا كنت عرفت أصل العائلة فجده

الدماطي باشا ووالده بك وكان رئيس شركة قطاع عام مشهورة ويعتبرون أعرق عائلة في طنطا وجه عمه، ومعه راجل عرفني عليه أن زوج أخته الكبيرة وحسيت الراجل أكبر مني وقلت له هو حضرتك عندك أخت غير شاهيناز اللي شفت صورتها فوق فقاللي: آه أختي الكبيرة، واستغربت لأني لم أعط لأمه أكثر من 30 سنة بأي حال.

المهم جاء الرجل وعرفني بنفسه وقاللي: طبعًا إنت سألت إحنا مين وفي ثانية قفزت كلمة قريبي إلى ذهني أن أبوه كان الطباخ بتاعهم فقلت له: طبعًا يا فندم أنتم خيرة الناس وأنا اتشرفت بكم، فقال لي: وأنا أشكرك على لطفك ونبلك وهما حكوا لي ما حدث وطبعًا دي أخلاق راجل شهم وقعد هو يقول يا ليل وأنا أقول يا عين إلى أن ألقى القنبلة وقاللي: بس هاستسمحك بلاش افتتاح الشركة غدًا لأن أنت عارف إن فيه حريم في البيت ودى طبعًا شركة الناس داخلة وطالعة. فقلت له: يا فندم إحنا في بير السلم ومستحيل حد يحتك بالهوانم ورجالتي هنا لن يسمحوا، فقال: أنا آسف مستحيل نقبل هذا إنت عارف اسم عيلتنا ووضعنا في البلد، فقلت له: طبعًا يا فندم معروف بس لو حضرتك موجود من الأول ماكنش حصل كل المشكلة دي وأنا لم أفعل شيئًا إلا بأمر الهانم وابنها، فقاللي: عارف بس دول ما قدروا الموقف، فقلت له: يا فندم ده لو حصل معناها إنك قضيت عليًا والإعلان نزل خلاص والناس لو جم الصبح ومالقوش الشركة هيقولوا دول نصابين وممكن الإعلام يحرفها. فقاللي: أوعدك إني هاقف بنفسي الصبح وأى حد هييجي هاشرحله الموقف والناس هنا عارفانا وبيثقوا فينا. وحاولت إقناعه وأجيبه يمين يجيبني شمال وأقول يا فندم أنا لم أفاصل في السعر وكل طلبات الهانم نفذتها وقاعد مع البواب فقاللي: لافائدة من الكلام ولو عايز فلوسك اتفضل خدها، وأول ما قال كده وكأن عفاريت الدنيا ركبتني وتحولت لوحش كاسر وفقدت السيطرة على نفسي تمامًا ولم أر أمامي شيئًا وأخرجت قلمي الحبر من جيبي وفتحته وضغطت على الحبر فنزلت نقطة حبر، وقلت له -وأنا

فعلا تحولت إلى شيطان وفقدت كل معاني الأدب والأصول ولكن كان أمامي شبح أن الإعلام يتناول الموضوع ويعتقدوا أني باعمل إعلانات وهمية- فأسقطت نقطة حبر من قلمي ونظرت إليه والشرار يقفز من عيني وأنا أشعر بحرارته وقلت له: شايف نقطة الحبر دي؟ دي تشتري عيلتك والعائلات ولا تستطيع أنت وكل جدودك أن تحصروا الأرقام التي تسقطها هذه النقطة وكنت مش شايفه، ولكن سمعت صوتًا يقول: ربنا على القوي، ربنا على القوي، وسمعت صوتًا يصطدم بالأرض فنظرت فوجدته مرمي على الأرض وهنا....

اللي جاي بلاوووووووووووووووووووووووووووووووي.



محطة (41)

عندما رأيته سقط على الأرض مغشيًّا عليه بدأت أسترد وعيي ووجدت أني لم أكن أنا الذي أتكلم أبدًا فقد جبلني الله على حب الرحمة ولم أتعود أبدًا أن أكون فظًّا بهذه الطريقة المرفوضة عندي مهما كانت الأسباب، وفي ثوانٍ حاولت أن أجد لنفسي عذرًا وأتحجج بخوفي من انهيار الشركة لو جاء الناس ولم يجدوا الشركة ولم تفلح كل هذه المحاولات مع نفسي، فوجدت نفسي على الأرض أحاول إفاقته وكنت أبكي بكاء شديدًا حتى تعجب الحاضرون من شدة بكائي ولم يعرفوا السبب. وعندما انصرف الطبيب من عنده وأفاق لم أدر بنفسي إلا وأنا أقبل يده ورأسه وأترجاه أن يسامحني ولم أشعر إلا وأنا أسحب محمد قريبي وقلت له: والله العظيم ده ابن عمي وأبوه كان الطباخ بتاعكم حتى أسأله وهو يقولك اسمه، وفعلا تعرف عليه وكانت هذه الكلمة هي سبب تحوله مليون درجة خاصة أنني قلت له بنفسي هذه المعلومة وقلت له: خلاص هنشيل اليفط وهامشي الناس بس إنت تسامحني فقال: أقسم بالله مانت شايل اليفط ومفيش حد ماشي والشركة هتفتح الصبح وأنا بنفسي هاقف معاك.

والله العظيم كنت هاقلب عليه تاني وأقوله كلام وحش بس قلت عديها بقه وخلينا نخلص وقلت في سرى ده جنان رسمي طب ماكان من الأول كان لازمته إيه ده كله. والمصيبة بقه أني لما أتأكدت إنه خلاص ربنا هداه ووافق قلت أسوق فيها أنا فقلت له لالالالالالالالالا مستحيل أزعلك لازم نمشي ونأجل الافتتاح، وهو يقول والله

العظيم ما يحصل أبداً وأقسم إن إحنا لازم نتغدى مع بعض بكرة بعد الافتتاح وطبعًا ماكنش يعرف المصيبة السودة اللي منتظراه.

وفعلا كان إقبال على الشركة لم أتوقعه، وكان تدفق الأموال في أول يوم مذهلًا لدرجة أنني خفت جدًّا أترك هذا المال في الشركة أو أنقله المنصورة وكان أمام مقر الشركة بنك الاعتماد والتجارة فذهبت إليه مباشرة وكان مدير البنك اسمه على عامر وده أصبح له معي قصة كبيرة سأتطرق إليها في موعدها، ووصلت البنك وكان استقبالًا رائعًا من المدير والموظفين وطبعًا كان اللي جمعوه من طنطا في سنة أنا جمعته في يوم واحد فاتفقت معاه يبعت كل يوم اتنين موظفين من البنك يقعدوا في الشركة مع الموظفين وآخر النهار يجردوا معاهم الخزنة ويجيبوا الفلوس ويحطوها في حساب شركة السعد في البنك، وطبعًا فتحت يومها حساب في البنك وكان أول فرع للشركة يبقى البنك اللي بيديره وكان مدير البنك بنفسه بيروح يقعد في الشركة لأن ماكنش فيه حد بيروح عندهم.

وطبعًا وجود مديرين البنك في الفرع أعطى له رونقًا آخر وأصبح من أهم فروع الشركة خلال أيام وطبعًا أصبحت أتردد على فرع طنطا أكثر من أي فرع وطبعًا كان عم خالد رجع القاهرة لأنه عنده أعماله الخاصة في القاهرة وهو من أشهر رجال الأعمال الآن ولكن لن أذكر اسمه. وطبعًا كنت لما آجي الفرع أتلكك بأي حاجة عشان أكلمها وماتعبتش قوي، لأن هي كمان يظهر كانت بتتلكك وكانت لما تشوف عربيتي لازم تبعتلي خالد يعزمني عندهم على شاي، وطبعًا محمد قريبي كان هو المسؤول عن أمن الفرع وعملته رئيس أمن عشان أفرح أمه وكنت دايما أقوله الفرع ده ربنا عمله عشانكم.

المهم عشان مادخلش تفصيلات مالهاش لازمة وبعد أكثر من لقاء بأسباب ملفقة أحيانًا وأخرى أسباب طبيعية أرسلت إليها ورقة مع البواب وقلت له إدى دي للهانم وطبعًا كنت عارف إن ابنها مش موجود، لأن سيارته مش موجودة وكان مكتوب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد

فإني أدعوكي إلى جنة عرضها السموات والأرض. آه ورب الكعبة كده دوغري. فراحت طلبتني في التليفون وطبعًا أنا قلت بس دي هتشتم فقالت: إيه اللي كاتبه ده إنت عامل عزومه وعايز تعزمنا.

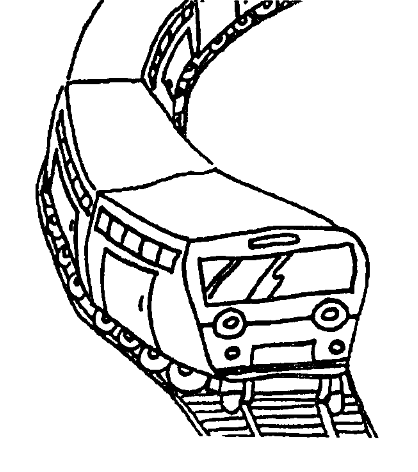
فأنا طبعًا رجعت اللي في بطني من الضحك وهي استغربت وقالت: إنت بتضحك ليه؟ وكانت أكتر من مرة تقوللي على فكرة إنت رغم أن دقنك بتخوف لكن اللي يعرفك يحبك بسرعة عشان دمك خفيف، وطبعًا أنا قعدت أضحك نصف دقيقة فقالت: لازم تقوللي بتضحك ليه؟ فقلت لها: إنتي فهمتي من الورقة إني عامل عزومة وعازمكم فقالت: آه أنا قريت أدعوكي لجنة فقلت يمكن عندك عزبة وعايز تعزمنا وطبعًا هي كان كلامها رقيقًا جدًّا ولسانها معوج عالآخر فقلت لها لالالالا دي معناها إني عايز أتجوزك.

فقالت: إنت بتهزر، فقلت: والله العظيم دي معناها كده بس بطريقة الشيوخ، فقالت لي: أنا موافقة بس لازم أقول لأولادي بس مش مرة واحدة ولازم أسال أهلي فقلتلها: عمومًا أنا في انتظار ردك وقعدت أنتظر وقلت يا رب تطلع من عيلة زينا عادية ويكون ابن الباشا ده اتجوزها عشان جمالها.

وبعد أسبوع كلمتني وقالت لي: أنا مش قادرة أقول للأولاد دلوقتي فأنت روح قابل أخويا في البلد وهو بعد كده يكلمهم لأنهم بيحبوه جدًّا وأعطتني العنوان في إحدى قرى مركز طنطا، وطار قلبي من الفرح قلت دي يوم ما تتمعظم هتتطلع بنت عمدة وأنا عيلتي كلها عمد يعني الراس بالراس، وحكاية الباشا دي هننساها وكان لي كاتم أسرار وجه بحري الحاج عبد المنعم إسماعيل وكان سكرتيرًا وأخًا وحبيبًا وكل شيء، وكان منعم شغال في سنترال السنبلاوين وكان أيام العملة في البداية المكالمات الخارجية

كلها عن طريق السنترال. وكنت اتعرفت عليه عشان يسهل لي أي اتصالات وكان في فترة لازم أكلم السعودية يوميًّا لأن كان في هذه الفترة بنجيب دهب من السعودية ونبيعه في مصر طبعًا مش تهريب ماحدش يفهم غلط. فالمهم كان فيه معلومة لازم أعرفها من شريكي في جدة الحاج عادل اللي قابلت عنده حسن راتب لما كان بيبيع لبن في الخُبَر وأنا اللي نزلته مصر يشتغل وهنحكي ماورناش حاجة، المهم الكلام ده كان قبل السادات ما يتقتل وكان لازم أكلم عادل في جدة واضطريت أكلم أختي في مكة عشان أبلغها رسالة توصلها لعادل لأنه كان ساكن جنبهم. فقلت لمنعم اتصل بالسعودية وكان بيحول المكالمة على بيت حماتي فاتصل بأختي وحول المكالمة للبيت وبعدين أنا باتكلم مع أختي وبقولها أنا اتصلت بعادل مابيردش فلو عندك رقم التاني اللي بتكلمي مراته عليه اديهوني فقالت: آه عندي أكتب عندك فقلت لها: لحظة أجيب قلم فلقيت منعم بيقولها: قولي ياحاجة أنا معاكي.

ومن يومها بقه كاتم أسراري لأنه طلع يعرف كل حاجة عني وكان بيتكلم بتلقائية غريبة ولا كأنه عمل حاجة، ومن يومها أصبح هو المسؤول عن اتصالات الشركة وأموري الخاصة جدًّا، فبعته لأخوها وإديته العنوان وقلت له روح حدد ميعاد وقولي أحوالهم إيه. فراح وحدد الميعاد ورجع قاللي أخوها شكله محترم بس ناس على قد حالهم وأول ما قال كده طرت من الفرح قلت أيوه كده دلوقتي أبقى طاوس بجد وقلتله: بيتهم شكله إيه؟ فقاللي بيت عادي أنا سألت عن أخوها فواحد شاورلي عليه واقف قدام بيته ومش كبير قوي، بس شفته ماسك فرس في إيده وصمم أني أدخل أشرب شاي أو يعمل واجب. فقلت له: لازم أرجع فورًا وحدد ميعاد يوم الأربعاء على الغدا عندهم.



محطة (42)

وجه الموعد المرتقب وكان لي صديق مقرب جدًّا مني كان وقتها الطبيب الأشهر لأمراض القلب في السنبلاوين، وكان أستاذًا مساعدًا في كلية طب المنصورة اسمه أحمد سعد، والاسم تشابه في الأسماء وليس من عائلة السعد ولكن كان مقربًا مني جدًّا وكثير من الناس كان يعتقد أنه أخي لقربه مني ويومها اصطحبته معي وركبنا أنا وهو في الخلف ومنعم جنب يحيي قدام وقلت لمنعم ودينا القرية اللي رحتها وكانت القرية اسمها أبو الغار قرية تابعة لمركز طنطا والعيلة اسمها عائلة أبوجازية. وعندما اقتربنا من البيت اللي قابل منعم فيه أخوها قلت له: فين البيت يا منعم؟ فأشار إلى إسطبل خيل ملحق بقربه لم ولن أرى مثله في حياتي، فقلت له: فين البيت يا منعم؟ فقاللي: هو ده. فقلت: ده إسطبل خيل ملحق بالقصر اللي أنت شايفه فقاللي: هو ده البيت اللي خرج منه.

فقلت له: الله يحرقك ده إسطبل الخيل يعني إنت كنت اتعميت الله ينتقم منك وبصيت لأحمد وقلت له: هنعمل إيه دلوقتي أنا جاي أقابل ناس غلابة عايشين في بيت غرفتين. فقاللي: ماعندناش خيار. واتجهنا نحو بوابة القصر الذي كان مشيدًا على عشرة أفدنة على الأقل، ووجدنا رضا أبوجازية شقيق عنايات أبوجازية في انتظارنا، والحقيقة رغم أنه شكله باشا أبًا عن جد إلا أن روحه كانت روح فلاح مصري صميم وفُتحت بوابة القصر ونزلنا من العربية وأنا دماغي راحة جاية.

وطلع البيت اللي أنا اشتريته منها قد المطبخ اللي في قصر أبوها، وسلم علينا رضا

بحرارة وأخبرني أنه متابع نشاطي من زمان وأنه معجب جدًّا بشخصيتي وأنه لما عرف أني اشتريت بيت زوج أخته في طنطا طلب من شقيقته تحديد ميعاد عشان يتعرف عليًا، فقلت له: أنا جيت لك برجلي وفتح غرفة الصالون وكانت حوالى ألف متر لوحدها ودخلنا وببص على الحيطة واعتقدت أني في متحف أو في قصر عابدين وببص لقيت جلالة الملك فاروق واقف وجنبه راجل باشا فقلت له: مين ده؟ فقاللي: ده والدي عبدالعظيم أبوجازية فقلت له: إنت عامل غدا فقاللي: طبعًا إنت جعت ولا إيه؟ فقلت: لا إلغي كل حاجة وأنا ميت من الضحك. ففهم بسرعة ومات من الضحك وبدأت أتجول في الغرفة وكل شوية ألاقي واحد بشنب كبير وواقف جنبه واحد شبه رضا فأسأله مين ده يقوللي لالالالالالالالالالا ده الخديو عباس مع جدي. وأقسم بالله جاتني كريزة ضحك أنا وأحمد وكل شوية أقول لمنعم دول الغلابة؟ وهو يا عيني باصص في الأرض من الكسوف وشفت ساعتها حوالى عشرين صورة فقلت له: لسه في صور في الغرف التانية؟ فقاللي: آه لسه كتير. فقلت له: بص يا عم رضا إنت باين عليك ابن بلد زينا وأنا يظهر لبخت الدنيا وشكلي هاتعلق بس مش على الحيطة دي واتقلبت الجلسة ضحك واتغدينا وهو والله كأني أعرفه من ميت سنة وحكيتله حكاية أخو زوج أخته، فقاللي: عرفت وحقك عليا أنا آسف.

فقلت: أنا اللي آسف وطبعًا أنت عارف أنا هنا ليه فقاللي: آه عارف، فقلت له: لو سمحت اعتبر إنك قابلت عيل وغلط وسامحته وأرجوك إنسى أي حاجة حصلت وأنا مش هاهوب ناحيتكم تاني. وطبعًا أنا كنت مش عارف إذا باهزر ولا باتكلم جد لولا أن رضا أنهى حفلة الهزار وقاللي: إحنا لينا الشرف يا حاج أشرف لما نناسبك وأنا عن نفسي موافق جدااااااااااااااااااااااااااااااااااااااا بس موضوع الأولاد ده سيبهولي وأنا هاخلصه وهتصل بيك ونتفق على كل شيء، بس أنا عن نفسي باقولك مبروووووووووووووووووووووووووووووووك.

المهم عشان ماندخلش في تفاصيل لا فائدة منها فعندما انتشر الخبر قامت حريقة بكل

ما تحمل الكلمة من معنى في بيت عنايات من طرف أولادها وأهل زوجها، لدرجة أن الموظفين في الشركة شعروا بحرارة نار الحرب المشتعلة وكلمني مدير الفرع وقتها وقال بلاش تييجي اليومين دول. فعرفت أن الموظفين كلهم عرفوا وفضيحتي بقت بجلاجل بس أكتر شيء أضحكني لما عرفته أن هي تعللت لأولادها لما سألوها إنتى ليه عايزه تتجوزي وإنتي في وضعك ده فقالت لهم عايزه تروح الجنة.

وطبعًا هي اللي حكتلي بعد كده المهم قالولها ليه هتتجوزي مين يعني؟ وبعدين هو إحنا هنروح جهنم، وجه شقيق جوزها وطبعًا كان متوقع يشوفني عشان يفرغ فيَّا مسدسه بس اللي عرفته إنه قالها إنتي هتفضحيني إنتي هتتجوزي ابن الطباخ بتاعنا وطبعًا هي كانت خلاص أخدت القرار ورأت ملائكة الرحمة أمام عينيها وأن كل الطرق تؤدي إلى النار إلا طريق مولانا أشرف السعد.

المهم أولادها اتبروا منها وتركوا البيت وراحوا القاهرة يعيشوا مع عمهم وكلمني رضا وحدد موعد عقد القران، وذهبنا إلى القصر في أبو الغار وكنت عامل حسابي نكتب الكتاب ونحدد ميعاد الفرح، فرحت وقابلت رضا وقلت له: النهارده نكتب ونحدد ميعاد الفرح فقالي: بقولك إيه أنا ماعنديش الكلام ده تكتب كتابك وتاخد مراتك في إيدك وتتكل على الله وانتو حرين مع بعض. فقلت له: ومالوا مفيش مشاكل طب المهر قالي: إنت ومراتك اتفقوا أنا بره الفيلم ده والمأذون جاهز والعشا جاهز وأنت رتب هتروح فين بمراتك، فاتصلت بمدير فرع إسكندرية يحجز لي في أوتيل. وفعلا تم الزواج ودخلت عنايات أبوجازية الجنة وتاني يوم الفرح اكتشفت أن الحريقة مش في عيلتها بس لكن في أغلب مصر. وطبعًا أم بلال عرفت ومسكت بلال رقعته علقة عشان كان مصاحب عنايات وخد منها شيكولاتة وأكل أمه منها. وكانت تقوله: شكلها إيه يا بلال؟ فكان يوصف غلط ورغم أن عمره كان خمس سنين بس كان صايع والدليل على كده أنه متجوز تلاتة دلوقتي من ورا بعض، بس أكيد هيعرفوا دلوقتي وأم بلال ماتت وهي بتكره بلال.

والحقيقة يجب أن أعترف أن زواجي منها قد قلب حياتي رأسًا على عقب.

بقينا يومين في فندق رامادا في إسكندرية وكان هذا الفندق معروضًا عليا لشرائه قبل زواجي بأسبوعين والذي منعني عن شرائه هو أنني لم أستطع أن ألغي بيع الخمور فيه لأن الرخصة صادرة له على أنه يبيع الخمور وإلا فسوف ينزل في تصنيفه من خمس نجوم لنجمتين وعلى أية حال لم أشتره، ولكن أصحاب الفندق استضافوني ورفعوا رأسي قدام عنايات فكانوا يعاملونني على أني صاحب الأوتيل وتركنا إسكندرية واضطررت للعودة إلى القاهرة لأن في هذا الوقت كانت أسهم شركة السعد في ارتفاع كل ثانية وليس كل يوم. وأذكر جيدًا أني ركبت سيارتي المرسيدس السوداء وهي بجانبي ولم أخبر أحدًا أنني تركت الفندق وكان الحاج محمود رشدان علم بزواجي وأخبرني أن الشقة جاهزة فقلت له بلاش جنب أم بلال فقالي لالالالالالالالالالا في العمارة اللي بعدها.

وحجزت في هيلتون النيل لحد مانقرر موضوع الشقة ده وسيبنا إسكندرية وكان عندي في السيارة مثبت سرعة وثبتت السرعة على 90 كيلو وهي السرعة المسموح بها وطبعًا التليفون لم يتوقف، فعبد المنعم كان كل شوية يكلمني يديني أخبار أم بلال أولا والشركة ثانيا، وبعد ماعديت بنها لقيت سيارة شرطة خلفي ثم تخطاني قائد السارة وأشار لي أن أتوقف وكان وقتها ممدوح برعي جوز خالتي أصبح محافظًا لأسيوط أو سوهاج مش فاكر فجهزت التليفون على رقمه وأشار لي الضابط بالتوقف فوقفت فنزل وقالي: الرخص فأخرجت الرخص وقلت له: على فكرة أنا مثبت سرعة السيارة فقالي: دي إجراءات أمنية مالهاش دعوة بالسرعة. وبعد ماشاف الرخص قلت أكيد مابيقراش جرايد خاصة أنه قالي إنزل افتح شنطة العربية فقلت في سرى باظت الجوازة أكيد ولادها وعمهم حطولي حشيش في العربية وطبعًا كان منظري زفْت قدام العروسة.

نزلت وفتحت الشنطة للضابط ولاحظت أنه مافتشهاش ولقيته واقف يفكر وبصراحة ركبي سابت والله قلت لالالالالالالا ده الموضوع شكله كبير فقلت له:

لو سمحت أنا هاروح اتصل بالتليفون فقاللي: مالوش لازمة يا حاج أشرف فقلت له: مانت عارف اسمي أهو يعني عارفني، فلقيته كان هيعيط وقاللي: سامحني والله العظيم أنا اضطريت أعمل كده لأني بقالي شهرين عايز أقابلك مش عارف وأنا أصلا المسؤول عن الحملة في المديرية. وعرفت أنك فتحت محطة خدمة سيارات كبيرة وكلمت ناس عشان يتوسطوا إني أشتغل فيها بعد شغلي وطبعًا وهو بيحكي أنا أقسم بالله ماكنت عارف أعمل فيه إيه ولا أفرح ولا أعيط، ولقيت نفسي بخبط راسي على العربية وبقوله حرام عليك ورب الكعبة ده إنت خليتني مساويش بريزة قدام العروسة الله يحرق محطة الخدمة واليوم اللي عملتها فيه طب أنا أروح أقول للي في العربية دي إيه دلوقتي؟ أقولها كان بيفتشني عشان أشغله ده أصلا لو كانت هي لسه عايشه فقاللي أنا هاروح أعتذر لها فقلت يا عم لا تروح ولا تيجي خلاص اعتبر نفسك متعين واديته ميعاد ييجيني الشركة وطبعًا لما حكيت للعروسة ماعلقتش بس عملت حاجة غريبة جدًّا خلتني كنت هارجعها لأخوها.

باضرب بعيني لقيتها بتحط مسدس في شنطتها فقلت لها إيه ده فقالت ده مسدسي قلت لو اتأخرت شوية يبقى فيه حاجة مش طبيعية ودول ممكن يكونوا عصابة فقلت أبقى جاهزة .

فقلت لها: جاهزة لإيه وده مسدس حقيقي ولا لعبة؟ فقالت: ده حقيقي، وإحنا كلنا كل واحد عنده مسدس مترخص وأبويا كان بيدربنا على ضرب النار.

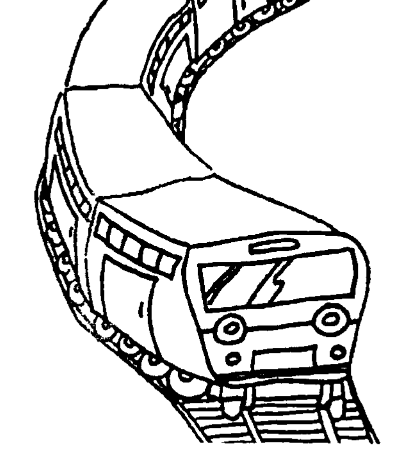
وأنا قلت اليوم ده مش هيعدي على خير وهي تقوللي إنت واقف ليه دور العربية وامشي وأنا ورب الكعبة اترعبت تاني وقلت لها مسدس إيه ده، أنا أخاف أشيل نبلة وبعدين إنتي ماقلتليش على حكاية المسدس دي، فقالت: هو رضا مافرجكش على أوضة السلاح بتاعة العيلة فقلت لها: هو أنا جاي أتجوز ولا جاي أتقتل.

المهم اتضح فعلا أن كل العيلة شايلة مسدسات وطبعًا أنا قلت دي أول رسالة بتقوللي فيها خلي بالك اوعى تلعب بديلك.

وأنا طول الطريق أقولها معقول الرقة دي كلها تشيل مسدس لالالا إنتي ترمي الهباب ده وتعتمدي على الله ثم عليَّا.

وطبعًا هي فطسانة من الضحك من منظري لما شفت المسدس والمصيبة أن المسدس ده لم يفارقها حتى فارقت الحياة رحمة الله عليها.

المهم وصلنا الهيلتون ولقيت أحد أصدقائي المقربين جدًّا وهو تاجر حديد شهير وكان اليوم ده من أغرب محطات حياتي، فكنت طبعًا وبما أني أصبحت من كبار تجار السيارات وأصبح اسمي كالطبل ولكن لم أتوقع أن يصل إلى ما حدث في هذا اليوم الذي اعتبرته عنايات أنه قدمها على الشركة فقد أخبرني صديقي أن منصور شيفروليه (محمد لطفي منصور وزير النقل السابق وشريك جنرال موتورز والوكيل الحصري لسيارات شيفروليه في مصر) عايز يقابلني ووسطه إنه يحدد ميعاد، ويبدو أن الأمر هام جدًّا وإلا لم يكن جاء وهو يعرف أني راجع مع العروسة من إسكندرية فقلت له: هل ممكن نؤجل المقابلة أسبوع؟ فقاللي: إنت حر بس هو الحقيقة وسطني وكان عشان أني أحدد ميعاد فورًا لأنه يعرف مدى علاقتي بك وأخبرني أن الرجل له وضعه في العالم وليس في مصر فقط وأنه له أكثر من أسبوع يلح في المقابلة، فقلت له: خلاص بكرة هنا في الهيلتون وكانت هذه المقابلة سببًا في صعود نجم شركة السعد إلى العالمية.



محطة (43)

رغم إني كتبت قصة حياتي أكتر من مرة وحكيتها في الإعلام وكان أول مرة مع هالة سرحان سنة 2000، لكن هذه المرة أجد نفسي أحكيها بأرياحية أكتر وحواجز كتير قد انكسرت وأشعر أني أريد إفراغ الأحداث من داخلي أيًا كانت ردود الأفعال، فاعتقدت أن عقلي الباطن كان يرافقني طوال السنين السابقة ويفرض عليًا كتمان بعض الأحداث أو تجميلها مما جعلني أشعر أن الغرض من كتابتها لم يتحقق، فليس من العدل والإنصاف أبدًا أن أصنع من نفسي بطلًا لمجرد أنني اتظلمت من بعض أفراد داخل مؤسسات الدولة أو حتى الدولة كلها، رغم أن هذا ليس صحيحًا ولكن من العدل أن أكتب الحدث مجردًا من كل تدليس يكتم أخطائي التي أعتبرها في بعض الأحيان قد تساوي خطايا من ظلموني أو ربما ذبحوني ولكن ما يصبرني أنها كانت أخطاء المتضرر الوحيد منها أنا ومن حكم عليهم القدر أن يرتبطوا بي كأولادي وأمي وأخواتي وأتمنى أن أكون شجاعًا هذه المرة فأمسح الرتوش التي كانت موجودة في السابق وأتكلم بكل تجرد وخاصة الفترة التي قبل أن أترك مصر ومعظم الأخطاء التي حدثت مني أنا على الأقل، فلا أريد أن أتكلم عن أخطاء من واراهم التراب ولايستطيعون الدفاع عن أنفسهم، ولذلك أحداث الوقائع مع الأحياء سوف أحكيها ولأول مرة بتفاصيل قد تحرج ناس كتير، ولكن الحمد لله فجميع المستندات لا زالت تحت يدي، وأكرر أنني لا أكتب هنا للتسلية ولكن لكي يعي من يعي ويجهل من يجهل، وما زلت أصر أن حاكم

مصر إن لم يقرأ هذه الأحداث فسيكون ارتكب خطأً كبيرًا جدًا فمعظم أبطالها كانوا هم من يكتبون تاريخ مصر بأعمالهم.

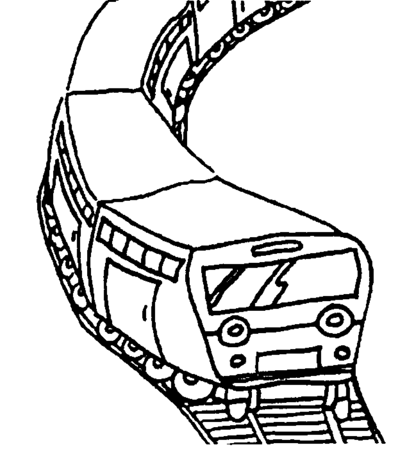
قابلت السيد محمد منصور ولا خلاف أنه رجل له هيبة ودمث الخلق جدًا وعلامات الثراء واضحة عليه منذ طفولته فلم يكن محدث نعمة مثلي مثلا، ولكن من أول مقابلة شعرت فيه بانكسار داخلي وطبعًا كنت عرفت كل حاجة عن هذه العائلة وأنني الآن أجلس مع طلعت حرب الثمانينيات إن لم يكن أكبر منه وطبعًا علمت في نفس الجلسة أنه زوج ابنة السيد منصور حسن وزير الإعلام السابق. ولم أكن تعرفت عليه وقتها وجلسنا في مطعم الهيلتون وبدأ الحوار وعلمت أن السيد محمد لطفي يمر بمشكلة مالية ضخمة قد تعصف بكل تاريخ العائلة وكان وهو يتكلم أقرأ في عينيه أن رفضي لعرضه هو بمثابة حكم إعدام له، وعلمت أنه استورد سيارات شيفروليه بأكثر من خمسين مليونًا من أمريكا وهي الحصة التي يجب شراؤها ليحتفظ بالتوكيل وبأسهمه في المصنع وأنه يمتلك ورش شركة فورد في الأزاريطة وأنه حولها لخدمة جنرال موتورز والآن كل هذا مهدد إن لم يدفع (65) خمسة وستين مليون جنيه فورًا جزء منها للمدعي الاشتراكي الذي كان بدأ فعلا باتخاذ إجراءات التحفظ عليه ودون أن أقسم بالله فإن هذا المبلغ وقتها لم يكن إلا عند اتنين أنا والريان أو البنوك وكان يساوي الآن 65 مليارًا دون أي مبالغة، وفكرت قليلا وقلت له: أنا لو دفعت هذا المبلغ فالمفروض إني أحل محلك في شركة جنرال موتورز وأنا مايخلصنيش فقالي: لالالالالالالالالالا هي دي الخطوة القادمة ولازم تتأكد إنك لو نفذت الصفقة هتبقى أنقذت اسم منصور شيفروليه حتى لو حللت مكاني، فقلت له: اعتبر الموضوع منتهي بس أنا مش هاشتري السيارات اللي في الجمرك وخلاص أنا هاشتري ورش فورد اللي في الأزاريطة فقالي: أنا موافق بس نعملها على مرحلتين تطلع السيارات أولا وبعدين نكتب عقد اتفاق بكل ما تريد، ولست أدري كيف كنت أجلس أدير الجلسة وجميع المستشارين اللي معايا لم ينطق أحد منهم ببنت شفة ولعلني تعمدت ذلك؟ لا أذكر ولكن ما أتذكره أنني أردت أن أحتفظ للسيد محمد لطفي بمكانته ولا يتفاوض معه غيري، ووقتها أعتقد أن قدرها لي ولم أكن عندي التليفون

الموبايل فكان هو أول من أدخله مصر وطبعًا شاور للسكرتير إنه يجيب تليفونين هدية وواحد منهم اللي استعملته يوم وليد.

المهم اتفقت معه أن نوقع عقدًا مبدئيًا نحتفظ فيه بوضعه وفي نفس الوقت أستطيع أن أكون أنا المتحكم في الشيفروليه ووقعنا الاتفاق فورًا وطلب محمد لطفي شيكًا بالمبلغ اللي خمسين مليونًا وفعلا ماكنش معايا دفتر الشيكات ولست أدري هل فعلتها متعمدًا أم صدفة، ولكن الأكيد أنها كانت عمدًا وهذه من الأخطاء التي أعتبرها خطايا في حياتي أنني أردت أن أستعرض قوتي أمامهم رغم أنها ليست أبدًا قوتي بل قوة الله ثم الناس الذين جعلهم الله يثقون فيَّا. فعندما سأل عن الشيك اعتذرت له أني نسيته وأخدت ورقة فولوسكاب من أمامي وكتبت عليها أمر دفع موجه لبنك مصر الخليجي أو الاعتماد والتجارة وكان رصيدي بهما نصف مليار وأعطيته الورقة فنظر فيها وضحك بمنتهى الأدب ولم يكن ساخرًا بل مستغربًا فقاللي: يا حاج، فقاطعته وقلت له: خلي العقد معاك وروح البنك الآن ولما تصرف المبلغ نتقابل بالليل عشان الصحافة تصور.



صورة إعلان اتفاق السعد وشركة منصور شيفروليه



محطة (44)

طبعا عندما قام منصور شيفروليه بصرف المبلغ من البنك رغم أنه مكتوب على ورقة بيضاء كانت بمثابة صك ولادة قوة مالية جديدة في مصر اسمها شركات السعد. وتم نشر الاتفاق في الصحف وكانت الضربة الأكبر هي توقيع عقد شراء ورش فورد في الأزاريطة وتم شراؤها كاملة لصالح شركة السعد. والغريب أنني وجدت في حفل افتتاح فرع الأزاريطة وهو مبنى أثري يعرفه كل أهالي إسكندرية كان قد أنشأته شركة فورد لصناعة السيارات، والعجيب أن حتى مواسير الصرف كان محفورًا عليها اسم فورد. وكما ذكرت أنني فوجئت في افتتاح المقر بوجود الفريق كمال حسن علي رئيس وزراء مصر السابق وكان قد طلب من منصور شيفروليه مقابلتي وفوجئت به حاضرًا في الافتتاح كما هو واضح في الصورة وكان حدثًا عالميًا بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وقد حضر الافتتاح يومها الأديب الكبير الأستاذ أنيس منصور الذي كان وقتها مستشارًا لشركات السعد وطبعًا له محطات كثيرة معي ويظهر في الصورة مع الفريق كمال كما يظهر الوزير أمين ميكيس أول نائب عسكري رئيس مجلس إدارة شركة السعد كما يظهر في الصورة اللواء يحيى الزلفى نائب مدير المخابرات السابق وهو خال أم بلال وكان وقتها طلع على المعاش وأصبح تاني نائب عسكري لرئيس الشركة اللي هو أنا، ويظهر أيضًا الأستاذ على جاد الحق نجل شيخ الأزهر ومدير فرع شركة السعد بمصر الجديدة يعني دولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى.

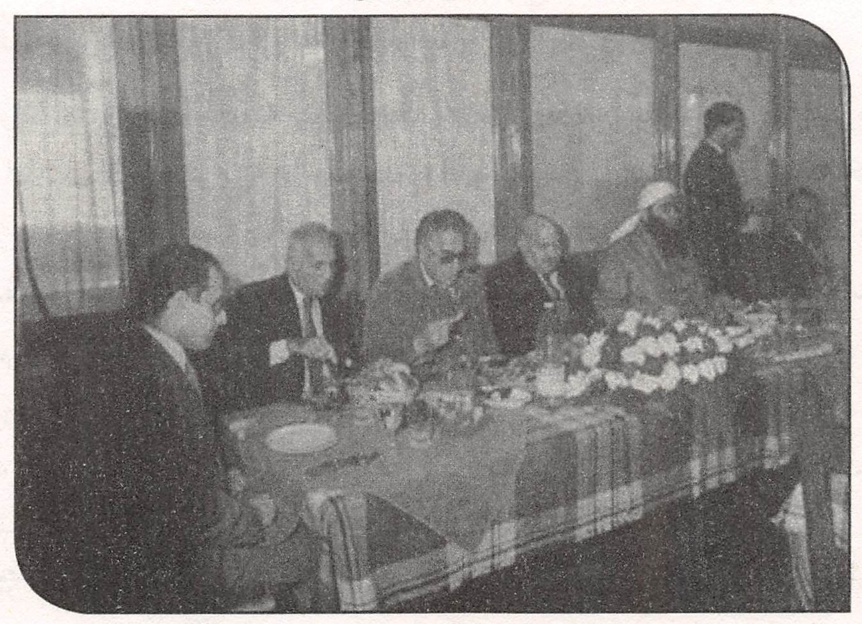
وطبعًا التقيل كله جاي ورا، والغريبة أن الفريق كمال أول شيء قاله لي أنا أعرف

نسايبك كويس فقلت له مين فيهم فقاللي أبو جازية وطبعًا خال أم بلال واقف وماقدرش يتكلم، لأن كمال حسن علي كان رئيسه وأول ماشافه أدى له التحية العسكرية. وبصراحة اللواء يحيي الزلفي كان شخصية فريدة من نوعها فقد تعلقت به جدًّا ورغم أنه خال أم بلال إلا أنه كان دائمًا في صفي وينقذني منها، بس أقسم بالله العظيم حول شركة السعد إلى ثكنة عسكرية، فكل الإدارة أصبحت من ضباط القوات المسلحة اللي على المعاش وأظن الآن عرفتوا ليه أنا باعشق الجيش المصري وكمان في الإدارة ظبطوا الشركة تمامًا ولما أحكيلكم اللي كان بيعملوا اللواء يحيي مش هتصدقوا لأن محطته معي قصة لوحدها وطبعًا نزل الإعلان في الصحف وأصبح لايوجد في مصر صاحب شركة من المشهورين إلا وهو يطلب موعدًا، فاتضح أن معظم شركات مصر كانت متعثرة إن لم تكن جميعها نتيجة الإقراض العشوائي وأصبحت الحرب بيني وبين الريان على أشدها فكان كل إعلان أعمله يكون هو عامل قبله إعلان عن مشروع ضخم حتى ظن أني باقلده لأن معظم مشروعاتنا تشابهت فيما عدا السيارات.

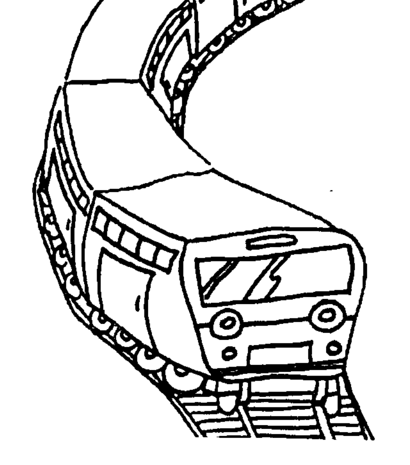
والشاهد أني بهذه الصفقة أنقذت وبكل تواضع ولا فخر أنقذت منصور شيفروليه من الانهيار بل من الزج به في السجون. وأنا لم أتعود أبدا أن أمَّن على أحد ولكنني لم أرَ جحودًا مثل الذي رأيته من هذا الرجل، ورغم أنه يعلم تمامًا أنني اشتريت هذه الصفقة وأقسم بالله العلي العظيم وأنا أعلم أنه ملهوف ومضطر ولكنني لم أساومه في مليم واحد فالثمن الذي خرج من فمه وافقت عليه. وعندما علمت شركة جنرال موتورز بما حدث وأنني كنت على وشك إتمام باقي الصفقة بشراء حصته في جنرال موتورز فأرسلت له وسددت القروض التي كانت على جنرال موتورز وكنت أنا السبب في كل الخير الذي حدث له، فبعدها اشترى مارلبورو من البليدى لأنه كان متعثرًا جدًّا وأنا رفضت شراءها. وسوف أقص جحود هذا الرجل في وقته لكن أعود ليوم إتمام الصفقة الأولى، وبعد الانتهاء من الافتتاح طلب مني الفريق كمال حسن علي تحديد موعد لعرض مشروع ضخم يكون شراكة بيننا.



أشرف السعد في افتتاح فرع الأزاريطة



أنيس منصور وكمال حسن علي في الحفل



محطة

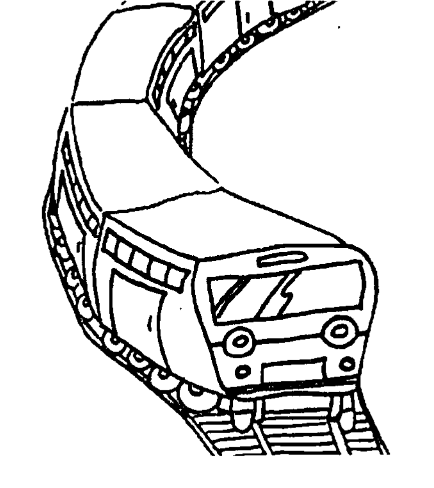
(45)

وقبل أن أغوص في محيط فتنة المال أو كما أسميه أنا مستنقع المال، فقد حدثت في وسط كل هذه السيول الدنيوية وكما قال الله تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: 44] ولكن التصاقي بجماعة التبليغ كان دائمًا حائط صد نفعنى به الله وقت اشتداد عاصفة فتنة الدنيا ويبدو أن عملًا صالحًا واحدًا خالصًا لوجه الله قد يكون سببًا لنجاة ابن آدم رغم كل خطاياه وذنوبه كما قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة: 143].

فالحمد لله كانت عندي خطوط حمراء لا أستطيع تجاوزها فقد عُرض عليًّا يومًا فندق هيلتون رمسيس بمائة مليون جنيه وكانوا معي مثل قرش صاغ، ولكنني لم أشتره خوفًا من الله بسبب بيع الخمر وساعتها لم يكن شيء يمنعنى عن شرائه سوى هذا المانع، وأيضًا كان عندي خوف من أي نشاط فيه سياحة وكانت جماعة التبليغ دائمة الزيارة لي بلا انقطاع وطبعًا وصل الخبر للشيخ لطف الرحمن في بنجلاديش وكان لي صديق مقرب مني جدًا من ميت غمر كان من قادة الإخوان المسلمين اسمه مسعد خليل تعرفت عليه عن طريق الشيخ إبراهيم عزت، وكان يعيش في مكة وكان دائم الخروج مع جماعة التبليغ وهو من أشهر شيوخ ميت غمر بل محافظة الدقهلية وكان رجلا دمث الخلق ولا تراه إلا مبتسمًا وكان خارجًا مع جماعة التبليغ في بنجلاديش، وعاد ومعه رسالة لي من الشيخ لطف الرحمن الذي كان أحب لي من نفسي وفتحت الرسالة فوجدت مكتوبًا فيها جئتنا فقيرًا فدعونا لك فأغناك الله وأنا مشتاق لرؤيتك وإن لم تأتِ فسأدعو عليك وفي

أقل من ثانية نسيت شركة السعد ونسيت العروسة ونسيت كل شيء وقلت لمسعد أنا سأذهب لزيارته ولو لمدة ثلاثة أيام، فقال: أنا مستعد أن أسافر معك فقلت لمدير مكتبي وكان مختصًا بعمل التأشيرات فقلت له خد باسبوري وباسبور مسعد وهات لنا تأشيرة لبنجلاديش واحجز لنا في أول طائرة. فرد مسعد وقال: لا تحتاج تأشيرة أنا لسه راجع من هناك وعارف فقلت له: يا شيخنا ناخدها احتياطي. فقاللي: إنت بتشك في كلام أخوك مسعد فقلت له: أستغفر الله يا مولانا. وفعلا حجزنا دون تأشيرة ورتبت كل أموري أني سأغيب أسبوعًا. وكانت الرحلة إلى بنجلاديش يومها القاهرة الكويت بنجلاديش ووصلنا الكويت واضطررنا أن نبيت ليلة بالكويت لسبب طارئ في الطيران لا أذكره وقضينا ليلة لطيفة جدًا في الكويت ذهبنا يومها إلى مركز التبليغ في الكويت وكان اسمي طبعًا اشتهر في الدول العربية على مستوى العامة وخاصة جماعة التبليغ، وكل ما نقابل حد ويعرف إني رايح أزور لطف الرحمن مخصوص ألاقيه يبكي وطبعًا وكأنهم يحسدونني أنني ذاهب في رحلة ليس في دنيا. والشاهد أننا ركبنا الطائرة في الصباح لمدة خمس ساعات إلى دكا وكنت طوال الرحلة أتخيل لقائي بالشيخ لطف الرحمن بعد تقريبًا خمس سنوات، وآخر مرة شفته كان بيجمعوا لي حق تذكرة السفر من الخرطوم للقاهرة يعني حوالى عشرين جنيهًا أيامها، وجلس مسعد يشوقني للقاء بحكاياته عن لطف الرحمن عندما علم أنني أصبحت مليونيرًا ووصلنا مطار دكا وكان زحام شديد للغاية ووقفنا في طابور الوصول لمدة ساعة على الأقل، وحين وصلت للشباك أخذ ضابط الجوازات باسبوري وجلس يبحث عن التأشيرة ثم قال: نو فيزا فقلت نو فيزا فقال: نو دخوووووووووووول ارجع مصر تاني، ونظرت إلى مسعد وكان خلفي فقاللي: ماتقلقش وجه مكاني يكلم الضابط وقعد ياخد ويدي معاه ربع ساعة والضابط يقول نو فيزا نو دخول. وكاد عقلي يطير ولم أكن على استعداد لأنظر في وجه مسعد وذهبت للضابط وقلت له أنا مش عايز أدخل دكا أنا جاي أزور شيخ لُطف الرحمن وأرجع فقال (نو فيزا نو) دخول، والتفت إليَّ مسعد وقاللي: اقرأ ياسين بسرعة

يا مولانا. فقلت له بانفعال: أُقسم بالله مانا قاري حاجة وامشي من وشي لأن راكبني ألف شيطان. فقاللي: طب نصلي ركعتين فأقسمت بالله مانا مصلي وقلت له: أرجوك أسكت لأنك هتشيل ذنوبي لو خرجت عن شعوري أرجوك إمشي من وشي الآن. ولقيت عسكري جه ياخدنا يودينا صالة السفر عشان نرجع في نفس الطيارة ودخلونا صالة السفر وكنا لوحدينا لأن الطائرة كانت ستعود تاني يوم وجلست في ركن لوحدي وطلبت من مسعد أن يذهب بعيد لأني مش طايق أشوف وشه، وفعلا جلست لوحدي وحسيت إن جسمي مولع نار ومش قادر حتى أذكر اسم الله وماعرفش إزاي تذكرت حديث من زار أخًا له في الله صافحته الملائكة في الطرقات ولم أشعر بنفسي إلا وأنا ساجد ولا أذكر إن كنت متوضئًا أم لا ولكن أذكر جيدًا أنني تكلمت مع الله كما أتكلم الآن. وقلت له: يارب إذا أنت عارف أني جاي أشوف الراجل ده عشانك وعشان بحبه لأنه بيحبك فدخلني، وإذا كنت عارف أني جاي عشان دنيا أو رياء فاعمل اللي إنت عايزه فأنت تعرف اللي جوايا أكتر مني وتكلمت هكذا كما أكتب بالحرف ووجدت نفسي أبكي وأقول يا رب هو الحديث ده بتاع صافحته الملايكة حديث مش صح؟ حتى لو مش صح أنا صدقته وجيت عشانك ولم أشعر كم لتر دموع سكبت، ولم أشعر بنفسي إلا والعسكري بيخبط على كتفي وأنا ساجد.



محطة (46)

رفعت راسي وجدت رجلًا يرتدي الزي الأفغاني وذا لحية طويلة جدًا وأشار لي أنا ومسعد أن نمشي خلفه واعتقدت أنهم هايودونا طائرة بدري شوية ولكن لاحظت أن كل من نمر عليهم يؤدون لهذا الشيخ التحية، ولقيت نفسي أنا ومسعد في الشارع دون أن نمر على الجوازات واتضح أنه رئيس الجمارك وأنه من جماعة التبليغ وذهبنا إلى المسجد وقابلت الشيخ لطف الرحمن وكان لقاء من أعجب ما يكون وسأحتفظ بما حدث فيه. وفي الأيام التي جلستها معه هناك وعدنا إلى مصر بعد أن شحنت شحنة إيمانية تكفيني ولو أسبوع.

وقابلت الفريق كمال حسن علي وكان وقتها يشغل منصب رئيس البنك الخليجي الذي كان أحد مالكيه أحمد بك أباظة كبير عائلة الأباظية ووالد محمود أباظة رئيس حزب الوفد سابقًا، وطبعًا هم عائلة غنية عن التعريف والمالك الآخر عبدالرحمن الشربتلي وما أدراك ما عبد الرحمن الشربتلي ومجموعة أخرى من رجال الأعمال.

وأخبرني السيد كمال حسن علي أنه مكلف من مجلس إدارة البنك أن يتوسط عندي أن أتعامل مع البنك وأن ننشئ مشروعات معًا وأن أخص البنك ببعض إيداعاتي والحقيقة كان لقائي بكمال حسن على وأحمد بك أباظة من أروع وأهم اللقاءات في حياتي، رغم أنها أصبحت كابوسًا فيما بعد ورأيت في البنك مجموعة من كبار رجال المال في العالم

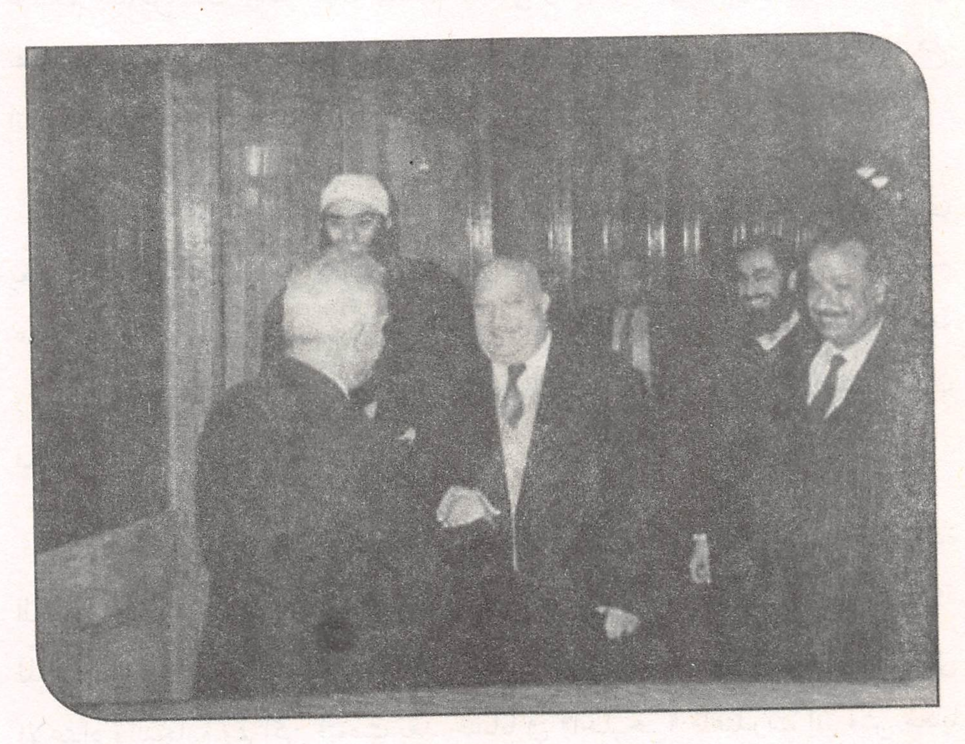
وليس في مصر والعجيبة أن الجميع كان مهتمًا بالتعارف عليًا وأذكر أني اندمجت مع أحمد أباظة وكمال حسن علي بسرعة شديدة خاصة أن الأباظية تربطهم صلة نسب بأبوجازية وأصبحت أنا طبعًا ممثل أبو جازية، وطبعًا حكيت لهم ظروف زواجي وما تخللها من طرائف وهذا جعل اندماجنا مع بعض يتم بسرعة شديدة، فرغم فارق السن الرهيب بيني وبينهم إلا أنني أصبحت فريق أول كمان، وشعرت أن أحمد بك أباظة رغم أنه أكبر من أبويا لكن شعرت أنه صاحبي وسألتهم طب رجال الأعمال اللي بيجوني كلهم عندهم مشاكل طب وانتو كمان عندكم مشاكل وطبعًا أخدوها بهزار وإلا كان ممكن تقفل الدنيا. وبصراحة وعشان ماغشكوش أنا كان راكبني الغرور يومها لأني قاعد مع اتنين يعتبروا من علامات مصر.

فأحمد أباظة هو مثل طلعت حرب وهو مؤسس البنك ويملك آلاف الأفدنة حتى بعد التأميم وأعتقد أن هو وفؤاد باشا كانا آخر الباشوات والبهوات في مصر والمهم عاملونى يومها على إني...... والله ما لاقي اسم فكل الأسماء أيامها لم تكن لامعة ولم يكن أحد بحجمي أنا والريان ولم يكن هناك اسم مشهور سوى أوناسيس وكان مات.

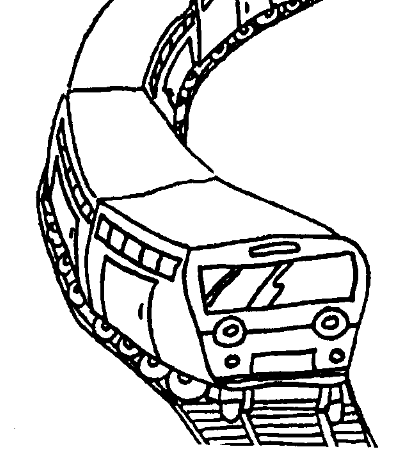
المهم لقيت أبواب جديدة تتفتح أمامي خاصة أن الفريق كمال أخبرني أن القيادة السياسية لها رغبة أن نتعامل معك وطلب مني تحويل ولو ربع مليار من أموال الشركة للبنك الخليجي. والآن تذكرت أن أمر الدفع الذي كتبته لمنصور شيفروليه كان على الاعتماد والتجارة ولم أكن فتحت بعد حسابًا في «الخليجي» فاعتذرت إني مش معايا دفتر الشيكات وطلبت من سكرتيرة كمال بك حسن على ورقة فلوسكاب بيضا وكانت سكرتيرة كمال حسن علي ملكة جمال مصر لعام 1985.

وطبعًا أصابتهم الدهشة فقلت لهم نفس الدهشة أصابت محمد منصور وسألتهم

هو أنا لو نسيت دفتركم وبعت ورقة زي دي مش هتصرفوها فقالوا أكيد هنصرفها لما نكلمك ونتأكد منك ونسجل المكالمة كمان. فقلت له و«الاعتماد» بيعمل كده. وقلت للسكرتيرة لو سمحتي اكتبي أمر دفع بربع مليار فقالت: يعني إيه. فرد أحمد بك أباظة قالها يعني ربع جنيه وسيبي الورقة وروخي نادى مدير البنك محيي المغربل وامشي من هنا قبل مايتجوزك.



أشرف السعد وكما حسن علي



محطة (47)

طول عمري متعود أحمد الريان يسبقني إلى أي مكان بعام واحد وهو الآن رحل وواضح إنه بيمارس هوايته معايا ويستعد لقدومي.

على أية حال حتى لا أضيع الوقت في تفصيلات دقيقة قد نعود إليها إذا أعطانا الله العمر، فقد تم الاتفاق مع البنك المصري الخليجي وكان طبعًا وحتى لا أكذب على نفسي وعليكم فقد كان وجود السيد كمال حسن علي وأحمد بك أباظة له تأثير كبير على إتمام العقد فقد كنت أشعر من داخلي أنني اختصرت مائة عام في مسيرة الصعود إلى الهاوية أو إلى القمة، التي اكتشفت بعد ذلك أنها أسفل السافلين فكلما صعد الإنسان وعلا نجمه فهو يقترب من حتفه أكيد حتى كالعجل ياكل وهو لا يعلم أن هلاكه في السمن (ازدياد وزنه) وكان الإعلان عن الشراكة مع البنك صفقة لا تقل عن صفقة شيفروليه إن لم تكن أكبر منها وأصبح كلما أتممت صفقة كبيرة أجد صفقة أكبر منها تلاحقني.

وأصبحت أنا كالهواء الذي يتنفس به البنكُ وأصبحت لي كلمة داخل البنك رغم أني لست من أصحابه أو من أصحاب القرار فيه، ولكن كان الشعور الذي كان عندي يوم أن عقدت صفقة الصفدي وجدته يداعبني يوم أن أبرمت الصفقة مع البنك الخليجي ولكن طبعًا لم يكن بنفس القلق فأنا هنا أتعامل مع كيان ضخم على رأسه رجل من المستحيل أن يُضحى بتاريخه، ولكن شعوري أن السيد كمال حسن علي كان واجهة البنك فقط ومن الفترة القصيرة التي قضيتها معه تأكدت أن ليس له أي خبرة في إدارة بنك والتعامل مع حيتان وقروش المال في العالم وأنه عبارة عن واجهة مشرفة فقط.

ويعلم الله أنني شعرت بخطر عليه فهو رجل أمن من الدرجة الأولى ويستطيع حماية دولة أمنيًا ولكن شعرت أن نصابًا مبتدأ من اللي قابلتهم في عنبر النصب في سجن طرة في بداية حياتي يستطيع أن يورطه، وباختصار شعرت بقلق ممن حوله، فأخذت حذري على الفور وزرعت فخًا صغيرًا أستخدمه وقت اللزوم كالذي زرعته عند الصفدي في بداية تعاملي معه وكنت قد أودعت المبلغ لدى البنك بالدولار وأخذت تعهدًا كتابيًا من كمال حسن علي بصفته رئيس البنك طبعًا بأن يبقى الحساب بالدولار ولا يتم تحويل الدولار لعملة مصرية إلا بعد الحصول على موافقة مكتوبة مني، واستمر التعامل مع البنك على ما يرام ووقعنا اتفاق إنشاء أكبر مصنع كباسات في مصر وأصبح البنك يستشيرني في أعماله الخاصة وأصبح لي مكتب في البنك أستخدمه وقتما أشاء.

وطبعًا كلكم مستنيين تعرفوا إيه اللي حصل مع السكرتيرة ولا هاممكم كل الرغى اللي عمال اكتبه ولذلك هاسيبكم على نار.

وفى يوم كان أحمد بك أباظة عازمني في بيته الفخم في الزمالك وكانت عزومة باشاوات وطبعًا كان معايا عنايات أبو جازية لأنها قريبتهم، وهناك قابلت حبيب قلبي اللي أصبح ليا معاه أحلى ذكريات وأصبحنا متلازمين جدًا وله محطات كثيرة في حياتي، لأنه لف معايا بلاد كتير في العالم وهو السيد وجيه أباظة. وهو غني عن التعريف وكان وقتها وكيل شركة بيجو في مصر وهو ابن عم أحمد بك أباظة وطبعًا رشدي أباظة بس هو كان أوجه كتير من رشدي أباظة. وطبعًا أنا طيرت من الفرح لما عرفت إن أحمد بك أباظة كان عامل هذا العشاء خصيصًا بناء على طلب وجيه أباظة حتى يتعرف عليًا وطبعًا كل محطاتي معاه موثقة جدا!!!!!!!!!!!!! ولكن سيكون لها محطات خاصة بها.

المهم مرت الأيام ولقيت السيد كمال حسن علي بيكلمني في التليفون وبيقوللي أرجوك الحقني يا أشرف فقلت خير يا فندم. فقاللي مش هينفع في التليفون أرجوك تعال البنك أو أجيلك أنا البيت فقلت له العفو يا فندم أنا أجيلك حالًا، وساعتها حسيت إن إحساسي كان في محله وأنني فعلًا وبلا فخر وبكل تواضع ظاهرة كما أخبرت الوزير زكي بدر.

نزلت فورًا وذهبت إلى مكتب كمال حسن علي ووجدت مجلس الإدارة كله مجتمعًا ووجه كمال بك لون الليمونة، وأول ما وصلت طلب منهم الانصراف وتركنا وحدنا فقلت له خير يا دولة الرئيس وهذا لقب رئيس الوزراء فقال لي: هاروح السجن. فقلت: أعوذ بالله تف من بقك إيه اللي حصل، فقالي: إنت عارف أنا ماليش في الأمور المالية فأنا رجل دولة فوفرت عليه الكلام وقلت له: من فضلك قولي اللي حصل لأني خلاص أعصابي سابت. وذهب ذهني إلى العقد الذي وقعناه وأن الرئيس مبارك وبخه وفي ثانية بدأت دماغي تودي وتجيب وفتحت كل الاحتمالات إلا ما قاله لي فلم أتوقعه أبدًا وصممت أن يقول فورًا لأني تعبت. فقالي: لازم المقدمة فقلت: لا تحتاج لمقدمة أرجوك قوللي العنوان وبعدين التفاصيل أنا معاك للصبح هاسمعها فقالي: بصراحة في رجل أعمال أخد قرض كبير من البنك وللأسف إدارة الائتمان لم تدرس المشروع جيدًا وأعطوه القرض دون ضمانات حقيقية ولو أي جهاز رقابى خد خبر هتبقى قضية كبيرة. فسألته: وإنت دخلك إيه؟ فقالي: أنا وقعت على القرض اعتمادًا مني على إدارة الائتمان فقلت له: كم القرض؟ فقال: حوالى 80 مليون جنيه فقلت: يانهار إسود طب وإيه المطلوب مني؟ إوعى تكون عايزني أدفعهم فزعل من الكلمة وقاللي: إزاي تقول كده. فقلت: طب خليك مكاني هاتفهم إيه وعمومًا أرجوك فهمني وأنا أي شيء ينقذك ولا يضر شركة السعد سأفعله فورًا. فقال لي إن القرض موزع على إتنين من كبار رجال الأعمال وأنا جلست معهم وهما عندهم حسن نية للدفع والبنك درس الموضوع ووجدنا عندهم قطعة أرض على النيل في المعادى وعملنا دراسة عليها واتضح أن هذه الأرض لو تم بناء أبراج سكنية عليها وبيعت فإن أرباحها ستغطي القرض فقلت له دي فزورة يا دولة الرئيس فقالي: اصبر شوية لحد ما خلص. قلت: سمعًا وطاعة. قاللي: إحنا قررنا إنك تساعدنا على النحو التالي:

1- تتقدم بطلب قرض من البنك لشراء قطعة الأرض فقلت له: وما الضامن؟ فقالي: قطعة الأرض. فقلت له: يعني أموالى المودعة عندكم ليس لها دخل

بالمشروع ولن تكون ضمانًا لأي مليم آخده من البنك لشراء الأرض؟ فقال: طبعًا.

2- تتقدم بطلب قرض من البنك لبناء مشروع أبراج سكنية على الأرض والضامن المشروع وليس أموالك.

فقلت له: شكل الكلام جميل ولكن باطنه يخيفني وأنا بصراحة مابحبش أشوف كوابيس بالليل وأنا نايم وابني في حضني فإيه اللي هيخليني أقحم نفسي في موضوع ملعبك وأنا بكره اللعبكة. فقال: أنا قلت لك إنك هتنقذني فقلت له: ما هو اللي ورط حضرتك مش بعيد يكون هيورطني أنا كمان. فقاللي: عندك حق شوف ضمانتك إيه وشوف إزاي تأمن نفسك وأنا بحلك من أي اتفاق لحد ماتطمن. فقلت له من قبل ما فكر: لازم القيادة السياسية تعرف أنا باعمل إيه وليه. فقاللي: مانت كده تبقى فضحتني فقلت له: أنا لا أقصد مبارك أنا أقصد هيئة سوق المال التي تشرف على شركات توظيف الأموال يجب أن تكون طرفًا في العقد لأن الأعمار بيد الله ولو حضرتك مش موجود فأنا هادخل في باب البلاء وأنا بره باب البلاء فإيه اللي يدخلني جواه وبعدين أقول يا رب خرجني منه وأنا أصلًا بره. فقاللي: طب دي نعملها إزاي؟ فقلت له: دي شغلة محامين الشركة ووقتها كان فريد الديب أصبح مستشارا قانونيًا لشركات السعد بعد أن دب خلاف بينه وبين الريان سنأتي عليه في وقته، واستدعيت الديب وخالد حسونة لدراسة الموقف وقلت لهم أنا لأول مرة في حياتي هاشتغل ديكور لأحد بس بصراحة كمال حسن علي يستاهل وأخبرتهم أن ليس لي أي مصلحة فأنا مجرد ديكور لإنقاذ الرجل ومش عايز أشوف كوابيس فمن فضلكم ادرسوا الأمر واعرضوه عليًا.



تم يوم الخميس ١٩/٥/٨٨

عقد اتفاق

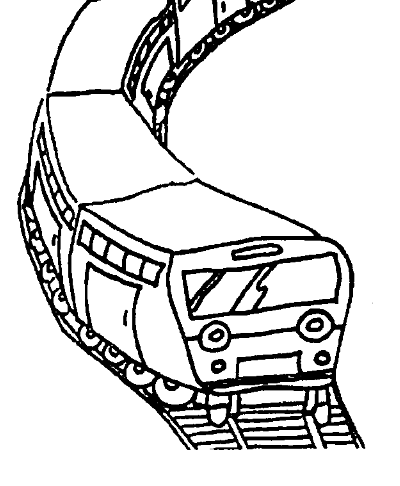
بين كل من

البنك المصري الخليجي و مجموعة شركات

للاستثمار

مصنع إنتاج الكباسات

صورة من إعلان مصنع إنتاج الكباسات مع البنك المصري الخليجي



محطة (48)

درس المحامون العقد وتم إبلاغ هيئة سوق المال بالأمر وانتقلت ملكية الأرض إلى شركة السعد بما تحمله من أعباء، وتم التوقيع من قبل البنك على أن ودائع الشركة لديهم ليست ضامنة لهذا القرض ولكن الضامن الوحيد هو الأرض نفسها وتم الحصول على تعهد موقع من ممثل البنك تم إرساله إلى هيئة سوق المال. ومرت الأيام والأمور على ما يرام والجميع منتظر الخطوة التالية وهي بناء مشروع على الأرض بتمويل كامل من البنك لا دخل لشركة السعد به، وسوف نتطرق إلى الأمر بالتفصيل عندما يظهر الخلاف بيني وبين البنك المهم.

كما ذكرت لم يكن تمر ساعة إلا وبلا مبالغة وكأن مصر كلها معروضة للبيع على شركة السعد والريان. وكان الريان قد أعلن عن شراء بنك أوف أمريكا الذي كان يعمل فيه جمال مبارك، وكان خبرًا كالصاعقة على الأوساط المالية في العالم، كما كان قد أعلن عن شراء مستشفى ضخم في الدقي وأسس لأكبر شركة نقل في الشرق الأوسط وتم الإعلان عنها وبدأت حرب شراء مصر تشتعل بيني وبين الريان حصريًا.

وسأعود إلى مشروعات الريان في الوقت المناسب ولكن أذكر أنني تلقيت مكالمة من مدير العلاقات العامة بالشركة يخبرني أن رجل الأعمال محمد المنوفي صاحب مصانع زانوسي لصناعة الثلاجات يلح في طلب مقابلتي، وقد أرسل إلى فرع الشركة بالدقي أكثر من خمسين ثلاجة هدية للشركة ولم يكن أحد، هذا الوقت يسمع أو يعرف ثلاجة زانوسي فقد وُلدت على يدي.

المهم تحت إلحاح محمود سعودي مدير العلاقات العامة قلت له خلاص حدد ميعاد غدًا وسوف أذهب لزيارة المصنع. وكان وقتها قد التحق بإدارة مكتبي رجل أعمال مغمور ألمت به بعض المشاكل وطلب مني أن يكون من مساعديَّ وهو الأستاذ كامل جرجس، وكان وسيمًا وفي قمة الشياكة لدرجة أني كنت أقوله يا كامل أنا لو الناس مش عارفاني كانوا افتكروني السواق بتاعك وفي هذا اليوم كان يحيي السواق في أجازة فكان كامل هو اللي بيسوق العربية. وذهبنا إلى المصنع في 6 أكتوبر ومعي سيارتان يستقلهما مستشارون لشركة السعد ووصلنا المصنع وبصراحة كان مصنعًا ضخمًا وكان استقبالًا غير متوقع، حتى إني ظننت أني رئيس الجمهورية وليس رئيس شركة السعد وكان على رأس مستقبلينا صاحب المصنع محمد المنوفي وإخوته جميعًا وكبار الموظفين. وأذكر يومها أن محمد المنوفي نقى كامل من وسط الموظفين واصطحبه داخل المصنع لمدة ساعة يشرح له كل صغيرة وكبيرة في المصنع أما أنا فاصطحبني جودة أخو محمد. وأذكر أن محمد بعد أن انتهى من شرح كل شيء لكامل سأله: هو حضرتك مين؟ فقاله: أنا سواق الحاج أشرف.

المهم عجبني جدًّا المصنع وعرفت سبب عرضه للبيع أن محمد وإخوته اقترضوا مبلغًا ضخمًا من البنك لبناء المصنع وحين انتهوا من بنائه حل ميعاد السداد لأول دفعة من القرض، ولم يكن معهم المبلغ ووصلوا إلى طريق مسدود مع البنك وكان البنك قد أنذرهم بالحجز على المصنع ويعلم الله أنني لم أضع هذه المعلومة في اعتباري أثناء التفاوض والدليل ما حدث بعد ذلك وكنت قد انتهجت مبدأ في حياتي المالية ألا أشتري شيئًا لا أفهم فيه مهما كان سعره. وكان شرطي الوحيد على أولاد المنوفي قبل بدء الحديث أنني لن أشتري كامل المصنع، بل سأشتري 75٪ فقط ويحتفظوا هم بالباقي ويقومون بإدارة المصنع مقابل 20٪ من الأرباح، وبذلك لا يشعرون أنهم باعوا المصنع ويظلون يديرونه كأنه ملكهم، لأن المصنع كان مثل الطفل بالنسبة لهم لا يستطيع أحد إرضاعه مثلهم فهم من بنوه طوبة طوبة وهم أعلم به من أي خبير في العالم. واتفقت معهم على مبلغ 15

مليونًا مقابل 75٪ وتم الاتفاق على ميعاد توقيع العقد وحضر التوقيع رئيس وزراء مصر السابق والمهندس عثمان أحمد عثمان ومجموعة كبيرة من مشاهير مصر. وحضرت وسائل إعلام كثيرة لتغطية الحدث وأثناء التوقيع جاء محمد المنوفي وقال لي في أذني مش هنقدر نوقع العقد لأن في خطأ في الحساب والسعر لازم يكون 22 مليونًا وطبعًا افتكرته بيهزر وسألني الحاضرون: في إيه يا حاج؟ فقلت لهم ما حدث فقام الجميع وقالوا ده كلام فارغ، وظللت أنا في مكاني ووضعت يدي على وجهي وفكرت لمدة دقيقة ثم رفعت يدي من على وجهي وسألت محمد: ده آخر كلام ولا لسه هتفكروا فقاللي: يعني إيه؟ فقلت له: يعني لو وافقت هتمضي ولا لسه هتتشاور مع إخواتك فقاللي: هامضي. فقلت له: أنا موافق فاندهش الحاضرون حتى إني سمعت أحدهم يقول ده أكيد إتجنن.

كنت على يقين من قراري أن انضمام مصنع زانوسي إلى قلعة السعد الصناعية كان هيبقى نقطة فارقة ولست متأكدًا من تاريخ إبرام الصفقة ولكنني أعتقد أنها كانت قبل شيفروليه والخليجي، وعلى أية حال فقد تمت وأنا قلت لكم إنني لن أستطيع التحكم في تواريخ الأحداث ولكن تفاصيل الأحداث ليس فيها حرف زائد ولا حرف ناقص، وبالفعل كل من عارضني في قراري اعترف في صباح اليوم التالي عندما كان إغلاق الخزينة يومها ثلاثة أضعاف ما تم دفعه في المصنع.

وعلى أية حال فقصة مصنع زانوسي كانت عنوان الخيانة الكبرى، ولكن ولله الحمد ربنا فضحهم على رؤوس الأشهاد.

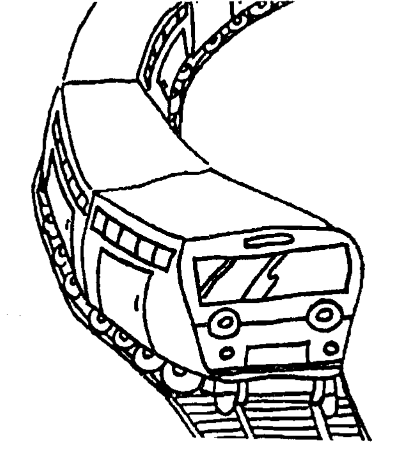
وأصبحت ثلاجة زانوسي هي الأولى في مصر بعدما تبنيت تمويل المصنع بكل ما يحتاج وأنفقت ملايين في الدعاية على المصنع وتمت توسعته وزيادة طاقته الإنتاجية.

وحتى لا أستنزف عقلي في ترتيب الأحداث فكعادتي سوف أمرُّ على كل حدث ضخم ولن أكترث بتاريخ حدوثه، فليس له أي تأثير على مجريات الأمور وعندما نواجه الأمواج الهائجة فسوف تستقيم تواريخ الأحداث من تلقاء نفسها.

وأذكر أن جهاز المدعي الاشتراكي وقتها كان هو بعبع جميع رجال الأعمال وطبعًا لم يكن منهم أحد غير مديون للبنوك وكل الأجهزة الرقابية تتبعهم، وكل يوم نقرأ في الصحف التحفظ على شركة كبيرة وأصحابها من قبل المدعي الاشتراكي، والحمد لله لم يكن عندي أي قلق من ناحيته، لأني أنا بنك ولست مضطرًا للاقتراض من البنوك، بل كانت هي التي تسعى للتعامل معي وكل منها يريد الفوز بإيداع جزء من أموال الشركة لديه، وليس معنى هذا أنني لم أكن أعيره أي انتباه يعني برضه ماكنتش بحب سيرته وكان قلبي ينقبض عندما تأتي سيرته مثلي كمثل أي مصري. وكثير من الأفلام والدراما تناولت المدعي الاشتراكي وكيف كانت الناس بتخاف من اسمه ويكفي لإساءة سمعة أي كيان تجاري أن يُنشر في الإعلام أنه دخل جهاز المدعي الاشتراكي حتى لو كان رايح زيارة.

وكان لي صديق حميم هو الدكتور ملاك عبد الرحمن صاحب شركة ملاكوالبيار العقارية، وكان يسكن في نفس الطابق الذي أسكن فيه في الزمالك، وكنا نتعامل مع بعض وكلمني في يوم وقالي: أنا عاوزك فقلت له: اتفضل. وجاء لمكتبي وقال: عايزك على انفراد. وأخبرني أن المستشار عبد القادر أحمد على المدعي الاشتراكي عايزني في مكتبه وبصراحة مش فاكر ساعتها حصل إيه إبقوا إسألوا ربيع الفراش هو اللي نضف المكتب بعد كده. فقلت له: في إيه يا ملاك فقالي: والله العظيم ما في شيء هو عايز يتعرف عليك ده بيحبك جدًّا فقلت له: إنت هتهرج؟ أنا مش عايزه يجبني قول بسرعة في إيه، فقالي: وحياة بناتي عايز يشوفك وحتى قالي خلي المقابلة بالليل عشان ماحدش يشوفك وإنت رايح ويفهم غلط. فقلت له: اسمع أنا مش قادر أتحرك من مكاني الله يحرقك إنت وهو يا تقول بصراحة يا تقوم تمشي، فحلف بالطلاق إنه ما يعرف هو عايزني ليه وإنه بلغه إنه عايز يشوفني ويتعرف عليًّا وقالي: إنت حر مش عايز تروح اعتبرني ماقلتش حاجة. وطبعًا إديتله من المنقي خيار وقلت له: يعني إيه مارحش ويعني أنا حر، الله يخرب بيت اليوم اللي عرفتك فيه. وكان ملاك بصراحة له علاقات قوية جدًّا وكان الشيخ الشعراوي دائم زيارته في البيت فقلت

له أنا هاكلم الشعراوي دلوقتي وأقوله اللي إنت قلته، فضحك وقاللي: يا عم ماتهرجش وخلاص أنا هاروح معاك وطبعًا قلت له إنت أهبل؟ وإنت فاكرني هاروح لوحدي كده المهم رحنا وكانت الساعة 10 بالليل. ووصلنا مكتب السكرتير وقعدنا نص ساعة ننتظر الدخول ومرت النص ساعة كأنها سنتين والله العظيم وبعدين كلم السكرتير وقاله خليهم يتفضلوا ودخلنا لقيته واقف عند الباب في استقبالنا وخدني بالحضن كأني أعرفه من ميت سنة وسلم على ملاك وقعدنا في الصالون وطلب شاي شربناه وإحنا بندردش في أي كلام. ولما خلصنا الشاي لقيت ملاك بيقول طيب يا فندم أنا هاستأذن فقاله اتفضل، وسابني معاه لوحدي، وقام المدعي وقاللي تعالى نقعد على المكتب وقعد وقعدت قصاده فقاللي: واحشني والله يا أشرف.



محطة (49)

يعلم الله أنني نفسي لا أعلم ما الذي يدفعني وبقوة للاستمرار في كتابة هذا التاريخ، ولقد اكتشفت فعلا أنه تاريخ وليس محطات، ولعل الدافع الذي بداخلي هو بقية ذرات خير كانت بداخلي يوما ما، وسأستخدم جملة أحمد زكى في فيلم «ضد الحكومة» حين قال فكلنا فاسدون، وأنا لا أتهم الناس والعياذ بالله ولكنني أقصد على الأقل 90٪ من المجتمع الذي كان حولي، ولكن ما يجعلني مرتاح الضمير قليلا أنني أعترف على الأقل لنفسي وكثيرا ما أقف أمام المرآة وأحاكم نفسي وما من مرة إلا وحكمت على نفسي بالإعدام شنقًا رغم أن نفسي كانت دائمًا تدافع عن نفسها بالأمانة التي تحلت بها، وأنها لم تنصب على أحد ولم تسرق مال أحد، فكنت أهزمها وأقول لها ألا تتذكري فلان البوذي الذي لا يؤمن بالله ألم يكن في منتهى الأمانة والصدق وكان يدعو إلى مكارم الأخلاق، فالأمانة فطرة فطر الله الخلق عليها من يعبدونه ومن كفروا به، ولا يشذ عنها إلا من كانت فطرته غير سوية.

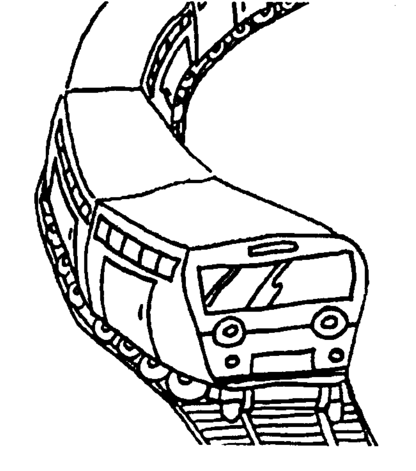
على أية حال فإن قصة المدعي العام الاشتراكي تعتبر من أخطر أحداث القرن العشرين. ودائمًا أقول عن كل حدث هكذا وأنا معي كل الحق فمن يتدبر الأحداث بعمق سيعرف أن كل حدث أكتبه هو تاريخ، أبى من أبى وشاء من شاء. وقبل أن أسترسل في قصة المدعي الاشتراكي السابق أود أن أعترف أمامكم وبكل شجاعة أنني قد استغللت هذه الواقعة أسوأ استغلال رغم أن كل حرف كتبته فيها وسأكتبه حصل بحذافيره، ولكن حجم الكرْه والحقد الذي كان في قلبي جعلني أستخدمها كمظلومية وسأشرح كيف كان ذلك قبل أن أنتقل إلى محطة غيرها. ولعل من يدقق في كلامي الآن فهم لماذا أنا كتبت هذه المقدمة فهي مرتبطة جدًّا بما يحدث الآن. ودعونا ننتقل إلى الحدث ثم نعود إلى عقلي الباطن ونُخرج ما به

بعدما تركني ملاك مع المدعي العام وخرج وجلسنا على مكتبه ورحب بي وبدأ يُثني عليّ ثناءً كبيرًا وأنا لا أنطق ببنت شفة، وقال لي: تعرف يا حاج أشرف أنا باقول لابني هاني إن عمك أشرف ده هو طلعت حرب التاني، وإن هذا الرجل سوف يغير وجه التاريخ الاقتصادي بمصر. وأنا أقسم بالله شبه مشلول اللسان ودماغي مفرمة ولكنني سيطرت عليها حتى أسمع ما يقوله خوفًا أن يسألني فيما قال فلا أستطيع الإجابة، ولكن كنت أفكر في كل السيناريوهات وفوجئت بعد أكثر من نصف ساعة إطراء ومدح في شخصي فوجئت إنه بيقول وعلى فكرة الواد الريان ده واد نصاب وأنا هاتحفظ عليه، فقلت آدي أول تهديد وأكيد ده كان بيسخر مني. واستمر في المدح في شخصي وقال بس للأسف يا أشرف أعداءك كتير ومرة يقوللي يا أشرف ومرة يا حاج، طبعًا أنا لم أكن مهتمًا إنشالله يقوللي يابن الكلب بس المهم أقوم أروح بيتنا ومايكنش دي نهايتي.

المهم لقيته زعلان عشاني جدًّا وقاللي إنت لازم تخلي بالك من نفسك لأن اللي بيكرهوك كتير وأنا بهز رأسي بهدوء شديد وسايب تمامًا من تحت.

ولقيته مسك في إيده لفة ورق وقاللي دي كلها شكاوى مقدمة فيك، وأنا تأكدت أنها كيدية وحفظتها فلقيت نفسي قمت أقبل رأسه، وهو قاللي: أستغفر الله يا حاج ده إنت زي أخويا وطبعًا هو وقتها أكبر من أبويا.

المهم أنا لم أفتح فمي بكلمة واحدة طيلة الجلسة، وطبعًا كنت على يقين تام وإيمان كإيماني بالموت والجنة والنار أن السبب الذي أتيت من أجله لم يفصح عنه حتى الآن. والغريبة أنه قاللي أنا عارف إني سهرتك ولازم هيكون لينا لقاء آخر ولو عايز تتفضل اتفضل فقمت قبلته واحتضنته واتجهت نحو الباب وأنا على يقين أنه سينادي عليًّا زي أفلام الأبيض والأسود، وأقسمت لنفسي في ثواني إن أنا جاي لشأن آخر لم يقله ولن يتركني أخرج من الباب قبل أن يقوله وراهنت نفسي ووصلت باب خروج غرفة مكتبه وإذا بصوته يرن في أذني ويقول بقولك يا عم الحاج وفي ثانية قلت لنفسي الآن سأعرف لماذا أتيت إلى هنا وفرحت بذكائي جدااااااا وده العادي بتاعي طبعًا.



محطة (50)

شوفوا بقى أنا عمال ألف وأدور عشان أوصل لحاجة في عقلي الباطن ومش عارف لحد دلوقتي أطلعها، ويمكن معظم المصريين كانوا ضحية كتمان شهادة الحق وحتى أصل للمراد والغاية عايز اللي يقرأ محطاتي يتدبر في العامل المشترك في كل المحطات، وخاصة ما حدث في مجلس الوزراء، وما حدث مع كمال حسن علي، وما سيحدث مع المدعي الاشتراكي، وما سيحدث في المحطات القادمة مع أساطين المال والسياسة في مصر والتدقيق في كل كلمة وأنا أعاهد الله ألا أكتم شيئًا حتى لو كان يمسني أنا شخصيًا ولن أكون مثل الحمار يحمل أسفارًا.

المهم عندما ناداني معالي المدعي وأنا أفتح باب مكتبه لأخرج علمت أنني سأسمع السبب الذي من أجله استدعاني، والحقيقة كنت فاتح كل الاحتمالات ومتوقع أي شيء إلا ما حدث.

والله وحده هو الشاهد على كل حرف أكتبه، أما الحدث نفسه فهو مؤيد بمستندات كغيره من الأحداث.

المهم التفتُّ إلى المدعي وقلت له أؤمر يا فندم، ونظرت إلى وجهه فوجدت وجهًا آخر وجدت وجه طفل فقد أمه وأصابه الرعب والذعر وهو يبحث عنها.

والحقيقة هو كان راجل جميل الخلقة وكان في داخله فعلًا طفل ومش عايز أتفرع وأشطح عن صلب الموضوع فقلت له: أؤمر يا فندم. فقال لي وكأنه يتوسل:

إنت فاضي بكرة؟ فقلت له: يا فندم أكيد فاضي وابتسمت. فقالّلي: لا والله لو وراك حاجة مش مهم. فقلت: يا فندم أنا فاضي وملكك ما هو أنا في كل الحالات أي مصيبة هتحصل هاجيلك، فطالما أنا معاك فخلاص مافيش خوف. فضحك وقالّلي: طيب أنا عازمك على الغدا بكرة في العزبة بتاعتي في ههيا في الشرقية، بس يا ريت تيجي لوحدك ويا ريت ماحدش يعرف.

وأقسم بالله ساعتها عرفت إني رايح أشتري العزبة دي ولكن السيناريو الذي حدث لم يخطر ببالي ولن يخطر ببالكم ولن يخطر ببال حتى من قرأ القصة من قبل، لأنها كانت حديث الصحف وقتها، ولكنني عاهدتك أن أبوح بما لم أَبُح به من قبل وأسأل الله أن يكون خالصًا لوجهه.

أخدت طبعًا العنوان منه وخرجت وأنا مش عارف أفرح ولا أحزن ولا أخاف ولا أشعر بحصانة ولم أخبر أحدًا حتى ملاك، رغم أني كنت واثقًا أنه يعلم تمامًا سبب الزيارة وركبت سيارتي وأنا اللي سوقتها إلى ههيا وكان معايا دفتر الشيكات في جيبي ووصلت المزرعة بسهولة وكان في وسطها منزل قريب إلى القصر، وكان أبيض وكان مشتهرًا في الشرقية بالبيت الأبيض، ووصلت وفُتحت الأبواب لاستقبالي وكان هو شخصيًّا في استقبالي مع السيدة حرمه وواضح أنه من أسرة عريقة فقد كانت تتصرف في قمة الرقي وكانت وليمة لا أنساها أبدًا على مائدة المدعي الاشتراكي.

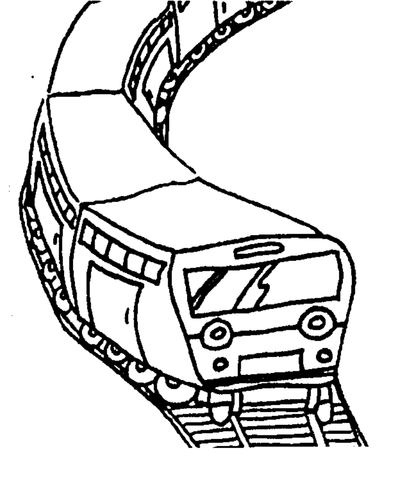
وبعد الغداء دق جرس الهاتف ومراته أشارت له فقام يجري وغاب ربع ساعة ورجع وقالّلي ده الرئيس مبارك كان على التليفون، كان بيسألني على محيي ترك، ومحيي ترك ده يبقى حما حسني رضا صديقي وذراعي اليمنى، وقد حكيت كيفية تعرفي به في مكتب الريان وكيف عرفني بوليد أبوغزالة. ومحيي ترك هو أكبر وأقدم صاحب مصانع ترك للرخام بقليوب، وكان يعمل عنده المشير الجمسي بعد أن ترك الخدمة، وكان الرئيس مبارك مستاءً جدًّا من عمله لدى محيي ترك، ولكن ظروف المشير الجمسي وطهارة يده

ونزاهته جعلته يضطر للعمل كمعظم قيادات جيش مصر الأطهار والذين ظُلموا كثيرًا بسبب أخطاء قلة. عمومًا أنا بنفسي حضرت مكالمة بين مبارك والجمسي ومبارك يترجاه أن يجلس في بيته. وعمومًا ليس موضوعنا الآن فقد كان المدعي الاشتراكي متحفظًا وقتها على أموال محيي ترك لعدم سداده قرضًا لبنك مصر وكانت قضية شهيرة جدًا وقتها.

ويشاء الله عز وجل أن يتصل مبارك بالمدعي الاشتراكي ويستفسر عن وضع محيي ترك وهل تورط الجمسي في توقيع أو خلافه، وطبعًا لم يحدث أبدًا أن وقع الجمسي على ورقة ولكن تحفظ المدعي الاشتراكي على محيي ترك وكثير غيره من الشركات بسبب تعثرهم في سداد ديون البنوك هو الذي كان المصيبة الكبرى بالنسبة لي، والذي جعلني أُعيد الآن كتابة التاريخ بكل صدق وشفافية، ولأول مرة ستسمعون هذا الكلام لأن ما حدث من المدعي بعد اتصال مبارك به كان مفاجأة بالنسبة لي لن أنساها ما حييت، ولا يجوز لأي مصري أن ينساه ولا يجوز أن يمر مرَّ الكرام، بل يجب قراءته مرة ومرة وبتدبر، فالمشهد لو قدر الله أن يصور في فيلم فسيكون المشهد الرئيسي.



حفلة عشاء لبعض الشخصيات الهامة في الدولة



محطة

(51)

أقر وأعترف أنا أشرف السعد أنني كنت نذلًا واستخدمت ضعف إنسان وثق فيَّا حتى أضع سكينة على رقبة من ظلموني، رغم أنه لم يسئ لي، ولكن حجم الظلم الذي تعرضت له جعلني أحارب من ظلموني بجميع الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ونسيت قول الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 38].

وأسأل الله أن يكون باعترافي أكون قد أعطيت الرجل شيئًا من حقه وأرجو ألا تتسرعوا في الحكم قبل إتمام القصة فلا يزال بها خبايا كثيرة.

انتهت مكالمة مبارك ولم أعلم تفاصيلها ولكن شعرت أن الرجل لا يستطيع الوقوف على قدميه، حتى ظننت أن به مرضًا أو سحرًا جاء فجأة وطلب مني أن ندخل غرفة مكتبه في قصره، ودخلنا وجلسنا وذرفت الدموع من عينه، وحين يبكي الرجل يتوقف العقل تمامًا وتأثرت جدًّا وقلت له: مالك يا فندم أرجوك أنا أعصابي تعبت. فقال: اجلس هاحكيلك. أنت تعرف طبعًا مدى حساسية مركزي فقلت: طبعًا: فقال لي: أنا تاريخي كله معرض للانهيار، بل معرض أن يدخل ابني الكبير السجن، وبدأت أرتجف من القادم ولم يخطر ببالي ما سيقول وتخيلت أنه قتل رجلًا آخر بس قلت وأنا دخلي إيه، وركزت في كلامه فقال لي: هذه المزرعة ورثت أرضها أبًا عن جد وهي أقوى أراضي ههيا الزراعية، وللأسف أقنعني ابني أن نبني عليها مزرعة الدواجن التي أمامك على أحدث نظام عالمي، وهي تنتج أربعين مليون بيضة سنويًّا ولكن ابني اقترض من البنك

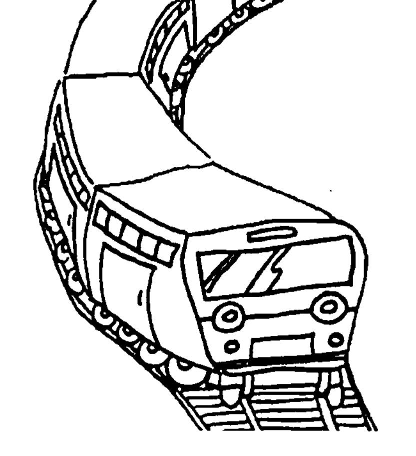
مبلغ ستة ملايين جنيه وبدأ البنك يحسب الفوائد من أول يوم وحملت المزرعة بالدين ولم يستطع ابني دفع القسط الأول ولا الثاني، وواضح أنه لن يستطيع وطبعًا كانت نفس مشكلة كل رجال الأعمال الذين أتوا لأنقذهم من المُدعي الاشتراكي، أما الآن فأمامي المدعي نفسه يريد أن أنقذه، وأخبرني أن الرئيس مبارك لو عرف هو اللي هيحولنا للتحقيق بنفسه إنت ماتعرفوش يا أشرف ده مابيرحمش والبنك بدأ في اتخاذ الإجراءات القانونية فعلًا ضد ابني وكان يتكلم والدموع في عينه وأنا أفكر في رجال الأعمال الذين ترتعد فرائصهم من هذا الرجل، ماذا لو علموا أنه يواجه نفس مشكلتهم وقبل أن أتناقش معه أخرجت دفتر الشيكات وقلت له: أكتب الرقم اللي إنت عايزه فأنا اشتريت وكاد يقبل يدي فباغته أنا وقبلت يده، وبدأت أغالي في احترامي له حتى لا أشعره بانكسار فقال لي: لازم نتفق وتوافق فأقسمت أني لن أراجعه في كلمة فقال: عشرة ملايين. فقلت: موافق. فقال: ملاك قاللي إنك راجل صح وشهم وصدق.

وبعد أن هدأ روعه سألته معقول حضرتك اللي بتحاكم المقترضين من البنوك وعجزوا عن السداد تقع في نفس المشكلة، ولعلم سيادتك أنا أنقذت كثيرًا من رجال الأعمال الفترة السابقة من الوقوع بين يديك فقاللي ملاك أخبرني وعشان كده أنا توسمت فيك الخير، وأقسم لي بالله أن المزرعة تساوي أكثر من كده ولكنه فرحان أني أنا اللي اشتريتها وطلب مني إني بلاش أجيب فريد الديب يكتب العقد واقترح خالد حسونة لأنه رئيس محكمة سابق وسيحفظ السر ولن يفضحه. وتناقشنا في كيفية أنه بيتحفظ على المتعثرين وهو ذاق من نفس الكأس، فقال لولا إنت كنت هاحصلهم فالقانون هنا أعمى وأنا طالبت بتعديله كثيرًا ودى قصة نتكلم فيها بعدين، بس الآن يا ريت تكلم خالد حسونة ييجي يكتب العقد فقلت له الشيك معاك سدد القرض وبعدين نكتب العقد. فقاللي: إنت مش خايف؟ فقلت له: أهي دي أول غلطة لمعاليك من ساعة ما قابلتك وآسف على اللفظ إني قلت أول غلطة، فأنا معاليك اسمى أشرف السعد وعمري لم يصل للثلاثين والدنيا مرمطتني وأنا كتبت لسيادتك شيك من حسابي باسم البنك هاصرفه وهذا أقوى

من أي عقد فأنا أعرف ماذا أفعل فقاللي: هاتعمل إيه لو أنكرنا. قلت: هاخد إيصال من البنك وأطلع على رئيس الدولة وأقوله إسأل المدعي خد الفلوس دي ليه. وساعتها مش هتبقى قرض هتبقى رشوة فقاللي: أقسم بالله أنا لما قلت إنك طلعت حرب لم أقلها من فراغ، لأني جبت دوسيهك بالكامل عندي وتعانقنا وتركته ومشيت وكلمت خالد حسونة وروحت بيتنا وأنا دماغي زي المفرمة هو اللي بيحصل فيكى يا مصر عندما تحتك بالمسؤولين تجدهم أضعف من الذبابة، وكلهم حريصون ألا يعرف مبارك أي خطأ عنهم، وعندما تحتك بالناس يتكلمون عنهم كأنهم مافيا فأين الخلل وظلت دماغي رايحة جاية وصورته وهو يبكي لا تفارقني وكل مافتكرها أبقه عايز أرجع أبوسه وأمشي.

المهم وصلت البيت لقيت زوجتي بتقوللي: كلم المدعي حالًا في العزبة اتصل بيك وأعتقد وقتها لم أكن قد حصلت على الموبايل.

المهم اتصلت به فوجدته منهارًا وقاللي: الرئيس عرف، فأقسمت له أني لم أتلفظ بكلمة فقال عارف والله عارف.



محطة (52)

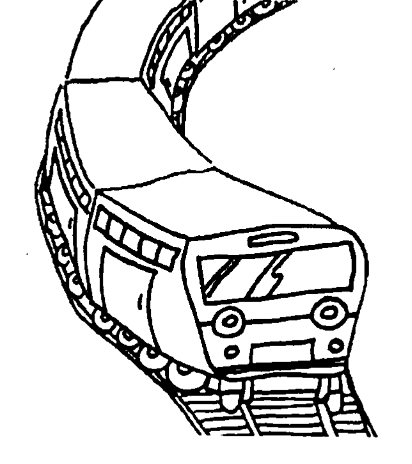
ناس كتير بتسأل إذا كان المسؤولون في مصر يخافون من الرئيس مبارك فأين الخلل إذا، ولماذا كان كل هذا الفساد الذي جعل الشعب بأكمله محتقنًا وأصبح كحقل بترول ملتهب ينتظر فقط من يُشعل فيه عود كبريت ليُخرج ما بداخله من لهب يأكل الأخضر واليابس. ورغم أن الإجابة عندي وأنا مقتنع بها تمامًا إلا أنني لا أريد أن أفرض قناعاتي على القارئ، وأُفضل أن أسرد الأحداث كما وقعت وأترك كل واحد يحلل الحدث كما يراه هو، وفي النهاية بل من الأكيد أنني سأكتب رؤيتي وتقييمي لنتائج الأحداث دون فرضها على الآخرين، فمن الأكيد والذي لا ريب فيه أن المصري الذي طحنته عواقب العشوائية وقصمت ظهره وجعلته يشعر بأن حياة الغابات أفضل من الحياة التي يحياها، ووجود الثروة في يد قلة قليلة لا يجدون مصارف لإنفاقها ويموتون من تخمة المال وهو يموت من شدة العجز والعوز والقهر أمام أبنائه وهو يشعر أمامهم بالعجز ويتمنى أن أمه لم تكن ولدته فأكيد رؤيته للأحداث ستختلف عن رؤيتي، رغم أنني أشعر بالظلم والقهر ولكنني ومن الأكيد لم أتعرض لما تعرض له هو ولذلك أنا أعذر معظم عوام الشعب الذين يشعرون بالسخرية من كلامي عندما يفهم أحدهم أنني أريد تبرئة النظام السابق مما حدث لهم وهذا ليس صحيحًا ولكنني أرفض وبشدة أن أضع نفسي رغم كل ما ألمّ بي أرفض أن أضع نفسي في مقارنة معهم، فأنا ومما لا شك فيه بنيت إمبراطورية بكل ما تحمل الكلمة من معنى في ظل هذا النظام وأرى من العدل أن أسرد السلبيات والإيجابيات، فأنا إلى الآن ما زلت أعيش على ما تبقى

لي من مال اكتسبته في ظل هذا النظام وقد يكون في نظري قليلًا مقارنة لما كان عندي، ولكنه من الأكيد حلم لمعظم شباب مصر المطحون بل جزء منه قد يكون أملًا للملايين المصريين المطحونين، ولذلك أنا رفضت تمامًا أن يكون المعارض الذي يعارض النظام وهو على شاشات التلفزيون ويعيش في قصور ويملك الملايين وكلها جمعها في ظل نظام مبارك سواء حلال أم حرام، لكن في النهاية كانت في ظل نظامه فليس من العدل أن يقف في نفس الخندق الذي يقف فيه رجل فقد كل معاني الإنسانية وكان مستعدًّا لعمل أي شيء حتى يجد قوت يومه، فلا يجوز أبدًا أن أساوي نفسي برجل عاش في العشوائيات وأصابته كل كوارث الحياة من أمراض وفقر وأعتذر أن أقول ذُل أيضًا فليس من العدل أبدًا أن يكون البرادعي والسعد وصباحي ونور وغيرهم مثل باقي ملايين الشعب المطحون بسبب الغباء والعشوائية والحقد والكره. وسوف أتكلم بتفصيل أكثر كلما سمح لي ذهني بذلك، فأنا أكتب بمنتهى التلقائية ولم أعد في يوم سطرًا مما أكتبه ولا أكتب إلا عندما أشعر أنني أريد أن أكتب. والآن أعود لما توقفت عنده أخبرني المدعي أن الرئيس قد علم أو أن الخبر تسرب للصحافة وكان يؤكد لي أنه على يقين أنني لست أنا الذي سربت الخبر بل علم أن الخبر تسرب من مكتبه، فقلت له: أنا تحت أمر حضرتك واللي إنت شايفه في مصلحتك إعمله فأنا اشتريت المزرعة لإنقاذك ولم يكن لي أي رغبة في شرائها بدليل أنني لم أكن أعلم عنها شيئًا إلا أمس ولم أكن أعرف إن حضرتك بتبيعها وحتى لو علمت ماكنتش هاتجرأ وأجيلك. فقاللي: أنا عارف وأنا باشكرك وأنا هادي الشيك للمحامي ونؤجل الأمر أو ربما نلغيه. وأنهينا المكالمة ولست أدري لماذا سجدت شكرًا لله ومرت الأيام وقرأت في الصحف أنه تم تعيين مدعي عام جديد وأن المستشار عبد القادر أحمد قد خرج للمعاش وطبعًا أنا كنت من القلائل في مصر الذين يعرفون السبب، وكنت قد اشتريت مزرعة ضخمة في النوبارية كانت وقتها أكبر وأضخم مزرعة من نوعها في مصر وأنا لا أبالغ في ذلك فهي كانت عبارة عن قرية أو مدينة صغيرة يعمل بها أكثر من 600 شخص عمال وفلاحين ومهندسين وخلافه

وكان بها مسجد ضخم يسع لأكثر من 500 فرد وبها مزرعة أخرى لإنتاج البيض طاقتها الإنتاجية مائة مليون بيضة سنويًا، وكان يديرها المهندس شوقي عمارة، وكان بوسطها قصر مبني على مساحة أربعين فدانًا مزروعة مانجة عويس، وطول المزرعة ستة كيلومترات وعرضها إتنين كيلومتر. وكانت محاطة بمئات آلاف النخل وإذا دخلتها تذكرت سورة الكهف فورًا وكانت هذه المزرعة لها قصة غاية الغرابة فقد كانت ملك رجل فلسطيني اسمه طالب مشتهي، وكانت عبارة عن ثلاثة آلاف فدان على ما أذكر اشترى ألفين منها المهندس طلعت مصطفى والد هشام اللي في السجن، واشتريت أنا الباقي وكانت في النوبارية وكان مالكها يحاول مقابلتي لمدة سنة كاملة ليعرضها عليًا لشرائها (وأنا لا أشتتكم فقد انتهت قصة المدعي عبد القادر أحمد علي داخل هذه المزرعة) المهم كان الوسيط في هذه الصفقة صديقًا لي من أنبل وأشرف الرجال الذين قابلتهم في حياتي، وله أفضال كثيرة عليًا وكان تاجر سيارات أبًا عن جد وطلب مني الذهاب لرؤية هذه المزرعة عدة مرات ولكن كانت شركة السعد قد بدأت في الصعود السريع، وفعلًا كنت لا أجد وقتًا حتى للذهاب لبيتي وألح عليًا الشيخ إبراهيم كثيرًا ولكن لم أكن أتخيل أن المزرعة هكذا.

وفي يوم كنت واقفًا في إشارة بسيارتي وتصادف وجود مالك المزرعة في السيارة التي بجانبي وأشار إليًا فتوقفت بعد الإشارة ونزل وقالي: يا عم الحاج ليه كده؟ فقلت: خير يا عم الحاج. فقالي: ليه تنظر لنا على أننا صغار بجانبك يعني أعمل إيه عشان أدعوك لزيارة مزرعتى وأقسم لي إنه خلاص مش عايز يبيعها ولكن زيارتي كانت هتفرق عنده كتير، فأثر فيَّ كلامه وقلت له: أنا مستعد آجي معاك حالًا وفعلًا اتجهنا نحو المزرعة ووصلنا البوابة الرئيسية، وافتكرت إن دي بوابة مدينة النوبارية وليست بوابة المزرعة وكان المسجد في مدخلها وشاهدت منظرًا أقسم بالله لم أشاهده ولا حتى في أحلامي فقلت له: إيه ده؟ فقالي: دي المزرعة، فمشينا بين حدائق العنب ويحفنا النخل والأشجار والطرق التي داخلها كطرق سويسرا ممهدة بالأسفلت وقطعنا حوالي كيلو

ونصف ولم أستطع أن أرى نهاية المزرعة فتوقفت ونزلت من سيارتي وقلت له: إنت فعلا بتبيع المزرعة دي ولا جايبني تنتقم مني، فضحك من قلبه وقاللي: إنت شرفت يا حاج بس يظهر إنك ماسمعتش عن طالب مشتهي من قبل، ولعلمك لولا إن قانونًا صدر بعدم تملك الفلسطينيين أراضي حكومية في مصر ماكنت فرطت فيها ولا بكنوز الأرض، فقلت له: خلص وماتدنيش درس يلا إنت عارض هذه المزرعة للبيع فقال: نعم. فقلت له: أنا اشتريت بس بشرط واحد فقال: إيه هو؟ قلت له: أستلمها النهارده وأنام فيها النهارده، فقاللي: طب مش تعرف السعر. فقلت له: يظهر إنت اللي ماسمعتش عن أشرف السعد وطلعت دفتر شيكاتي وقلت له: اكتب السعر ولو فاصلتك أبقى.....



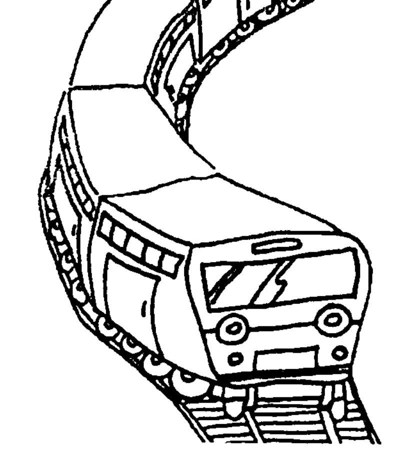
محطة (53)

كتب الحاج طالب 22 مليون جنيه وأنا وقعت على الشيك وطبعًا كنت اتصلت بالمحامين وكبار الموظفين بالشركة وأبقيت على مديرين المزرعة كما هم لأني تأكدت أن صاحب المزرعة دي مستحيل يحط فيها حد غير ذي خبرة عالية. وبعد أن كتبنا العقود واستلم الحاج طالب المبلغ فاجأني أمام الجميع قبل أن يترك المزرعة وقال لي: يا أشرف أنا بصراحة كتبت 22 مليونًا وأنا شاكك إنك مش هتفاصل ولكن أنا كنت ناوي أبيعها بـ 21 مليونًا وطلع شيك بمليون جنيه أعطاه لي. وكانت لفتة لطيفة جدًّا منه وأصبحت مزارع السعد من المشروعات التي تفتخر بملكيتها شركات السعد وكنت أقضي بها أوقاتًا كثيرة وأعقد بها كثيرًا من الصفقات.

وفي يوم أخبروني أن المستشار عبد القادر أحمد علي أمام البوابة يريد مقابلتي فذهبت واستقبلته استقبالًا يليق به حتى وهو على المعاش ولم أُشعره أن طلوعه عالمعاش له أثر في التعامل، وطبعًا كنت كداب لأن فرق شاسع إنك تقعد مع مدعي اشتراكي حالي ومدعي سابق. المهم طلب مني شراء مزرعته لأن الأمر قد تعقد جدًّا وأصبح القبض على ابنه واقعًا لا محالة إن لم يتم سداد القرض، وطبعًا هو شاف بعينه المزرعة اللي اشتريتها فلو كانت مزرعته بعشرة ملايين يبقى دي لازم تكون بمليار، وطبعًا ده السبب الرئيسي اللي خلاني وقعت على 22 مليونًا، وأنا أعلم أني أنا الرابح وأقسم بالله لو كتب الحاج طالب 50 مليونًا كنت هاوافق. وطبعًا قمت بعمل مقارنة سريعة بين مزرعة المدعي وبين هذه المزرعة، والفارق أن مزرعة المدعي كانت في وسط مدينة ههيا وتعتبر أقرب إلى أرض مباني منها لأرض زراعية.

المهم عرف المدعي ثمن المزرعة وقاللي: طيب أنا هاوفر عليك الوقت أنا هابيعلك المزرعة مقابل القرض اللي عليها فقلت له: خلاص مبروك أنا اشتريت، وخرج من عندي بعد أن وقعنا العقد ودفعت الثمن وهو يبكي كالطفل من الفرحة وأكيد سنعود لكثير من المحطات بالتفصيل عندما أحكي تفاصيل التحفظ على شركة السعد.

وكانت قصصًا أغرب من الخيال ولعلني الآن أجد نفسي مضطرًّا للقفز إلى الأمام، فقصة زانوسي تصارع عقلي وتطلب مني أن أختمها الآن أو على الأقل ألا أمر عليها كما مررت. فقد أصبحت ثلاجة زانوسي الثلاجة الأولى في مصر وأذكر أول زيارة للرئيس مبارك لي كانت في المعرض الدولي بأرض المعارض، وكنت أعرض فيه ثلاث منتجات لثلاثة مصانع تملكها شركة السعد وكانت منها زانوسي ومصانع الترا السعد للمصاعد الكهربائية، وكنت أنا أقف في معرض زانوسي وكان زوج خالتي مدير أمن القاهرة موجودًا في المعرض لتأمين زيارة الرئيس وطبعًا المسؤول الأول عن تأمين الرئيس هو الحرس الجمهوري، ولكن زوج خالتي كان معاه جدول زيارة الرئيس وأخبرني أن شركة السعد ليست من ضمن الأماكن التي سيزورها الرئيس. ومع ذلك ظللت في مكاني وكنت أشعر أنني سأقابله لا محالة، ورأيت الرئيس على بعد 200 متر يمر وخلفه حشود من الحرس ومن رجال الأعمال العارضين في المعرض ولمحت عينه وهي تنظر إلى المكان الذي أقف فيه، وتأكدت أنه رآني وكم تمنيت أن أقفز لأجبره على زيارتي ومرت عشرون ثانية وأنا أنظر إلى موكبه يمر من أمامي وكل رجال الأعمال تلهث خلفه، وأنا الوحيد اللي محدش دعانى عشان أمشي معاه ولا أستطيع أن أصف مشاعري وقتها ولن يستطيع حتى المتنبي أن يصفها وشعرت بالحزن الشديد، وشعرت فعلًا أنني ولأول مرة أحتقر نفسي بهذه الطريقة فهذا جزاء من يطلب العزة من غير الله، وكل هذه الأحاسيس لم تأخذ ثواني ولم يقطع تفكيري إلا صوت ينادي ويقول يااااااااااااااااااااااااا أشرف يااااااااااااااااا أشرف، رفعت عيني فوجدته الرئيس حسني مبارك يتجه نحوي وهو يهرول كأنه في السعي بين الصفا والمروة، وكأنه لم يتحقق من شخصيتي إلا بعد نصف دقيقة عندما نظر إليَّ ومشى وأقسم بالله كدت أسقط على الأرض وهو متجه نحوي وينادي ااااااااااااااااشراااااااااااااااااااااا ااااااااااااف زي عبد الحليم كده في الأفلام.



محطة (54)

ناس كتير كانت تتمنى فقط أن تصافح حلاق الرئيس ولم يحلموا أبدًا أن يروه في المنام، وكان بالنسبة لهم ربًّا، وبعد أن سقط من على فرسه أصبحوا أبطالًا وكل منهم يدعي كذبًا وزورًا أنه كان يرفض لقاء الرئيس، ولم يستطع أحد منهم أبدًا في ظل وجوده أن يتلفظ بكلمة ضده حتى في الخيال، أما العبد لله فلله الحمد لم أفعل ذلك رغم أنني في أوج قوته وسلطانه انتقدته وبعنف وحتى وأنا داخل مصر ولي فيديو كان في 2009 يشهد على كلامي.

ولكنني لم ولن أدعي بطولة كاذبة خاطئة وأقول إنني كنت أتعامل معه أنه رجل عادي ولم أتمنَّ أبدًا أن أصافحه، بل يعلم الله أن أقصى أمنية عندي كانت مصافحته وعندما سمعت اسمي يخرج من فمه وبصوت عالٍ شعرت بشعور لم أشعره من قبل.

واقترب الرئيس جدًّا مني وأصبح الفاصل بيني وبينه أقل من مترين وجميع من في المعرض واقف متسمر بين متعجب وحاسد ومندهش، وكان أكثر الفرحين طبعًا زوج خالتي اللواء ممدوح برعي مدير أمن القاهرة، وعندما أصبح بيني وبين الرئيس خطوة رفع صوته وقالي: إيه اللي إنت عامله ده يا أشرف؟ ولم أكن أعرف عما يتكلم ومد يده ليصافحني فقلت له: لالالالالالالالالا ورب الكعبة أقل من حضن ما أقبل، فضحك ضحكة خطفت قلبي وقالي: أحضن يا عم، واحتضنته وشعرت بدفء عجيب وأنا أحتضنه، وقلت له: الله يسترك بالراحة شوية عشان أنا مش مجمع ومش

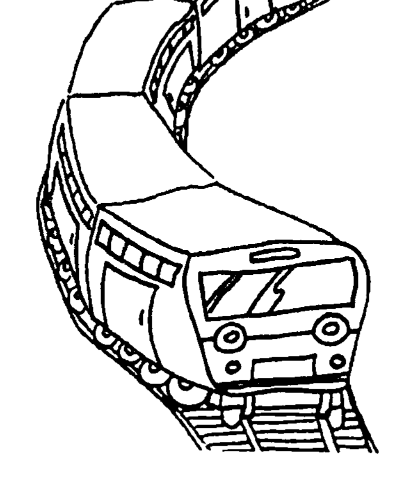
مصدق إني واقف معاك فابتسم وكأنه يقول لي يا بكاش فالتقطتها من عقله الباطن، وقلت له: لو حضرتك عايز تصدق صدق ولو مش عايز خلاص، بس أنا فعلًا مش متخيل. فقاللي: قولي الأول إيه اللي إنت عامله ده في طريق مصر الإسماعيلية إنت صحيح عايز تقفل شركة النصر؟ فعرفت إنه بيتكلم عن مخزن السيارات اللي حكيت قصته في محطة وليد أبوغزالة. فقلت له: يا فندم أنا ركبت المصريين عربيات بميت جنيه في الشهر. والعجيبة إن الدكتور عاطف صدقى رد وقاله ده صحيح يا فندم أشرف بيبيع السيارات للموظفين بسعر لم يحدث في مصر من قبل، فوجدت فرحة عارمة على وجه الرئيس وباغتني سائلًا: بس إيه حكاية المزرعة بتاعة طالب مشتهى دي إنت اشتريتها منه إزاي وبجد إنت بتدرب فيها إرهابيين؟ فلقيت نفسي هاقع عالأرض من الضحك وقلت له إرهابيييييين؟

ده أنا بخاف من الجوافة يا ريس. وأصبح الحوار كأننا جالسين على قهوة الفيشاوى ضحكة مني وضحكة من الرئيس. وأقسم بالله ساعتها حسيت إما هابقى رئيس مصر أو هاتشحور في أسفل السافلين، فكنت أرى وجوه جميع رجال الأعمال المشهورين وكأنها تشتعل نارًا من الغيظ.

ولقيت نفسي فجأة تغير لهجتى في الكلام وقلت في منتهى الجدية: اسمع يا ريس أنا هاقولك حاجة صدقها أو اتركها.

أقسم بمن رفع السموات بغير عمد أنني على استعداد أن أفتديك بحياتي وشعرت أنه صدقني جداا.

ورجعنا للضحك فقاللي: طب إنت ليه مابتزرعش قمح؟ فقلت له: ياريس إديني أرض وأنا مش هازرعها غير قمح. فقاللي: عايز كام فدان فقلت له: اللي يطلع من ذمتك، فقاللي: هو إحنا بنبيع قوطة، وقلبناها ضحك وجلسنا نتحاور أكثر من ساعة كانت أحلى أوقات حياتي.



محطة (55)

كانت الأربعون دقيقة التي وقفتها معي الرئيس مبارك دقائق تاريخية في حياتي بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فما أجمل أن تقف مع حاكم وتشعر أنك تقف مع صديق لك تحاوره بكل إرياحية وتشعر فيه بتواضع وبساطة لا يعرفها عنه معظم الشعب المصري وكما قلت ليس هذا تبييضًا لتاريخ الرجل ولكن أنا أحكي ما حدث بالحرف وكيف كان إحساسي بكل شفافية ووضوح ولا أخشى من لوم اللائمين فهي الحقيقة شاء من شاء وأبى من أبى، رغم أنني أتى عليَّ اليوم الذي كنت أتمنى فيه أن أرى النظام بأكمله في قفص الاتهام وأنا هنا لا أتبع كلام الله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: 8] ولكن هي الحقيقة بكل صدق ولذلك عندما رأيته في القفص اهتزت كل مشاعري وانقلبت رأسًا على عقب وتمنيت أن أفتديه بكل حياتي رغم ما حدث لي في عهده .

وأعود إلى الحدث فعندما قال لي عايز كام فدان وأجبته التفت إليَّ الدكتور يوسف والي وقاله: إدّى لأشرف الأرض اللي عايزها عشان يزرعها قمح، وخلينا نشوف هيعمل إيه، والتفت إليَّ وقال: إنت عارض إيه هنا تاني؟ فقلت له: مصنع المصاعد فقال: تعالى فرجني وكان يبعد عن مصنع الثلاجات عدة أمتار وحط إيده في دراعي ومشينا.

وأقسم بالله أنا قلت الراجل إما ضارب نفسين أو أنا اللي مسطول، وكان الرئيس له طبيب خاص اسمه الدكتور حسن زاهد صاحب مستشفى القاهرة التخصصي،

وكنت قد تعرفت عليه عن طريق ابنه طارق زاهد وكان الدكتور حسن متزوجًا من شقيقة زوجة اللواء جمال عبد العزيز سكرتير الرئيس وأقرب الناس له. وكان الدكتور حسن معه شركاء في المستشفى يسببون له كثيرًا من القلق فعرض على طارق أن أقابل والده وفعلًا تقابلنا وأصبح والده من أقرب الناس لي وعرض عليَّ شراء نصيب شركائه في المستشفى وكان يبلغ 50٪ فوافقت فورًا، واشتريت المستشفى على مرحلتين، ففي المرحلة الثانية قمنا بافتتاح ملحق بالمستشفى امتلكت فيه أنا 80٪ فأصبحت أنا المهيمن على كل شيء، ولكن تركت الإدارة بالكامل للدكتور حسن ولم يشعر في يوم أن معه شريكًا، بل بالعكس لم يشعر أنه مالك المستشفى إلا بعد أن شاركته.

المهم كنت أنا والرئيس متجهين لمصنع المصاعد الكهربائية ويدي في يده زي الخطيب وخطيبته، وسألني وهو يضحك وقالي: قول الحق إنت اشتريت المستشفى عشان علاقتي بحسن زاهد صح؟ فقلت له: وربنا صح فمات من الضحك. وقالي: إنت صريح قوي. فقلت له: عايزني أكدب؟ فقال: لالالالالالالالالا وأقسمت له إن دي كانت نيتي في البداية ولكن الدكتور حسن أصبح من أعز أصدقائي ووصلنا عند المصعد المعروض وغمزت للمدير أنه يعلق بينا المصعد وركبنا أنا والرئيس وطلعنا عشر متر والراجل خاف يعلق الأسانسير بس وإحنا نازلين قالي أظن إنت نفسك تصورني وأنا راكب الأسانسير وتنزلها في الجرايد، رحت بايسه وقلت له: الله يخليك خليهم يدوني الصورة.

فقالي: ااااااااااااه إنت عايز تعمل زي الريان وتلم فلوس بيًا وضحك.

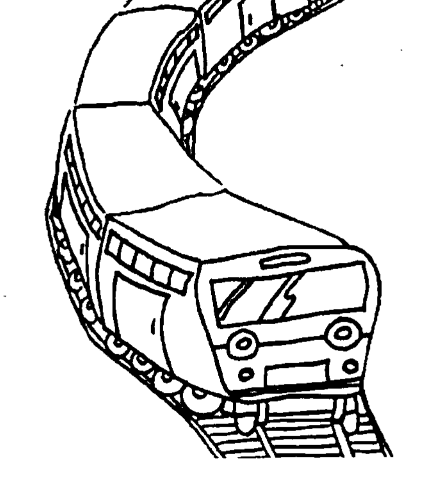
فقلت له: يا ريس أنا لسه هالم أنا لميت خلاص بصورتك مع الريان ومتنا من الضحك، فقالي: طب لو إنت جدع صحيح ماتلمش فلوس بيًا وما تنزلش إعلانات فقلت له: عايزني أغشك؟ فقالي: لا، فقلت له: خلاص الإعلان زمانه في المطبعة

فضحك من قلبه، وقاللي: بس أنا قلت لهم مايدوكش أي صورة عشان عارف إنك هاتلم بيها مليارات، وكنت هاقع على الأرض من الضحك وكل اللي حوالينا في أمر عجيب من تعامل الرئيس معي وخرجنا من مصنع المصاعد ومسك إيدى ومشي خمسين مترًا ومسك دقنى وقاللي هو اللي مايربيش دقنه يروح النار.

فقلت له لالالالالالالالالالالا لو رئيس جمهورية لالالالالالالالالا طبعًا مايرحش.

فقاللي: لا بجد. فقلت: يا ريس إنت هتقلبها دين ليه هتودينى في داهية.

فقاللي: تعرف يا أشرف، فكنت عايز أقوله قول يابو المباريك.



محطة

(56)

والله عندما أتذكر الأحداث أشعر بأنني كنت في عالم وأصبحت في عالم آخر وتختلط عندي المشاعر، ورغم أنني أعترف أنني كنت عندما أكتب أستطيع السيطرة على قلمي وأكتب به ما أريد أن أكتبه أنا، أما الآن فأشعر أنه يسوقني سوقا لكل كلمة حتى لو لم أكن أريد كتابتها من قبل فأجده يجبرني ويسلسلني حتى أنصاع لما يريد أن يكتب هو، وأحيانًا أقول لنفسي لماذا تريد أن تكتب الآن رغم أنك تكلمت بما فيه الكفاية من قبل فلا أعرف جوابًا لسؤالي وعلى أية حال أعود بكم (لأبو المباريك) الرئيس مبارك.

فعندما قال لي تعرف يا أشرف حسيت إني عايز أحضنه تاني، بس خفت بصراحة واعتقدت أن واحد منتحل شخصيته والغريبة إن كنت مراقب معظم من حوالينا وخاصة زكريا عزمي فكنت أشعر أنه عايز يضرب الرئيس ويقوله بطل شغل عيال بقه وتعالى نروح بيوتنا. وأذكر أطرف موقف حدث يومها فقد كان معظم من حولي في الشركة ينادوني باسم الرئيس وأنا لا أقصد الموظفين ولكن الناس المقربين منِّي جدًّا زي حسني رضا وعبد المنعم ومحمد محجوب ابن خالتي بتاع فرنسا، فطبعًا هو أصبح من كبار مديري شركة السعد بعد ما رجع من فرنسا وكان شبه مقيم معي فكنت أصطحبه في كل مكان أذهب إليه وكان موجودًا معي في المعرض وأذكر وأنا واقف مع الرئيس سمعت خلفي هيصة وحسيت إن في حد بيتضرب بالقفا وطبعًا ما خلصت لقائي مع الرئيس سألت عن الهيصة فقالولي ده محمد محجوب ابن خالتك كان عايز يقترب منك وأنت

واقف مع الرئيس فالحرس سأله: إنت مين؟ فقالهم: أنا مع الرئيس وطبعًا هو يقصدني فالحرس سأله: الريس مين؟ فقالهم: الحاج أشرف. وطبعًا ساعتها كانت الهيصة والقفا. المهم الرئيس قاللي: تعرف يا أشرف إن الجماعة بتوعكم فاكرني إني ضدهم.

فقلت في سري وربنا الراجل جاي يلبسنى تهمة ويخرب بيتى فقلت له: جماعة مين؟ فقاللي: الجماعات يعني، فقلت: يا سيادة الريس المكان ملغم أمن دولة وحضرتك كده هاتجبلي إعداااام. وأقسم بالله إنه كان هيرجع اللي في بطنه من الضحك. وقاللي: لالالالالا ماتخافش أنا باكلمك جد، فقلت: وأنا والمصحف مابهزر أنا يا ريس ماليش في القصة دي. فقاللي: ما هو الغريب إني عارف إنك مصاحب أغلب صحابي، وفي نفس الوقت أعرف إنك مصاحب ناس كتير من الجماعات إنت والريان. فقلت: يعني أحلفلك بالطلاق؟ والله العظيم كل اللي أعرفهم ماهمش في أي إرهاب وبعدين أنا لو عرفت حد هابلغ عنه إرتحت.

فقاللي: يا بني افهم كلامي أنا والله العظيم ما ضدكم، فقلت: تاني؟ وسكت فقال: أنا عارف إنكم طيبين والله بس الجماعة بتوع أمن الدولة بيخافوا حد يضحك عليكم من الإرهابيين، إنما أنا شخصيًّا مش ضدكم لا إنت ولا الريان بالعكس أنا فرحان بيكم جدًّا وأنا ماكنتش أعرف إنك هنا ولما شفتك أنا اللي جيتلك بنفسي، فرحت حاضنه دوغري والله العظيم وبعدين قاللي: إنتو بتصنعوا كام في ٪ من الثلاجات والأسانسيرات في مصر؟ فقلت له: دي بصراحة ياريس اللي يعرفها مدير المصنع محمد المنوفي ومدير مصنع المصاعد فقاللي: أنا نفسي تصنعوها 100٪ في مصر. فقلت له: يا ريس أوعدك إني أهتم بهذا الأمر بس أنا بصراحة كل اهتماماتي تجارية لأن المودعين عايزين أرباح والصناعة مافيهاش أرباح عاجلة، وبتحتاج لنفس طويل في التمويل يعني لازم رأس المال يكون ليس عليه أعباء. فقاللي إن حسن زاهد قاللي إنك ذكي جدًّا وطيب جدًّا وأنا واثق إنك هتعمل كده بس أنا زعلان إن الريان بيضارب في البورصة.

وطبعًا أنا مارديتش وسكت وغيرت الموضوع للثلاجات، وقلت له أنا يا فندم كل الأموال اللي جمعتها موجودة هنا في مصر، وأعتقد حضرتك عارف كده (وأنا قبل توفيق الأوضاع كان حدث بيني وبين السيد منصور حسن قصة كانت بسبب نيتي الاستثمار في الخارج. وقالي إن القيادة السياسية غاضبة وبناء عليه رجعت فلوسي كلها لمصر وسوف نأتي على تفاصيل القصة بالكامل) فقالي: عارف وعشان كده أنا جيتلك. وقبل أن أسترسل فيما حدث بيني وبينه أذكر حدثًا وقع يومها كان له بالغ الأثر في نفسي، فوالدي كان موظفًا بسيطًا جدًّا في وزارة الإسكان والتعمير لا يزيد راتبه على تلاتين جنيه، وطبعًا لما أنا إغتنيت مارضاش يسيب الشغل إلا لما عمل حادثة رغم أني كنت باشعر أن هو رئيس شركة السعد مش أنا، فكان غاوي يخش يشتمني قدام الموظفين عشان يعرفهم إنه أبويا.

المهم وأنا واقف مع الرئيس جه المهندس حسب الله الكفراوي سلم عليًّا وقال سلم على الوالد، فسأله الرئيس: إنت تعرفه يا كفراوي؟ فقاله: أيوه يا فندم والده زميلي في الوزارة. والحقيقة والدي عمره ما عدا قدام مكتبه، لكن هو كان يعرف إنه والدي وكان يقدر يقوله أبوه موظف عندي، ولكن رُقي أخلاقه أذهلني ولما حكيت لأبويا قالي إنه مشهور بأخلاقه العالية في الوزارة.

وأعود بكم إلى أبو المباريك.

طبعًا كل هذا اللقاء كان بعد إعلان الاندماج وفضه، وقصة الاندماج تحتاج إلى عشر محطات وحدها لأن ما فيها من أحداث قد لا أستطيع أن أتكلم عنها بأريحية كاملة، وبعض أحداثها كانت مناقشات غير مثبَتة، فعلى العموم كنت وقتها أنا الوحيد الذي تم توفيق أوضاعه وقبل أن يمشي الرئيس أخد وعد أن لا أستغل هذا اللقاء إعلاميًّا، فقلت له: ممكن تديني الأمان؟ فقال: إزاي؟ قلت: يعني اللي أقوله ماتزعلش منه. فقالي: موافق قول. فقلت له: يعني اللقاء ده أروح أحكيه لأمي وعيالي هيطلبولي مستشفى المجانين ومش هيصدقوا وأنا هانشره وفي جريدة «الأخبار» ويا رب آخد

فيها إعدام. فقاللي: طب خلاص أنشر بس أجل الصور. وسألني عن سوبر ماركت إكسبريس اللي كان تحت العمارة اللي هو كان ساكن فيها أيام ما كان قائد القوات الجوية وشقته فوق السوبر مباشرة وكان أكبر سوق وقتها في مصر الجديدة فكانت مبيعاته اليومية ميت ألف جنيه وماخلتوش يكمل السؤال قلت: أيوه ياريس إشتريته عشان إنت ساكن فيه فقاللي: لالالالالالالالالالالالا كده إنت بتكدب لأني أصلا استغربت إن سمير باعه لأني كنت باقعد أعد الزباين اللي داخلة فقلت له: ما هو عشان كده باعه يا ريس (طبعًا في سري وإلا كانت القصة كلها باظت) فقلت: يا ريس هو المشروع فعلًا مربح جدًّا بس سمير كان عايز يتجه نحو السياحة فقاللي: إشتريته بكام؟ فقلت له: بعشرين مليونًا فقال: يااااااااااااااااااه مش كتير. فقلت: عشان الاسم يا ريس. فقاللي: اسمي قلت: آه. وعرف إني بهزر وقاللي سمير وأخوه دول ناس محترمين جدًّا وفعلًا كان كلامه صحيحًا.

ومشي الرئيس وهو يقول لي أنا جاي أنا وأمير قطر كمان شهر عايز أشوف منتج مصري وأسمع إن أرض القمح بدأت تتزرع، فقلت له: أبشر يا ريس ورحت وصلته وأنا كلي فخر وماشي زي الطاووس وحاسس إني أي حد هيقابلنى هاضربه حتى لو جوز خالتي، وفعلًا اقترب مني وهو فرحان وجه يحضنى فابتعدت عنه فافتكر إني مش واخد بالي فقال: يا حاج أشرف، فالتفت وقلت: أيوه مين حضرتك تعرفني؟ فقال للعساكر: اقبضوا عليه فلقيتهم جايين بجد، فقلت: يا عم إنت هزارك تقيل قاللي: أيوه كده إتعدل وربنا أطلق خالتك لو إتعوجت أصله كان صاحبي جداااااااااا ورجل فريد من نوعه ولكنه كان سببًا في أشد معاناة عانيتها في حياتي.

فبعد أن سجنت ترك عمله وكان يأتي يوميًا للسجن وهو يبكي وأنا أتوسل إليه أن ينصرف حتى لا يصيبه ضر، وهو يقسم أمام الظباط أنها لو رسيت على فصله ما يهمه، وطبعًا لأنه كان مرشح وزير داخلية وكان محبوبًا جدًّا فكانوا يخلوني أقابله في غرفة المأمور وكان راجل رغم أن لم يره أحد يبكي في حياته وكان من أبرع رجال المباحث

الجنائية في مصر إلا أنني رأيته يبكي أمامي كلما جاء لزيارتي، وللأسف تضرر كثيرًا بسبب هذه الزيارات ولكنه كان مُصِرًّا أنه مستعد للتقاعد وليس مستعدًّ للتخلي عني وكان من الرجال القليلين الذين أرتبط بهم طيلة حياتي، رحمه الله.

وخرجنا ووصلت مكتبي ولم يهدأ التليفون بين مهنئ ومندهش ومتفحص للخبر، ومر اليوم هكذا وكنت بايت في الزمالك عند عنايات لأنه كان يومها أصلي كنت باعدل بصراحة.

وكنت متعودًا أن أقوم قبل الفجر بساعة أنزل المسجد أقرأ قرآنًا لحين الأذان فنزلت في هذا اليوم لقيت حركة غريبة في المسجد وبعد ماصلينا تقدم رجل وعرفني بنفسه عميد أمن دولة ومعاه تلاتة آخرين، وقاللي: إحنا جايين وقبل ما يكمل إنت أنا كان قلبي حاسس إن الرئيس هيوديني في داهية، وكنت هاقوله يا بيه إحنا كنا بنهزر أنا والرئيس، وقعدت أقول في سري الله يحرقك عملتها فيَّا ولقيت العميد بيقوللي: أنا آسف بس والله الدكتور مانيمناش وقالنا إن نجيب حضرتك ستة الصبح، فقلت له: ليه بس ماتخليها تسعة وضحكت وسألته: دكتور مين؟ فقاللي: دكتور يوسف والي منتظرك في مكتبه، فسألته فأقسم إنه مايعرف حاجة وإحنا منتظرين حضرتك لحد ما تلبس ونروح معاك وطلعت لبست وقلت لعنايات أنا رايح المكتب وكانت دي طبيعتي فعلًا فلم تشعر بشيء، واتجهنا إلى مقر الحزب الوطني اللي حرقه الثوار لأنه كان من أجمل المباني التي رأيتها. المهم دخلت فوجدت استقبالًا مهيبًا ودخلت على د. يوسف لقيته محضر فطار خفيف. وقالي: منك لله الرئيس والله ما نيمنى كل شوية يقوللي: عملت إيه مع أشرف؟ إنت عملت له إيه؟

أقعد نتكلم وإحنا بنفطر وكان عندهم مشروب أساسي اسمه سوبيا.

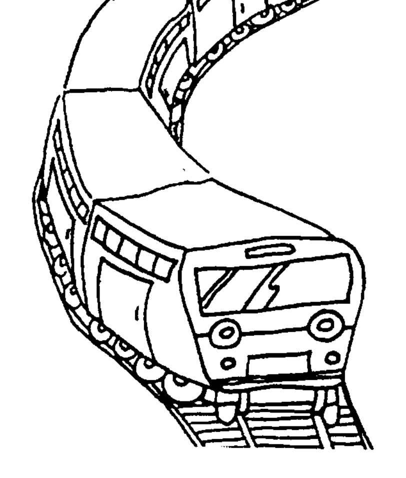
كلما خليت بنفسي وجلست على المقعد الذي اشتريته من المتجر الطبي لمقاعد العواجيز لتجنب آلام العظام التي تصيب المسنين أو كما نقول نحن العواجيز، فكلما جلست عليه

وأغمضت عيني أجد نفسي أسبح في بحر الذكريات أصارع أمواج الأحداث التي تقفز إلى رأسي غير عابئ بوقت حدوثها.

وأعود إلى يوسف والي،،،،

قال لي الدكتور يوسف والي إن الرئيس مهتم جدًّا بما دار بيني وبينه وكلفنى أن أناقش معك الأمر. فقلت له: وأنا مستعد، فقال لي: عمومًا أنا كلفت نائب وزير الزراعة لشؤون الأراضي أن يعرض عليك الأراضي المتاحة والأرض اللي تختارها سنخصصها لك فورًا، فقلت له: أكدب عليك لو قلت لك أني بفهم شيء في الأراضي ولكن أنا سأتصل بمستشاري الزراعيين وأصطحبهم معي في الميعاد الذي تحددونه فقاللي لي: نحن جاهزين فورًا. فقلت له: إذا أعطني فرصة اليوم وغدًا وأنا سأتصل بسيادتك لترتيب الذهاب إلى مكان الأرض وكان لدي خبراء في الزراعة على أعلى مستوى، واتفقت معهم وعرضت عليهم الأمر فرحبوا جدًّا وحددنا الميعاد وذهبنا لمعاينة الأرض واكتشفنا أن الوجهة إلى محافظة الفيوم بالقرب من وادي الريان، وذهبنا وعرضوا علينا 75 ألف فدان وليس 50 ألفًا كما قال الرئيس، وعندما وقعت أعين مستشاري شركة السعد على الأرض وكان رئيس الخبراء عندي هو الدكتور كمال البيلى والمهندس محمود الحفناوي وهما من أشهر خبراء الزراعة في مصر، ووجدت الدهشة على وجوههما وانقلبت في ثوانٍ إلى خوف وفي ثانية سألا نائب الوزير: إيه ده؟ فقال: الأرض التي سنخصصها لكم، فقالوا له: دي مقبرة وطبعًا أنا زي طور الله في برسيمه وأنا أسمع الحوار الدائر بينهم واتفقنا أننا سندرس الأمر ثم نعرضه على الوزير والي، ووصلني مكتبي وسألتهم فقالوا هذه أرض تُروى بماء الصرف وهي مشهورة جدًّا في الفيوم ولو أخبرونا باسم الأرض ما كان يلزم الذهاب إليها فنحن كنا نعمل في الوزارة ونعرفها فهي تحتاج إلى مليار جنيه بنية تحتية حتى نزرع فيها زيتونًا أو موزًا أما القمح فمن المستحيل زرعه فيها فقلت لهم: عايز كلام مكتوب عشان هاطلب مقابلة الرئيس وأعرض عليه الأمر، فالرئيس كما فهمت أمَر أن تخصص لي أرض في النوبارية سهلة الري فقالوا وهذا

الذي فهمناه من الإعلان في الصحف أما هذه الأرض فهي ستكون مقبرتك إذا أخذتها فقلت آخدها إزاي أومال أنا جايبكم ليه، واتصلت بالدكتور والي وقابلته وأخبرته فلم يستطع أن يجينى ولا أستطيع اتهامه بأي شيء، ولكن ما فهمته أن أرض النوبارية حتى رئيس الدولة لا يستطيع تخصيص هذا العدد من الأفدنة لأي شخص مهما كان لأنها أراض ستباع بالمتر في المستقبل وتعجبت أنهم لم يخبروا الرئيس بذلك وقلت له: يا معالي الوزير أنا هاصرف مليارات ومش هاخد أرض ببلاش وأنا عايز أعمل مشروع قومي ولعلني أخاطر لأن هذا المشروع ليس مُربحًا وأنا شغلتي أن أعمل في المجالات التي تدر ربحًا سريعًا، لأنها مش فلوسي ولكن في الساعات القليلة الماضية اتصل بي كثير من الكيانات المالية يريدون مشاركتى في تمويل المشروع بعيدًا عن أموال المودعين وإنت تعرف أن هذه الأرض لا تصلح إلا لزراعة الزيتون وأخشى ما أخشاه أن يظن الرئيس أنني تقاعست عن استلام الأرض فقال لي عمومًا أعطني فرصة أسبوعين وأنا هادرس الأمر وأعطيك القرار النهائي، وأنا طبعًا كنت في غاية الاستغراب فكان الأمر سهلًا جدًّا أن يقولوا للرئيس إنه ليس من صلاحياتك أن تخصص أراضى في مناطق معينة وماكناش اتحطينا في هذا الموقف. ويعلم الله أنني لم أشعر حتى الآن أن الدكتور والي كان له مصلحة في إفساد الأمر، ولكن هناك شيء خفى ما زال موجودًا حتى الآن أنا سميته العفريت لا أحد يعرفه هو الذي وراء كل هذا التخبط الذي دفع ثمنه الجميع وليس فئة معينة. وعلى أية حال كان عليًّا أن أقرر أن أخاطر بأموال ناس ائتمنوني عليها أو بعلاقتي بالرئيس فقد كنت أشعر بما حدث مستقبلا، فالحمد لله الحاسة السادسة ما زالت عندي حتى الآن، وهي التي أتوكأ عليها وأهش بها كثيرًا من المصائب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.



محطة

(57)

لا أنكر أن إعلان مقابلتي مع الرئيس كان له أثر عجيب في الأوساط المالية والتجارية فقد تلقيت بعدها هاتفًا من الفريق كمال حسن علي يريد مقابلتي لأمر هام، وإن لم أكن مخطئًا فقد كان بعد تدخلي لإنقاذه من الذهاب إلى المجهول، وذهبت لمكتبه وكانت ملكة جمال مصر ما زالت سكرتيرته، وكان اسمها إيناس. فقلت لها: عندي ميعاد. فقالت: عندي خبر بس هو في الحمام، فقلت: لها خليه براحته خالص ماورياش حاجة،(دي مزحة طبعًا).

المهم دخلت مكتبه لقيته جالس مع السيد محمد فريد خميس صاحب «النساجون الشرقيون»، وطبعًا هو كان مع الرئيس عندما قابلته وشاهد المقابلة بأم عينه، ولكن لاحظت أن على وجهه وجومًا وحزنًا شديدًا وقاللي: الفريق كمال حسن علي طبعًا عارفين بعض. فقلت: طبعًا وهل يخفى القمر. فقاللي : الفريق باختصار يا عم الحاج الأستاذ محمد فريد زهق من الشغل وعايز يبيع مصانع النساجون الشرقيون وأنا قلت له مافيش غير أشرف السعد فأنا تعاملت معه وهو رجل سهل في معاملته ولا يستغل، وطبعًا لم يكن السبب هو إنه زهق ولكن كانت مشاكل مع البنوك فقلت له:أنا تحت أمركم وطبعًا كان اسم «النساجون» عالميًا وليس محليًا فقط، وقررت في عقلي أن أُتم الصفقة مهما كان الثمن فهي صفقة لا تقدر بثمن. وقلت لهما: أنا كلي آذان صاغية. فقال الأستاذ محمد فريد: أنا طالب اتنين وتسعين مليون جنيه ووقتها طبعًا.هذا المبلغ يساوي

تسعة مليارات الآن فقلت في أقل من ثانية: أنا موافق أدفع ميت مليونًا وليس 92 مليون فقالوا: ما هو الشرط؟ فقلت: الأستاذ محمد طالب 92 مليون في كامل المصانع أليس كذلك؟ قالوا: نعم. فقلت: أنا هادفع ميت مليون في تمانين 80٪ فقط فرد الاثنان وقالا مش فاهمين. وكان الأستاذ محمد بيشرب قهوة وأتذكر الموقف كأنه حدث الآن وأنا أكتبه فقلت لهما يعني أنا باشترط إن الأستاذ محمد يظل شريكًا بنسبة 20 ٪ ليدير المصنع وكأني ألقيت قنبلة فوجدت فنجان القهوة انتقل من يد محمد فريد خميس إلى سقف مكتب كمال حسن علي وسمعت شتيمة. وطبعًا هناك أحداث لم توثق ولا ألوم من ينكرها أبدًا ولكن الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقول إنها أحداث يصعب على أكبر أدباء القصص أن يتخيلوها، أو من المستحيل تأليفها ومع ذلك فمثل هذه الأحداث متروكة للقارئ وكنت أستطيع إخفاء اسم بطل الحدث ولكنني لا أدري لماذا تعمدت إظهاره.

عندما قلت شرطي لكمال حسن علي مع حفظ الألقاب وفريد خميس لقيت فنجان القهوة طار وسمعت محمد فريد خميس بيتكلم بانفعال وبصوت خافت وسمعته بيقول تجار المخدرات معاهم فلوس وكلام مثل هذا. وبمناسبة لفظ تجار المخدرات فاسمحولي أن أترك خميس وقهوته ومصنعه، وأذهب إلى محطة من أخطر محطات حياتي إن لم تكن هي الأخطر فعلًا، بل هي التي شكلت معظم شخصيتي إن لم تكن كلها وهي محطة الملك البرنس، الرجل الوحيد في حياتي، فحياتي مملوءة بالنساء وعلى رأسهن جدتي وأمي، أما هذا الرجل فكان الوحيد الذي أثر في حياتي وهو البرنس السيد على سعد أبي، الرجل الذي أستطيع أن أجزم أن كل محللين النفس في العالم يعجزون عن تحليل شخصيته فلم أرَ في حياتي شخصًا بهذه الطيبة والرحمة والعفو والصفح وفي نفس الوقت لم أجد في حياتي شخصًا قمة العنف وفقدان السيطرة على نفسه حين يغضب فتراه كالبركان الثائر لا يستطيع إخماده إلا الذي خلقه. والحمد لله أنني ورثت منه الصفة الأولى، بل هو الذي جعلني أكره العنف بكل جوارحي ولا أحب الانتقام ولا القسوة فأنا عكسه تماما، فأنا لا أستطيع ولا أتجرأ أن أصفع أحدًا من أبنائي، وعندما أرى

أحدهم يبكي أكاد أُجن وأعتقد أن هذا بسبب المليون علقة اللي أكلتهم من أبويا وكل علقة فيهم كانت جديرة بأني أكرهه حتى لو كان أبي. والغريب أنني عشقت هذا الرجل فقد كنت أراه وأنا لم أتجاوز الأربع السنوات كنت أراه يصارع الدنيا وأراها تقسو عليه بشدة، ولست أدرى كيف أدركت ذلك وفهمته فهو من أسرة معظمها ثري وأقصد هنا أباه وجده وأخاه الوحيد الذي رأيته في حياتي وهو أبو أم بلال، وكانت أمي أيضًا من أسرة ثرية نوعًا ما، بل كان فيها من يعتبر من أهل الثراء الفاحش، ومن حدثت المشكلة على أية حال أرى الآن من يدفعني للخروج من هذه المنطقة الحساسة جدًّا وأعود لسبب ولوجي فيها، وذكر البرنس أبويا، فأذكر أنني عندما أصبحت ثريًّا اشتريت له سيارة تويوتا فاخرة وكان لأول مرة الناس تشوف سيارة بها ثلاجة وكنت طبعًا أخشى من أبويا لأني عارفه عندما يشعر أنه أصبح في الوضع الذي كان يجب أن يكون فيه من زمان وطبعًا كان على يد الطفل اللي رقعه مليون علقة موت.

المهم كنت هذه القصة أذكر تاريخها فهي كانت بعد افتتاح فرع طنطا بأيام أي قبل زواجي من عنايات بشهر تقريبًا، وكنت وقتها افتتحت معرض سيارات السنبلاوين وعدة فروع في المحافظات القريبة من الدقهلية. وكان زوج أختي الكبيرة صفاء يعمل في السعودية وطبعًا سمعوا التطورات اللي حصلتلي وكان أبي ما زال في وزارة الإسكان، رغم أنه أصبح ليس محتاجًا للعمل ولكنه كان يعشق عمله وطبعًا الناس كلها كانت عارفة إنه أبو أشرف السعد وهذه تكفي أن يبقى في عمله حتى.يرى كيف يتودد له من كان لا يعرفه. والمهم أن زوج أختي كان نازل مصر وأبويا راح جابه من المطار وزوج أختي هو ابن خالة أمي يعني أخته وأهله عايشين في القرية اللي هي ميت غريطة، وزوج أختي ده كان زملكاوي وأبويا ليس أهلاويًّا فقط بل أعتقد هو من أنشأ النادي الأهلي فكان يحب الأهلي أكتر من أمي وولادها حتى من نفسه، وكانت هوايته المفضلة هي إذلال زوج أختي لما الأهلي يغلب الزمالك كعادته دائما.

وأذكر أن مرة صالح سليم كان معايا في لندن وخليته يكلم أبويا فشتمني وقاللي إنت هاتهرج إنت جايب واحد وتقوللي ده صالح سليم، إنت مين إنت عشان صالح سليم يعرفك، ويومها كان عارف إني قابلت حسني مبارك فقلت له يا حاج ده حسني مبارك صاحبي فقاللي طظ وربنا كده.

بس صالح سليم لا يمكن يعرفك، فقلت لصالح: إديله أمارة، فقاللي: أجيبله أمارة منين هو أنا أعرفه، وقاله: يا حاج خلاص أنا هازورك أول مانزل مصر.

المهم راح أبويا المطار يجيب جوز أختي وجابه وجه على البلد وطول الطريق جوز أختي يتحايل عليه عشان يسوق شوية وأبويا يقوله إنت فاكرها حمار. المهم أبويا أضطر للوقوف أمام أحد الحقول أمام قرية اسمها كفر النصارى تابعة للبلامون قبل مدخل السنبلاوين بعشرة كيلومترات، لقضاء حاجة، ورجع لقى جوز أختي قاعد على مقعد السائق فأبويا قاله يابنى أنزل أحسن تاخد عليها فقاله يا عم أنا عندي واحدة زيها في السعودية، وحصل حوار تريقة بينهم يموت من الضحك فأبويا كان أبو الفرفشة ومسميينه قرنفلة من كتر رائحة العطر التي تفوح منه، فكان يعشق التطيب بس مش لأمي. طبعًا المهم ترك السيارة لزوج أختي وجلس بجانبه وتحرك زوج أختي بالسيارة حوالي مائة متر وكان لابس في عربية بيجو أجرة سبعة راكب مات كل من فيها. ولقيت تليفون جايلي الشركة إلحق أبوك مات في مستشفى السنبلاوين بعد ما قتل سبعة.

طبعًا أنا جريت على المستشفى لقيت أبويا عالسرير في المستشفى مفشفش وماعرفش هو ميت ولا صاحي، ولقيت جوز أختي عالسرير اللي جنبه مشلفط بس عايش زي القرد، وكان معاهم ابن عمي علاء كان قاعد في الخلف وماحصلوش حاجة والجثث السبعة بره وأهاليهم عمالين يلطموا ويصوتوا وماكنش طلعت لسه حكاية القصاص بتاعة اليومين دول، لأن القصاص أيامها كان عالساكت من غير ما حد يحس. ولقيت جوز أختي بيندهلي ويقوللي: إزيك يا أشرف أنا اللي كنت سايق هو أبوك فين؟ فقلت له:

ما هو اللي عالسرير اللي جنبك ده وأنا للأسف الشديد كنت قبلها بأسبوع قاعد مع أبويا ورغم ما وصلت له إلا أنني كنت أهابه بس كنت لما ألاقي مزاجه كويس ومش متخانق مع أمي كنت أحب أهزر معاه وكان الله يرحمه نادر جدًّا لما ألاقيه مابيتخانقش مع أمي، حتى كنت دايمًا أسال أمي إنتو خلفتونا إزاي وفي اليوم ده كان مزاجه رايق وقعدنا نهزر وجت سيرة الموت فقلت له: تعرف يا حاج إنت لو مت جنازتك هتبقى ولا جنازة عبدالناصر، لأن كل المسؤولين هييجوا يعزوني فيضحك حتى تبدو نواجذه ويقوللي يابن الكلب إنت عايز تموتنى عشان الوزراء ييجوا يعزوا. وقعدت أفتكر كلامه وأنا في غاية الحزن وانتشر الخبر في البلد إن الحاج سيد مات وطبعًا المستشفى وقتها كان مديرها تمرجي ولما عرفوا إنه أبويا جه دكتور وقال لازم يتنقل للقصر العيني (اسم المستشفى العمومي) في المنصورة، لأنه لسه حي بس مافيش أي إمكانية في المستشفى ونقلوه في سيارة إسعاف ماعرفش إزاي مامتش فيها، هي مكتوب عليها إسعاف بس لكن سيارة نقل عادية جدًّا ووقتها بصراحة مش فاكر إن كنت اشتريت مستشفى القاهرة ولا لسه، بس الأكيد إن علاقتي بالدكتور حسن زاهد صاحبها كانت في منتهى القوة وكلمته فقاللي هابعتلك سيارة إسعاف بس الدكتور اللي جاله ماعرفش إذا ممكن يعيش لحد ما توصل ولا لأ، لإن مافيش فيه حاجة سليمة بس هو بيتنفس فوافقت لنقله للقصر العيني وكان لي أصدقاء أطباء كتير في المنصورة وكلهم الحقيقة كانوا في استقباله وطبعًا حطوه على جميع الأجهزة فكان كل مكان في جسمه معلقًا عليه جهاز. وأذكر أنه كان مجردًا من هدومه تمامًا وظل كده حوالي يومين وكلنا منتظرين أن يلفظ أنفاسه والمعجزة أنه تالت يوم بدأ يفتح عينه ولاقاني واقف قدامه فبصلي وراح في غيبوبة والسبب اللي فكرني بالحادثة دي هي كلمة فريد خميس بتاعة تجار المخدرات، وكان يقصد أن تجار المخدرات معاهم فلوس يعني بيقوللي ماتتغرش إنك معاك فلوس. المهم أنا لقيت أبويا في غيبوبة والأطباء قالوا إنه طالما فتح عينه يبقى فيه أمل كبير بس هو مش هيفوق الآن، فأخدت سيارتي وقلت ليحيى السواق أطلع عند مكان الحادثة ووصلت هناك لقيت

أربع غفر حوالين آثار سيارة أبى لأنها أصبحت أثرًا بعد عين فقد رأيت بقايا سيارة والسيارة البيجو كانت عبارة عن قطع حديد ملقاة في كل جانب وعرفت أن السواق كان ماشي على سرعة 120 كم وسيارة أبويا كانت يا دوبك بتتحرك من مكانها، واقتربت من السيارة فمنعني الغفير وقالي ممنوع فقلت له أنت عارف سيارة مين دي فقالي: آه عارف دي سيارة أبو الحاج أشرف بتاع المخدرات، فاندهشت وكنت عايز أضحك فاتكسفت وكتمت الضحك فقلت له: أنت عارفه؟ فقالي: طبعًا اللي شركته على المعاهدة فسألته: إيه اللي عرفك إنه بتاع مخدرات؟ فقالي: إحنا مطلعين طن حشيش من عربية أبوه.

المهم هنسيب أبويا في غيبوبته ولحد لما يفوق خلونا نرجع تاني لمكتب كمال حسن علي، وما حدث فيه مع السيد فريد خميس فبعد أن قلت له أنا موافق بشرط أني اشترى 80٪ فقط ويبقى هو بالباقي ويظل يدير المصانع، ولقيته تعصب جدًّا وبدأ يقول كلامًا غير مفهوم ثم قال لي بوضوح أنت عايزني أشتغل عندك يا أشرف يا سعد أنت مش عارف أنا مين، أنا اللي بشغل الناس لكن مابشتغلش عند حد ماتخليش الفلوس تغرك، فالفلوس مع بتوع المخدرات والجزارين والمهربين لكن عمرهم ما يبقوا زي محمد خميس. وفضل يديني درس وأنا أبتسم في وجهه وتركته يفضي الشحنة اللي جواه كلها، وعندما انتهى بدأت أرد عليه بكل ثقة وقلت له إذا كنت حضرتك فهمت كده فأنا باعتذر لك أمام الفريق كمال حسن علي، بس عندي كلمتين أتمنى أنك تسمعهم فأنا ما زلت عند كلامي وشروطي وأقسم بالله العلي العظيم وأقسمت أكثر من مرة وقلت له لو وافقت على شروطي فأنا سأكون الفراش بتاعك، وأقسمت أيمانات مغلظة أني لا أمزح وقلت له: لن يفتح لك باب السيارة غيري وأنا اللي هادخل الشاي لضيوفك ولن أكون أمام العالم سوى أحد عمال مكتبك، وأنا اللي هانضفه وأكنسه. وعلى فكرة أنا عملتها كتير زي ما كنت بنضف مكتب الحاج بكر اللي كنت شغال عنده، وعايزك تعرف حاجة مهمة يا محمد بك أقسم بالله لو أعطيتني مصانعك دي كلها هدية فأنا هاعملها مخازن سيارات فإذا كنت فاهم إن المصانع دي لها قيمة من غيرك تبقى أسمح لي أقولك أنك لم تستفد

شيئًا من حياتك فمصانعك يا محمد بك لا تساوى قرشًا بدونك وكان كلامي وكأنه طلقات رصاص وماء بارد في نفس الوقت، فهدأ تمامًا وقالي: بصراحة أنا آسف إنت عندك حق واعتذرلي وأثنى عليًا كثيرًا واتفقنا على أن نحدد موعدًا لكتابة العقد. وأعتقد أن الخبر ده بالذات انتشر جدًّا قبل حدوثه لأن جهات كتير رفضت تنفيذه وعلمت بعد كده من الفريق كمال أن مشكلته المالية اتحلت ونفس السيناريو حدث عندما قرر الريان شراء بنك أوف أمريكا وفعلا عندما قررت شراء بنك التجاريون...

وأعود بكم لأبي لأنه بدأ يفوق،،،

فعندما رجعت للقصر العيني كان أبي كما أخبروني نجا من الموت بأعجوبة ولكن كل عظامه مدغدغة وهو يحتاج إلى مستشفى متخصص في نقل العظام ولكن نقله مسافة طويلة ممكن يعرضه لخطورة فاقترح وقتها الدكتور فاروق حافظ صديقي وكان أستاذ قلب في جامعة المنصورة أن أنقله لمستشفى خاص في المنصورة اسمه السلام به إمكانيات أفضل كتير، ودخلت على أبويا لقيته فايق وقلت له: حمد لله عالسلامة يا حاج والدموع في عيني فقالي: خلي بالك من إخواتك يا أشرف. فقلت له: ماتقلقش يا حاج أنت ربنا نجاك فقالي: أنا فين؟ فقلت له: في قصر العيني بتاع المنصورة، وهننقلك مستشفى خاص دلوقتي فقالي: ربنا يكرمك يابنى ويخلف عليك وسألني عالعربية فقلت له: كله تمام فقالي: أنا قلت له إنت فاكرها حمارة وسأل عليه إذا كان مات ولا لسه عايش فقلت له: عايش يا حاج اهدأ أنت بس وكله هيبقى تمام راح شاتم جوز أختي. وقالي: أنا غلطان إن رحت له المطار. والغريبة إن الحاجة الوحيدة اللي شغالة في جسمه بمنتهى الكفاءة هي لسانه، وهو مايعرفش إن جسمه مدغدغ لأنهم مدينه مسكن شديد جدًّا وقعد يقولي خلي بالك من إخواتك البنات دول ماهمش غيرك، وكأنه بيوصيني على أطفال رغم أن كلهم مجوزين ومخلفين بغال.

المهم هو عاش دور (حسين رياض)، ولما بدأنا ننقله بدأ يحس أنه فيه شيء خطير لأنه شعر بألم شديد وأنا ركبت معاه في الإسعاف وطول الطريق يدعيلي ويقولي ربنا

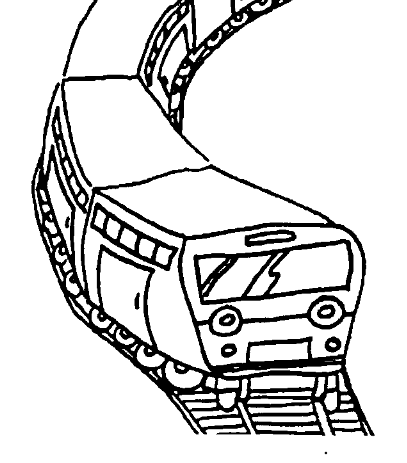
يخلف عليك يابني أنا هاموت وأنا راضي عنك وربنا يسترك دنيا وآخرة وهو يدعي وأنا أقوله: يا حاج ماتتعبش نفسك أرجوك وأول ما وصلنا المستشفى للأسف كان على حظي الأسود المصعد عطلان فاضطروا يطلعوا أبويا على السلم وفي أول سلمتين خبطوا خشبة السرير اللي نايم عليه في الحيطة فبص وعرف أن المستشفى يعني أي كلام، فلقيته بأعلى صوته بيقول: حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أشرف أنت يابن الكلب مستخسر توديني مستشفى وجايبني في جراج، طب اعتبرني راجل غلبان وبتتصدق عليه.

جلس والدي في المستشفى يومين ورتبت لنقله إلى القاهرة في مستشفى القاهرة التخصصي، وذهبت لمأمور القسم لأستطلع قصة المخدرات هذه. وكان المأمور محمد خلف صديقي وحكيت له الحكاية بتاعة الغفير فضحك وقال فعلا وجدوا مخدرات وطلع من درج مكتبه علبة سجاير كليوباترا غرقانة دم وطلع منها سيجارتين فيهما حشيش وقاللي لقوهم مع ركاب السيارة البيجو، لأن والدي وزوج أختي ماكنوش بيدخنوا وضحكنا من تصرف الغفير وخياله الواسع، ورحت أنا عشان أنقل أبويا ولما شاف عربية إسعاف مجهزة بدأ يدعيلي تاني وراح المستشفى وطبعًا ركبوله 200 مسمار وحطيناه في جناح وبقه مزاجه عنب والحمدلله مرت على خير وخرج متلصم، وخصصت له مرافقًا معه يساعده وراح أول مشوار على المعرض خد عربية جديدة وجيبتله واحد قريبنا اسمه عم عوض السواق، وكان لا يتحرك إلا في حدود المركز وطبعًا راح زار جوز أختي وشتمه وأقسم أنه لو شافه راكب غير حمار هيضربه بالنار وكانوا زي ناقر ونقير وأنا كنت بروح ألف على الفروع وأمر عليه كل يومين. وأتذكر إنه كان لينا قريب في البحيرة ابن خال أبويا وكانت الصلة اتقطعت بعد وفاة أم أبويا وأنا وصلته كما أسردت في بعض المحطات وطبعًا هو كان سمع بالحادثة وجه يزور أبويا. وأذكر أني مرة أخدته معايا في الحاج وإحنا راجعين كنا أربعين نفر كلهم من العيلة، وكان مدير محطة مصر للطيران محمد مبروك صاحبي، فأرسلت الفوج كله بالجوازات والشنط وقلت

لهم هاحصلكم أنا والحاج عادل صاحبي وطبعًا محمد مبروك عمل شيك إن، ووزن، وكلهم طلعوا الطيارة وإحنا لسه ماوصلناش وطبعًا حصل هرج ومرج وكانوا هينزلوا الركاب لولا أن المدير قالهم على مسؤوليتى هما في السكة وكان ممكن يترفد فيها المهم إحنا اتأخرنا نصف ساعة مرت كالدهر على محمد مبروك وأول ماوصلنا طلعونا الطيارة وقفلوا الباب وأقلعنا وطبعًا ربيع فضح الدنيا كل حد يقابله يقوله عليا الطلاق الطيارة ماطلعت إلا لما الحاج أشرف ابن خالي جه، وماكنش يعرف أني ممكن أتسجن فيها، المهم جه ربيع يزور أبويا وأنا أخدت خبر وكنت بايت في البلد وقلت لهم أنا هافطر مع ربيع ونزلت المضيفة وفي إيدى الجرنال اللي فيه الإعلان بتاع صورة مبارك وقلت لنبيل اقعد في وش ربيع وتعمد تخليه يشوف الإعلان لأني عايز أضحك وهو لهجتهم تشبه لهجة الصعايدة غاية في الروعة، وفعلا جلسنا نفطر وهو يحكي وكان عنده مشكلة مع غفير طلب مني كتير أتوسط عند المأمور وأنا أحاول أقنعه أن مايصحش أحشر نفسي عشان ماسورة بينك وبين الغفير، وقلت له هاشتريلك كل مواسير البلد ولكن كان مصممًا وفعلا استطاع نبيل أن يلفت نظره للإعلان وبدأ يتغير وجهه وخطف الجرنال من نبيل وقعد يبص فيه ويبص في وشي وتأكد أني أنا اللي في الصورة وشاف مبارك اتجنن، وقال: دي كانت إمتى؟ فقلت: كانت من أيام، فقال: عندكم كام جرنال فقلت: كتير. فقال: نبيل هاتلي عشر جرايد فأشرت لنبيل يجيبهم قلت أشوف آخرتها ومسك الجرايد ونادى على ابنه محيي وقاله تركب حالا وتروح فازرة «قريتهم» وتروح فورًا على بيت العمدة ولو عرفة الغفير سألك عايزه ليه إديله بالجزمة، وخش عالعمدة إديله جرنال واديله بالجزمة، وتطلع على المأمور تديله جرنال وتديله بالجزمة، وتطلع على المحافظ رحت ماسك الجرايد وقلت: بقولك إيه يا ربيع اهدأ إنت عايز تسجني فقاللي: أسجنك عليًا الطلاق إنت تقدر تسجن حسني مبارك، ولازم اللي بقوله يحصل والا هاضرب نفسي بالنار وحاولت أهديه ولم يهدأ إلا بعدما أقسمت له أني هازوره ونروح نزورهم وهما أكيد قروا الجرايد واقتنع، واتشهدت أنا. بس كان من أحلى أوقات حياتي كم الشفافية

التي كان يتكلم بها. ومرت الأيام وتزوجت عنايات وذهبت للقاهرة لأن أم بلال كانت عرفت وولعت الدنيا وطردت بلال.

المهم أبويا طقت في دماغه ييجي يشوف العروسة وطبعًا زوغ من أم بلال وقاللها أنا رايح المنصورة وخلي عوض يجهز العربية والمرافق يجهز وطلعوا على مصر وعلى المغرب كده لقيت التليفون بيضرب وواحد بيقوللي أنت الحاج أشرف فقلت له نعم فقاللي أبوك في مستشفى بنها متدغدغ، لأنه قتل واحدة ست وابنها في كفر شكر.



محطة (58)

مضطر أترك والدي في مستشفى بنها شوية، لأني لو رحت له الآن مش هاطلع من عنده ولا بعد ميت محطة، وأنا بصراحة باحب أقف على محطات أبويا وأنا مش مستعجل أو زهقان.

أنتقل معكم إلى محطة من أغرب محطات حياتي، وكان أحد أبطالها المهندس سامي مبارك وحدثت معظم أحداثها في السعودية، فقد كان أحد أقربائي وهو اللواء محمد حافظ منصور من قرية الزهايرة وتربطنا بعائلته علاقات مصاهرة قوية، وكان يعمل نائبًا لمدير أمن الدولة ثم مديرًا لأمن مطار القاهرة، ثم خرج على المعاش وتم تعيينه مستشارًا في شركات السعد في اليوم التالي لخروجه على المعاش. وتصادف في هذا الوقت أنني كنت مرشحًا للحصول على توكيل مرسيدس وكنت مسافر ألمانيا وقررت اصطحاب المهندس سامي مبارك معي لأنه كان عايش في ألمانيا لمدة 25 سنة وحاصل على الجنسية الألمانية وكنت قررت أن أذهب إلى العمرة ومنها إلى ألمانيا، وكان في صحبتي في هذه الرحلة الفنان حسن يوسف والعقيد عبد الرحمن سكرتيري الخاص، وذهبنا إلى المطار وكان المهندس سامي مبارك قد قرر ألا يكون معنا أثناء إنهاء إجراءات السفر وفضل أن يقف في الطابور مع عامة الناس عندما شاهد كل ضباط المطار قد أحاطوا بنا من كل جانب نظرا لوجود مديرهم السابق معنا وبصراحة حتى أنا اترعبت من المنظر، ولكن لم يكن بُدٌّ من أن أكون مع اللواء حافظ أنا وحسن يوسف، وكان مشهدًا يلفت نظر أي حد فأعتقد هذا المشهد يحدث فقط للرئيس. وطبعًا تم إنهاء إجراءات السفر في ثواني ووجدنا أنفسنا في الطائرة وبعد الإقلاع طبعًا قعدنا مع المهندس سامي مبارك ووصلنا جدة وكان في استقبالنا الشيخ فهد الشبكشي، بس طبعًا

دخلنا عادي من غير الدوشة اللي حصلت في مصر ووقفنا في الطابور زي الناس وخرجنا من المطار وكانت عندي سيارة مرسيدس ليموزين التي يفصل بين السائق وبين من يجلس في الخلف زجاج والصالون عبارة عن مقعدين في مواجهة بعض.

المهم كان عندي بيت في مكة كانت تسكن في أحد طوابقه أختي والطابق الآخر كنت استأجرته منذ سنين عشان الحاج وعملنا العمرة وقضينا ليلة في مكة وتوجهنا إلى المدينة. فجلست أنا والمهندس سامي في الخلف وأمامنا اللواء منصور وحسن يوسف وفي الأمام عبدالرحمن والسائق الذي كان مخصصًا من قبل الشيخ فهد الشبكشي وجلسنا نتحدث طوال الطريق حتى وصلنا المدينة فوجدنا طابور سيارات يزيد على اتنين كيلو ووقفنا فيه عادي، ونحن نتحدث ولاحظت أنا أن عبد الرحمن نزل من السيارة فتوقعت أنه زهق فنزل ولم يخطر على بال أحد ما فعله عبد الرحمن وكان هيودينا المعتقل إلى يوم الدين، فبعد ربع ساعة وجدت أكثر من عشرة موتوسيكلات شرطة وثلاث سيارات حول السيارة بتاعتنا واقترب من السيارة ضابط كبير وخبط على زجاج السيارة وأول مافتحت الزجاج لقيته بيؤدي التحية العسكرية لسامي مبارك، ويقوله: أنا اللواء فلان من الحرس الملكي وموجود هنا لتأمينكم!! أتارى عبد الرحمن راح للضابط اللي واقف في مدخل المدينة وقاله أنا العقيد عبدالرحمن ووراه الكارنية بتاعه وقال معانا شقيق الرئيس ومساعد وزير الداخلية والفنان حسن يوسف ورجل الأعمال أشرف السعد، فاتصل الضابط بالحراسات الخاصة وأرسلوا لنا هذه الكتيبة، ووقف اللواء يتكلم في اللاسلكي يبلغ وزارة الداخلية والمراسم وطبعًا المراسم هاتبلغ سفير مصر والسفير هيبلغ الرئاسة وطبعًا الرئيس هيقول أشرف واخد أخويا ينصب بيه في السعودية.

أصبح الموقف متأزمًا جدًّا، فقد قرأ جميعنا النتائج في حال عرضت على الرئيس ونزل اللواء حافظ من السيارة وتكلم مع الضابط وطلب أن يقبل قدميه وهو يحاول إقناعه أن المهندس سامي لا يشغل أي منصب رسمي، وأنه هو شخصيًّا على المعاش وأخبره أنه على علاقة شخصية بالأمير نايف وزير الداخلية ولوكان الأمر ذا صبغة رسمية لكان هو الذي أخبر المراسم بنفسه، ونزلت أنا من السيارة لكي أساعد

اللواء منصور وشرحت للضابط وجهة نظرنا وأن هذا سيسبب مشكلة كبيرة لنا ولكن الضابط كان مصرا على اصطحابنا بحجة أن شقيق الرئيس قد يتعرض لأي مضايقات، وأمام إصراره أخبرناه بأننا لن ندخل المدينة وسنعود إلى مكة كما جئنا، ووافق بشرط أن يكون معنا موتوسيكل ورجعنا السيارة لقيت سامي مبارك لوحده في السيارة وسألته عن حسن يوسف قال ماعرفش هو نزل من السيارة واختفى. والحمد لله مر الأمر بسلام ولم يخبروا أحد في مصر بما حدث وقررنا العودة لمصر فورًا لتدارك أي شيء ممكن يحصل، وحتى لايستغل أحد غيابنا وتنتشر إشاعات، وطبعًا حسن يوسف كان في مصر وإحنا لسه في طريقنا لجدة.

والغريبة أننا عندما وصلنا إلى مطار القاهرة وطبعًا سامي مبارك دخل كما خرج من خلال الطابور العادي مع عامة الشعب، أما أنا واللواء منصور فقد استقبلونا من على باب الطائرة، ولكن ليس بالكم الذي كان في وداعنا فقد وجدنا ثلاثة أو أربعة ضباط في الاستقبال ولاحظت أن أحدهم قد أسرَّ إلى اللواء منصور في أذنه ولم أعرف ماذا قال له، ولكن لقيت اللواء منصور بيقوله طب وقالوا مافيش مشاكل واصطحبونا لغرفة أشبه بغرفة الحجز وطلبوا مننا أرقام الحقائب حتى يحضروها من على سير الحقائب وفعلا أحضروا الحقائب وبدأوا في تفتيشنا شبه ذاتي، وكان ناقص يقلعوا اللواء حافظ منصور هدومه واضطريت أسال اللواء حافظ: فيه إيه وهل ما يحدث له علاقة بما حدث في السعودية؟ فقال لا لالالالا أنا المقصود بما يحدث فقلت له أنت؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ فقالي: آه. فقلت: له مش فاهم. فقالي: ده المدير اللي مسك مكاني شكله زعلان من اللي حصل من الضباط أثناء خروجنا والتفاف الظباط حولي وكان المدير الجديد اللواء رضا عبد العزيز من أعز أصدقائي، وكان نائب زوج خالتي اللواء ممدوح برعي وتربطني به علاقة قوية جدًّا، فاستغربت وقلت للواء حافظ إنت متأكد فقالي. 100٪، فطلبت من الضابط اللي واقف مقابلة اللواء رضا عبد العزيز وبعد شوية أخبروني أنه في انتظاري وذهبت لمكتبه وعندما التقت عيني بعينه وجدته غاية الانفعال وبدأ يصب وابلًا

من الشتائم التي لا أستطيع كتابة حرف منها هنا على اللواء خافظ منصور، وبعد أن انتهى من الشتائم قاللي هو عايز يعمل قدامك باشا على قفايا هو نسي ابن...... اللي عمله مع حماتي وهي راجعة من الحاج ونسي لما وقف أخويا وفتشه ذاتي وحياة........ وبعدين يا عم أشرف لما تحب يتعملك استقبال رسمي أنا اللي اعملهولك واعملك استقبال ماتعملش لرئيس الجمهورية انما هو ابن...... يخلى الضباط يسيبوا شغلهم ويوصلوه للطيارة عشان يعمل دكر قدامك لالالالالالالالالالالالالالالالالا إلا ده أنا ها....

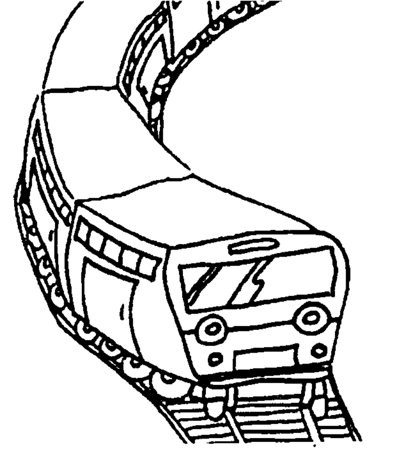
المهم أنا امتصيت غضبه وبدأت أكذب كما لم أكذب من قبل، وقلت له يا معالي الباشا أنا فاكر إن أنت اللي عملت التشريفة دي لينا وعارف إن هو خلاص اتقصص ريشه، وأنت عارف إنه قريبي لكن هو نفسه عارف إن اللي اتعمل ده كله بأمرك فلقيته قاللي: بقولك إيه يا عم أشرف إنت فاكرني أهبل هتنصب عليًّا بكلمتين فقلت له طب خلاص عشان خاطري عديها المرة دي ومش هتحصل تاني: وطبعًا أنا كنت فرحان جدًّا إن الموضوع مالوش علاقة باللي حصل في السعودية، وكل من يتأمل في الحدث يعرف أن هناك عداوة شديدة بين المسؤولين بعضهم وبعض وأنا تعلمت أني لما أقابل مسؤول ماقلش له إني أعرف المسؤول الفلاني لأنه ممكن يطلع عدوه وينتقم مني أنا.

ودى نصيحة للجميع أي حد يعرف حد مسؤول يحذر إنه يجيب سيرته أمام مسؤول آخر حتى يتأكد أنهم حبايب حتى لو معاه كارت توصية.

وأعود بكم إلى مستشفى بنها فقد ذهبت إلى المستشفى ووجدت أبويا سليم بس عليه حراسة من القسم وعرفت أنه أقنع عم عوض السواق أنه بقا كويس ويقدر يسوق وفعلا ساق العربية ودخل في واحدة ست وابنها واقفين على الطريق وهما في المستشفى بين الحياة والموت ولقيت الحاج سيد باصص في الأرض ولما شافني قاللي: هي

اللي غلطانة حتى اسأل عوض، وأنا حاسس إن المسامير اتفكت وخلاص أجلي قرب وعايزك تخلي بالك من إخواتك.

أقسم بالله نمت على الأرض من الضحك، وقلت له: يا عم الحاج ارحم أمي أنا ورب الكعبة مرفوع عليًّا عشرين قضية تعويض لدرجة أني بدأت أشك أنك بتتفق معاهم، فقاللي: الله يسامحك يا ابني عمومًا أنا خلاص هاسيبلك الدنيا كلها أنا حاسس إن دي نهايتي فقلت ورب الكعبة مانت ميت إلا لما تسجني.



محطة (59)

مش فاكر إيه اللي حصل خلاني أنتقل لشقة صديقي وحبيبي الحاج تيسير الهواري في ميدان أسوان بالدقي لمدة شهرين. وأذكر إن اللي كانت معي في هذه الأيام في شقة تيسير كانت أم بلال وبالصدفة البحتة كان أحمد الريان يسكن مع أم نهى في العمارة المقابلة لعمارة تيسير. وكان أحمد شاري نصف العمارة وعامل الدور الأرضي مسجد، فكنت باصلي معاه في المسجد وسألني عن سبب وجودى هناك فقلت له إني قاعد في شقة تيسير، وعلى ما أذكر أن أم بلال كانت عاملة قلق وأعتقد أن تيسير استضفنا عنده لأن زوجته كانت صاحبة أم بلال والشقة دي كانوا لا يستعملونها.

المهم إني فاكر إني كنت هناك لمدة شهرين وأذكر أن أحمد عزم نفسه على العشا عندي وكان الوقت ده هو ذروة الحرب بيني وبين فتحي، وكان قد أشيع وقتها أن فتحي يتعاطى بعض الأدوية التي أثرت على صحته ولا أريد الخوض في هذا الأمر، ولكن ما أذكره أن أحمد جه اتعشى معايا وجلسنا نتذكر الأيام الخوالي ونتجاذب أطراف الحديث وكل ما أذكره أني أنا اللي قلت له والله يأحمد من يوم مافترقنا وأنا حاسس إن فاقد جزء من نفسي، واقترحت عليه إن إحنا نوقف الحرب بيننا ونحاول ننسق مع بعض خاصة في الأرباح التي نعطيها للمودعين، ونحاول نعمل احتياطيات لمواجهة أي ظروف طارئة وأذكر تمامًا كلمته لي حين قال أنا بافكر نرجع شركاء تاني فقلت له أنت عارف إن أنا وفتحي مافيش اتفاق بينا في الشغل، فهو له طريقة وأنا لي طريقة، فقاللي: فتحي

الآن لا يمارس أي دور في الشركة وأحسست في هذه اللحظة برعب لاحظه هو بنفسه، وعلم أن السؤال اللي خطر على بالي فقالي: أيوه اللي بتفكر فيه حصل فقلت له: يعني الإشاعات صحيحة، فقال: ليس كما يقولون ولكن النتيجة إنه شبه مشلول الإرادة، فقلت له: دي مصيبة سودة علينا كلنا ده لو الخبر تأكد لدى الناس هتبقى كارثة على الجميع، فالريان أبينا أم شئنا هو رمانة الميزان ولو اهتز سينفرط العقد لا محالة فقالي وعشان كده أنا باقترح أننا نرجع شركاء مرة أخرى فقلت له: بس إنت عارف رأيي في العمل في البورصة وأنا مع الاستثمار على أرض مصر حتى لو في التراب فقال لي وهذه نيتي بس أنا واخد مركز مالي بحوالي مائتي مليون دولار ولا أستطيع الخروج منه الآن لأني سأخسر كتير، فقلت له: كام يعني فقالي: مش أقل من 40٪ فقلت له: يا نهار أسود لالالالالالالالا خليه ماتجيش جنبه بس يا ريت مايكنش بالخارج فقالي: لالالالا كلها فلوس الشركة. فقلت له: إذا أنت ناوي تغلق العمل في البورصة وتعيد الأموال لاستثمارها في مصر، وأنا الآن عندي سيولة احتياطية تقارب نصف المليار ومشروعات أكيد إنت عارفها فلو فعلا نفذت ما تقول أعتقد إن إحنا هنعمل أكبر كيان اقتصادي في العالم بس لازم أتأكد أن فتحي فعلا ليس له أي دور، لأن منافستنا بتفرح المودعين لكن لو اختلفنا وأصبحنا أعداء فعلا أعتقد أننا هنقدم أنفسنا قرابين لأعدائنا أبينا أم شئنا وأنا لا أشك في كلامك فأنت عندي أصدق من نفسي ولكن كما قال إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي.

محطة (60)

ما زلت أحوم حول الحدث الأكبر والأخطر في حياتي أنا والريان، وهو كيف اندمجنا وكيف تفرقنا. وقد يندهش القارئ مما سأكتبه الآن ويسأل نفسه وربما يعتقد أنني فقدت السيطرة تمامًا على عقلي وقلمي، فأنا الآن سأقفز قفزة تبدو في الظاهر لاعلاقة لها أبدا بالحدث، ولكنني ولأول مرة أعترف أنني لم أجرؤ على كتابتها من قبل وأن هذه القصة رغم بساطتها فإن بها سطرًا أنا أعتبره أخطر سطر في جميع المحطات، ولن أهتم برد فعل ساخط أو معجب أو محب أو عدو، ولكن يكفيني أنني سأرضي ضميري. ولأول مرة بكل شجاعة وقد وقعت هذه الأحداث في لندن بعدما خرجت من مصر عام 1995 ولم أعد إليها حتى الآن. وأكرر أن القارئ ربما لن يستطيع ربط القصة باندماجي **مع الريان** بسهولة وحتما سأحتاج إلى تفصيل ولكنني أيضًا أعلم أنني أمام عقول تستطيع أن تفرز وتلتقط ما بين السطور بسهولة، وأنا عن نفسي سأوفر عليكم الكثير ولن أستطرد في اللف والدوران وسأقتحم الموضوع.

فبعد أن وصلت إلى لندن وبدأت أشعر بالشتات المصحوب بالخوف من المجهول، وبعد أن وقعت فريسة لأكثر من ذئب كانت رحمة الله وحدها هي حصني، فقد كنت فقدت التركيز وأصبح الخوف والقلق يسيطران على كل قراراتي وانتهى المطاف أنني تزوجت بطبيبة من نيوزيلاندا تعيش في بريطانيا وتعمل في أحد المستشفيات الشهيرة، وكانت قد أسلمت قبل أن أعرفها بخمس سنين وترتدى الحجاب وتقابلنا وأخبرتها

عن ظروف وجودي وعن سبب زواجي منها وأنني لست مستعدًا لتخزين زوجات في كل دولة ثم اضطر لتركهن بسبب أنني لا أستطيع الإقامة في البلد وأن زواجي منها إن لم يثمر عن حصولي على إقامة في إنجلترا فلا حاجة لي بالزواج. وليس معنى هذا أنني عندما سأحصل على الإقامة فسوف أطلقها وكنت صادقًا جدًا معها وصدقتني وتم الزواج وكانت تعلم أني ميسور الحال ورجل ثري ولم تكن تعلم بالتفصيل من أنا وتم الزواج وجلسنا سنتين مع بعض حصلت فيهما على الإقامة الدائمة إلى أن جاءت هالة سرحان وصورت معايا 13 حلقة أصبحت بعدها لا أستطيع أن أمشي في شوارع لندن من المعجبين، وكانت هي سعيدة جدًا بذلك، إلى أن تعرفت على رجل من سوريا كان يتعالج في المستشفى الذي تعمل به وعلم أنها زوجتي، وأخبرها هل تعلمين أنه ملياردير فقالت: أعلم أنه ثري، فقال لها: هذا أغنى رجل في مصر ومتجوز قبلك عشرًا، فقالت له: هو قاللي وظل يوسوس لها أنني سأتركها لا محالة وكانت زوجة هذا الرجل امرأة مغربية اشتركت معهم في الخطة وكنت أنا أثق في زوجتي ولم أتوقع أي عمل مفاجئ منها. وكانت تسافر معي لباريس ونذهب إلى بيتي هناك وكنت أتركها تفتح صندوق البوسطة وتشوف الخطابات وتطلع حتى على الخطابات التي تأتي من البنك، ولأنني رجل غير منظم فكنت أترك لها ترتيب الأوراق لأنني تعودت أن يكون عندي من يرتب أوراقي ويعرض على ما يستحق أن يعرض ودي كانت مشكلتي الوحيدة في حياتي. وعلى أية حال نجح الرجل أن يقنعها أن ترفع عليًا قضية طلاق وأنه يضمن لها مئات الملايين من أول جلسة واتفق الثلاثة لولا خلاف دب بين الرجل وزوجته فقد كنت أصلي الجمعة في المسجد الكبير ووجدت امرأة أمام الباب وأنا خارج تسألني أنت أشرف السعد فقلت نعم، فقالت: أنت زوج فلانة فقلت: نعم، فقالت لي: عايزاك ضروري لأمر خطير جدا!! فذهبت معها وجلسنا في أقرب مكان من المسجد، وأخبرتني أن زوجها وزوجتي الآن في المحكمة لإصدار قرار بتجميد كل أموالي حتى يفصل القاضي بينكما وأخبرتني أنها بعد نص ساعة هتروح بيتنا عشان

تجيب أوراق أملاكك في فرنسا وأعطتني رقمها وقالت لي أنا مستعدة أشهد معك وطرت أنا على البيت وكنت أصارع الوقت، ووصلت قبلها ووجدت كل الأوراق وكان لي صديق في نفس العمارة هي لا تعرف عنه شيئًا لأنه كان رجل أعمال هربان من مصر ومش عايز حد يعرف عنه حاجة، فأخذت الأوراق ووضعتها عنده ودخلت شقتنا نمت وتظاهرت أني لا أعرف شيئًا ووجدتها تبحث عن الأوراق وهي كالمجنونة وسألتني فين الأوراق؟ فقلت: أي أوراق؟ فقالت: أوراقك يظهر حد سرقها فقلت: لالالالالا وضحكت وقلت لها ده المحامي جه اليوم واخدهم عشان هيرفع قضية عالحكومة المصرية ففهمت ما حدث وطار عقلها ووجدتها امرأة أخرى غير التي أعرفها.

ما زلت أكرر أنني ما زلت في صُلب موضوع الاندماج فلا تستعجلوا فأنتم أمام أحداث لم ولن تسمعوها ولا في ألف ليلة وليلة.

طبعًا أنا تأكدت مما قالته لي الست المغربية وساعتها قلت الحمد لله هي اللي بدأت تكتب نهاية علاقتنا. وعمومًا مش هاستعجل وأشوف تطورات الأمور إيه. وكان عندي مبلغ في بنك لندن فيه حوالى مائة ألف دولار وهو الحساب الوحيد اللي هي تعرف معلومات عنه. ولم تمر ساعة ووجدت المُحضر يدق جرس الباب ففتحت له وقدم لي بطاقته وأخبرني أن معه حكمًا من المحكمة صادرًا ضدي ويجب أن أستلمه ونصحني أني أذهب لمحامي فورًا. وكان الحكم هو تجميد كل ما أملك في إنجلترا لحين الفصل في القضية والحمد لله لقيت القاضي في الحكم الصادر يسمح لي بسحب عشرة الآف جنيه من حسابي في الأسبوع، لأنها قالت لهم إني مالتي ملياردير وأنى باصرف أكتر من خمسين ألفًا في الشهر وطبعًا اللي نصحها تقول كده حرمها حتى من نصف المائة ألف دولار لأني خلال شهر كنت سحبتهم وأصبح كل ما تعلمه عن ممتلكاتي صفرًا. ورحنا المحكمة وبدأت تهذي أمام القاضي وتقول كلامًا لا علاقة له بالقضية، وحاولت أن توحى للقاضي أني تبع تنظيم القاعدة. وبصراحة أنا في الأول قلقت بس لما

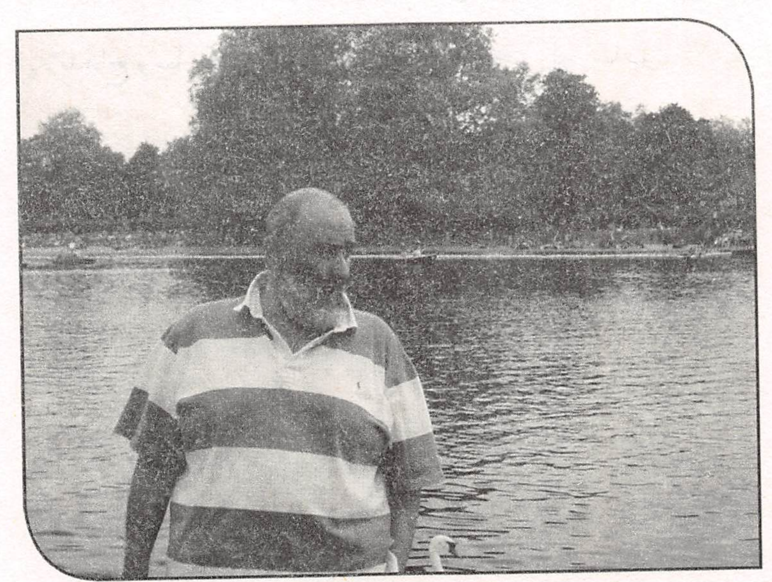
القاضي قالها أنا ماليش دعوة بالمواضيع دي أنا هنا عايز أعرف أملاكه في إنجلترا وهي دي اللي المفروض تهتمي إنتي بيها، لأن الموضوع التاني ده لو صحيح يبقى تروح تبلغي في مكان تاني مش عندي، وساعتها أنا حسيت بأمان شديد وسألني القاضي عن أملاكي وكنت طبعًا قدمت له إقرارًا بأملاكي في إنجلترا، ولم يجد شيئًا إلا البيت والمبلغ اللي في البنك وكنت تقريبا سحبته وكنت طبعًا أخدت خبرة من السابق فحتى البيت كنت راهنه للبنك وكان أملها الوحيد أن أسعار البيوت ارتفعت فكان هتاخد نصف البيت، ولكن هي لم تدمر حياتها معي من أجل نصف البيت ولا حتى من أجل مائة ألف دولار، فقد كانت تعتقد كما سول لها الشيطان الذي أرسله الله ليخرب بيتها بيدها. والمهم هي حست أنها راحت في مصيبة وإنها خسرت كل شيء عندما سمعت القاضي يسألني وأنا أجيب وهذا هو بيت القصيد، والسبب الذي من أجله ذكرت القصة الآن فقد سألني القاضي: هل صحيح أنك مليونير كما تقول هي؟ فقلت له: غير صحيح فأنا بليونير وأغنى مما تتخيل حضرتك. فقال لي: وأين أموالك؟ فقلت: في مصر، ولكنها مجمدة فقال لي: ومن جمدها؟ فقلت له: حسني مبارك رئيس مصر فقال لي: ولماذا جمدها؟ فقلت له: لأنه يكره المسلمين فقال: وهل هو مش مسلم؟ فقلت: هو يكره المتدينين ويحاربهم، وهنا بيت القصيد فقد استطعت أن ألبس ثوب الناسك المضطهد من أجل دينه، وهذا ما أقوله لأول مرة في حياتي رغم أنني لم أكذب في كلمة، وفعلا أموالي كانت مجمدة وكنت متأكدًا أنها جُمدت ظلمًا ولكنني استغللت تعاطف الناس مع المظلوم خاصة إذا كان من أجل دينه وحولت قضيتي من قضية حرب كيانات اقتصادية، ربما تكون جريمة الدولة الكبرى أنها غيبت القوانين وسمحت لكيانات مالية بالتضخم دون سيطرة منها في البداية، وتدخلت في وقت متأخر جدًا وبطريقة غبية غير مدروس عواقبها، ولكن الأكيد أنها لم تكن حربًا على الإسلام أو حتى على المتدينين ولكنها بسبب جهل وغيرة وحقد مافيا المال في مصر وبسبب حروب بين المسؤولين أنفسهم، وقد كان هذا هو الأسلوب المتبع في الغرب وحتى الآن فكل من يريد أن يعيش في الغرب كان يدعي

أنه مضطهد دينيًّا وربما لم يركع ركعة في حياته ونجحت أنا جدًّا في ذلك واعترافي الآن بهذا أجده في غاية الأهمية لأن معظم ما يحدث الآن ونشاهده على الشاشات ما هو إلا حروب على دنيا حقيرة ومال فانٍ ومناصب زائلة ولكن أبطال هذه المظالم الزائفة يُلبسونها ثوبَ الدين حتى يتعاطف معهم الناس بفطرتهم التي خلقها الله بحب كل من هو مظلوم لدينه، وهذا ما يحدث الآن في العالم فأنا لست ملاكًا ولا نبيًّا مرسلًا معصومًا فأنا بشر لي أخطاء كثيرة جدًّا ستر الله معظمها عن الناس وأنا فعلا كل ما قلته في محطاتي حدث بالحرف والشيء الوحيد الذي أفتخر به أنني حافظت بكل قوتي وحاربت من أجل أن أحافظ على أموال من ائتمنني ولم أخرج من مصر إلا وأنا متأكد أن أموال الناس أضعاف مضاعفة مهما تعرضت للسرقة والنهب وهذا ليس مجاله الآن. وعلى فكرة كثير ممن يعبدون البقر ومن لايؤمنون بالله كذلك أمناء جدًّا فالأمانة فطرة فطر الله عليها البشر، والذي ينحرف عنها هو شاذ غير سوى. والمهم أنني سردت هذه القصة لأنني نجحت وببراعة أن أثبت في معظم الأوقات أنني اتظلمت لأنني مسلم وهذا لم يكن صحيحًا، ولكن للأسف جهل المسؤولين في مصر وغباؤهم الشديد جعل هذا الأمر مطية يمتطيها كل من أراد حرب النظام، والسبب الوحيد الذي جعلني أذكر هذه القصة مع قصة الاندماج هو أنني فعلا قادر أن أقنع كل من يقرأ كلامي أننا كنا ضحايا نظام فاجر كافر يكره الإسلام والمسلمين وأنهم هدمونا لأنهم خافوا من نجاح الإسلاميين وأننا كنا أطهر مما يتخيل البشر وهذا أكيد ليس صحيحًا، وأنا لن أفعل ذلك فقد تكون صراحتي في نقل الأحداث وكشف النقاب عن الشكل الحقيقي للأحداث قد تكون سببًا في مزيد من احترامي لنفسي وأنا هنا لا ألمح أننا ارتكبنا جرائم بل أنا سأحكي ما حدث بالحرف وهناك بلا شك أخطاء لسوء التقدير وهي في رأيي أخطر من الجريمة فأنا كنت وما زلت مقتنعًا أن التعامل مع النصاب الذكي أرحم ألف مرة من التعامل مع الأمين الغبي الذي لا يقدر عواقب الأمور فكم من كافر بكل الأديان قامت له دولة واستقرت وسقطت دول مؤمنين بالله بسبب غبائهم.

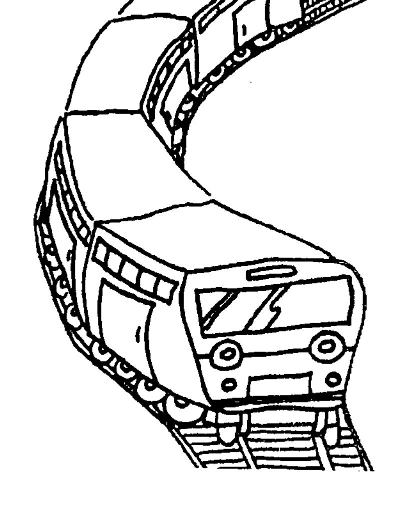
والذكاء لا محالة مرتبط بالعدل والغباء لا محالة مرتبط بالظلم، وقبل أن أدخل في الاندماج وكيف حدث أعود لزوجتي الطبيبة فقد وصلت إلى درجة الجنان خاصة أن القانون البريطاني يسمح للزوجة بأخذ نصف ممتلكات زوجها إذا كان الزوج كون ثروته أثناء فترة الزواج أو عاشوا معًا فترة طويلة وطبعًا هي لم تحصل على شيء وتدخل أهل الخير وأعطيتها مبلغًا بسيطًا وافترقنا ولا أعرف عنها شيئًا من أربع عشرة سنة. والحمد لله عافاني الله وحصلت على الجنسية البريطانية بطرق قانونية بحتة علمتها بعدما خدت مليون علقة من الحياة. وكان أسهل شيء لو كنت أعرفه وقتها أن أطلب اللجوء بسبب الاضطهاد الديني والحمد لله أني لم أكن أعرفها، واختار لي القدر أن أمر بكل هذه التجارب حتى يتفتق ذهني لأشياء لم تكن تخطر ببالي. الآن أنا أرى بعين مختلفة تمامًا عما قبل وعن معظم الناس وخاصة المصريين الذين ما زالوا يتعاطفون مع ما تسمعه آذانهم وأعينهم مسحورة، ولذلك كل أصحابي اللي هربوا بعد كده وجم لندن أنا وفرت عليهم بلاوي سودة، وطبعًا كنت مستشار الهاربين الخاص بس ببلاش والله العظيم.

ونعود للاندماج وسأحكي ما حدث بكل شفافية حتى لو أساء لي.





في أحد المتنزهات في لندن



محطة (61)

مشي الحال واتفقت أنا وأحمد على الاندماج وحددنا موعدًا لإعلان الاتفاق ووافق أحمد على كل ما قلتُ وأنه سينهي كل علاقته بالبورصة في أقرب وقت ممكن واتفقنا أن يكون الإعلان اندماج الريان والسعد وأن فتحي هو رئيس مجلس الإدارة وأشرف السعد هو العضو المنتدب، وطبعًا لم يكن لديَّ مانع لأني زرت فتحي وتأكدت من عدم قدرته على إدارة أي شيء فكان المرض قد تمكن من جسده، وأنا قلت إنني لا أريد أن أتعرض لأسباب ما حدث له ولكنني شبه متأكد أن أحد المقربين له جدًّا، وللأسف اتضح فيما بعد أنه محامٍ شهير كان السبب في كل ما ألمَّ به.

وباختصار ودون الخوض في أحداث لا أريد الاقتراب منها خاصة أنني لم أكن حاضرها من بدايتها، ولكن الحرب الشنيعة التي نشبت بين أحمد وبين هذا المحامي أكدت لي وقد أكون مخطئا أنه كان يريد السيطرة على فتحي ففتح له أبواب مجتمعات لم نألفها لا أنا ولا أحمد ولله الحمد. ومن الأكيد أن تمسكنا بالدين رغم الضعف الذي أصاب علاقتنا بالدين عندما كثر المال إلا أن هناك خطوطًا لم نتجاوزها وأشهد أن أحمد لم يقترب منها واللبيب بالإشارة يفهم.

وسأخرج من هذه المنطقة فأنا لا أؤيد الخوض فيها لأنها أسوأ فترة مررت بها في حياتي وكادت أن تفقدني كل ما تبقى لدي من دين من هول ما شاهدته بأم عيني وكيف فعل المال بناس كانوا أقرب بالنسبة لي إلى القديسين، وأصبح لديَّ قناعة أن الاندماج هو القشَّة الأخيرة التي من الممكن أن نغلق بها طاقة من طاقات الجحيم التي ممكن أن تُفتح لو نجح المتآمرون على آل الريان في خطتهم.

والغريب أن الدولة كانت بعيدة كل البعد عما يحدث، ولعلني أعتبر أن هذه أكبر جريمة ارتكبتها الدولة وهي عدم إحكام رقابتها علينا، فقد كانت الأبواب مفتوحة على مصراعيها أمامنا جميعًا أن نفعل بأموال الناس ما نشاء وهذا ما سيندهش له الجميع أن الدولة كانت في غياب كامل. فأنا شخصيًا كنت قد نويت أن أكون شركة في لندن وبالفعل حولت مئات الملايين إلى بنوك لندن وعن طريق البنوك الحكومية، والمصيبة السودة إن ماحدش قاللي إنت بتعمل إيه يعني ببساطة كان ممكن مارجعش الفلوس دي أبدًا رغم إن 90٪ منها كانت أموال مودعين وأكيد طالما دخلنا في هذه المنطقة التي كان ممنوع التصوير والاقتراب منها واليوم أصبح كل شيء مباحًا بأمر الضمير فأكيد سوف أتطرق لكل ما بها بدقة شديدة حتى يعلم الناس الحقيقة بكامل جوانبها وليس الجانب الذي نريد نحن إظهاره أو يريد الناس سماعه، فمعظم المصريين على يقين أن الدولة هي من أسقطت هذه الشركات، وكنت أتمنى أن يكون هذا صحيحًا ولكنه بكل أسف ليس صحيحًا بل كانت بداية سقوط التجربة بأكملها هي السطور القليلة التي كتبتها أعلاه وأكتبها الآن. وحتى لا أنسى أو يعتقد أحد أنه قد اكتشف تناقضًا في كلامي فأنا أحكي عن غياب الدولة أثناء تضخم هذه الشركات وبين ما حدث لنا بعد التحفظ على أموالنا وأرجو ألا أنسى أن أفصل كلامي في وقته.

المهم اتفقنا على الاندماج وكتبنا الإعلان وكان فتحي وقت كتابة الإعلان قد نقلوه إلى إحدى المصحات وهذا المشهد جاء بالمسلسل غير الحقيقة، فعندما كتبنا الإعلان وكان لزامًا أن يكون فتحي بجانبي على طاولة الاجتماعات للتوقيع علمت أنه بالمصحة وكان المحامي الشهير قد علم بنيتنا في توقيع الاندماج فأخذ فتحي إلى المصحة حتى لا يتم توقيع الاندماج وطبعًا كنت سأكون أنا الرابح لو لم يتم هذا الإعلان ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولًا، لأنني لم أعلم بوجود هذا الصراع الدموي بين المحامي وبين أحمد بسبب رغبة الأول في السيطرة على فتحي، وللأسف الشديد كتم أحمد عني الأمر وتركني أشاهده بنفسي ولكن بعد فوات الأوان فقد كانت معلوماتي أن فتحي قد نُقل إلى المستشفى عن طريق زوجته لإصابته بحالة إعياء شديدة وبداية اكتشافي لهذا

الصراع الدموي كان بعد نزول الإعلان في الصحف، وفوجئت أن المحامي قد أبلغ النيابة أن أحمد خطف فتحي من المستشفى ولم يكن هذا صحيحًا فقد ذهبت أنا وأحمد ووالده وأخوه إلى المستشفى ووجدناه في حالة تسمح له بالخروج إلا أن علامات التعب والإجهاد كانت واضحة على وجهه، ولكنني لم أتوقع لحظة واحدة أن هناك صراعات داخلية بينهم ولو شكيت ثانية كنت انسحبت فورًا ولكن لا مفر من قضاء الله فأخذنا فتحي وذهبنا إلى غرفة الأستاذ إبراهيم نافع شخصيًّا حتى نوقع العقد هناك، وكان معنا الأستاذ مجدي حشيش المحاسب القانوني لشركة الريان والسعد معًا وكان وجوده عاملًا مطمئنًا لي، فقد أكد لي أن المبالغ التي أخبرني بها أحمد أنها موجودة في بنك أمريكي فعلًا موجودة ولكن إحضارها الآن سيعرضه لخسارة كبيرة واتفقت مع الأستاذ مجدي أن تبقى كل شركة مستقلة بذاتها بعد الاندماج، وأن ما سيدخل خزائن الريان من إيداعات جديدة سيخص الريان وما سيدخل عندي سيخصني حتى تعود أموال الريان من الخارج ونعيد تقييم الشركتين ثم يتم إدماجها بالطرق القانونية، وحتى نرى رد فعل الدولة فكان عندي إحساس شديد أن الدولة ستبدأ الآن في التدخل الحقيقي وكتبنا الإعلان وتم أخذ الصور وتركنا مبنى «الأهرام» وذهب كل منَّا إلى بيته ننتظر رد فعل الدولة والشعب، وقبل أن يدخل الإعلان المطبعة اتصل بي عبدالله أبو العلا مندوب «الأخبار» في شركة السعد وقاللي في ناس حاطة فلوسها عندك في الشركة ويعملون في المطبعة ولما شافوا الإعلان قالوا إن «الريان» اشترى «السعد»، لأن «السعد» فلس فقلت له اسحب الإعلان فورًا ولم يكن في الإعلان كلمة اندماج العمالقة، وكلمته بعد خمس دقائق وقلت له اكتب في أعلى الصفحة اندماج العمالقة فعاد لي بعد ربع ساعة وقاللي مندوب الريان رافض، فقلت له: أوقف الإعلان لحد ماكلم أحمد، واتصلت بأحمد وحاول يقنعني إن ده كلام فارغ ولازم هنسمع من ده كتير فقلت له اسمع ياأحمد هي كلمة وكل اللي إنت قلته لا يساوي عندي فلسًا، وإن لم نكتب اندماج العمالقة أو كل واحد في حاله وسنظل إخوة.



بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم

الريان والسعد

اندماج مجموعة شركات الريان مجموعة شركات السعد
فى صرح واحد عملاق تحت إدارة واحدة من أجل مصرنا العزيزة

السيد/ فتحى توفيق عبد الفتاح رئيس مجلس إدارة مجموعة شركات الريان والسعد للاستثمار والتنمية
والسادة/ أشرف سعد - أحمد توفيق محمد توفيق أعضاء مجلس الإدارة
والسيد/ مجدى حشيش مراقب الحسابات يوقعون عقد الاندماج

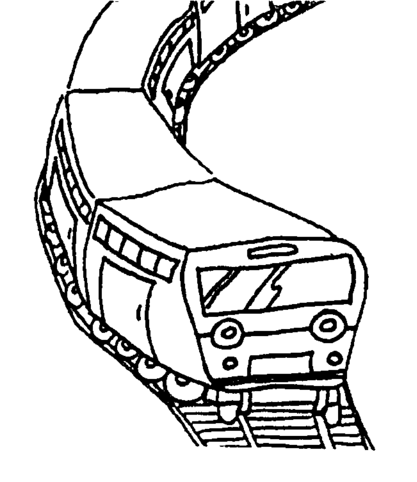
الريان والسعد اندماج العمالقة

- إنشاء آلاف الوحدات السكنية للشباب بالتقسيط كل عام
- صندوق لتحريك المشروعات الوطنية المتعثرة .
- خطة لتنفيذ عدد كبير من المشروعات الصناعية فى إطار خطة الدولة
- استصلاح مائة ألف فدان (مرحلة أولى) .
- مجمع لإنتاج جميع أنواع اللحوم والألبان ومنتجاتها .
- توفير آلاف فرص العمل سنوياً لأبناء مصر .
- الإسهام فى تنمية موارد الدولة فى صورة ضرائب ورسوم وتأمينات
- من أجل عملاء الريان والسعد أصبحنا قلباً واحداً

مع تحيات
مجموعة شركات الريان والسعد للاستثمار والتنمية

الريان والسعد الريان والسعد الريان والسعد الريان والسعد الريان والسعد الريان والسعد

إعلان اندماج «السعد» و«الريان» في الجرائد



محطة (62)

حاسس إني غرزت وإنى غلطت أني اقتحمت أهوال الاندماج وحتى لا أغرق في رمالها المتحركة فسوف أحاول الولوج فيها على مراحل لأنها منطقة ملغّمة جدًّا والترجل فيها يجب أن يكون بحذر فطلقة اللسان أخطر من طلقة المدفع.

نزل الإعلان وبأسرع مما نتخيل فُتحت أبوب جهنم رغم أنها في النهاية كانت بالنسبة لي رحمة كبيرة ولكنني قضيت شهرين من أسوأ أيام حياتي ولست أدري كيف انقلب العالم وليس مصر فقط رأسًا على عقب، وأيامها اتضح لي أن العشوائية ليست في مصر فقط فقد جلست أفكر ما هي خطورة تحالف شخصين هما في الحقيقة أضعف من بعوضة، وربما عندما أمر على باقي المحطات نجد حلًّا لهذا اللغز وما أدهشني فعلًا هو موقف أمريكا وقد تستغربون من كلامي ولكنها الحقيقة. وحتى يكون كلامي واضحًا بلا غموض فسأترك حقل ألغام الاندماج مؤقتًا لعلني أخدع عقلي بأنني لن أعود إلى هذا الحقل وأجبره أن يستجيب لي، لأنني من أمس وأنا أحاول الكتابة ولا أستطيع وهناك شيء يدفعني للخروج من هذا الحقل، ولذلك سأركز الآن على موقف أمريكا وسأحكيه كما حدث ولن ألوم من لا يصدقه ولكنها الحقيقة دون زيادة أو نقصان وأنا متأكد أنني بعدها ستحل عقدة حقل ألغام الاندماج.

فأذكر أن الحاج طالب مشتهي الذي باع لي مزرعة النوبارية عرض عليًّا شراء مزرعة بأمريكا بها مائة ألف بقرة من أجود أنواع البقر المدر للبن، وكانت وقتها شركة السعد تملك مزرعة إنتاج ألبان في برما بمحافظة الغربية بالقرب من طنطا وكانت تعتبر من

أضخم مزارع إنتاج الألبان وقتها، واقتنعت أن أشترى مزرعة كاليفورنيا وإرسال الأبقار إلى مصر وكان مشروعًا ضخمًا جدًّا وكان وقتها أحد مستشاري شركة السعد هو اللواء حسين السماحي مساعد أول وزير الداخلية للأمن العام في نهاية عهد السادات وبداية عهد مبارك وطلبت منه أن يأتي معي إلى السفارة الأمريكاني حتى أحصل على تأشيرة وكان وقتها الأطفال اللي في الشارع يعرفوني وكل ماشي في الشارع أناس تغني الأغنية الشهيرة بتاعة إعلان يالله ياسعد اوفي الوعد، وطبعًا كانت فكرتي إن أمريكا تعرف كل صغيرة وكبيرة فقلت أكيد أول ماهيشوفوني هيختموا الباسبور فورًا. وقلت لحسين بك السماحي أكيد مش هنقعد ربع ساعة وكانت أول مفاجأة عندما وصلنا السفارة، ورغم أن كل الحرس المصريين أدوا التحية لحسين السماحي إلا أن ضابط أمن السفارة استوقفنا عند البوابة وسأل مين اللي عايز التأشيرة؟ فقلت أنا فقال طيب الأستاذ ينتظر هنا وأنت اللي تخش لوحدك وأشار إلى طابور وقاللي أوقف في الطابور ده فقلت ماشي ممكن لسه جديد مايعرفنيش ودخلت ووقفت في الطابور وكان أمامي يمكن عشر أشخاص ووصلت الشباك ولقيت اللي قاعدة مصرية، فقلت بس هي دي اللي هتحترمني فأخدت الباسبور وبصت فيه وقالت انتظر في صالة الانتظار ولما ييجي دورك هننادي عليك فقلت ماشي يمكن كانت في أمريكا ولسه جاية وماتعرفنيش ماهو مش معقول ياخوانا العيال اللي في الشارع يزفوني وأخش سفارة أمريكا ألاقى نفسي نكرة كده.

المهم لطعوني نص ساعة وبعدين نادوا عليا ودخلوني على شباك فيه واحد أمريكاني بدقن فقاللي: اسمك إيه؟ وكان بيتكلم عربي لهجة مصرية ببراعة بس تحس برضه إنه خواجة فقلت له: مكتوب في الباسبور. فقاللي: عارف بس باسألك فقلت: محمد أشرف السيد على سعد فقاللي: بتشتغل إيه؟ وبصراحة بدأت أقفش منه وعقلي يروح وييجي وأقول أومال أمريكا إيه وهباب إيه فقلت له: مكتوب عند حضرتك إني رئيس مجلس إدارة شركة السعد، فقاللي: إيه نشاط الشركة؟ فقلت في نفسي وأنا لسه هاشرح فقلت له نشاط تجاري فقاللي: يعني بتعمل إيه؟ فقلت له: بنتاجر في السيارات. فقاللي: رايح

أمريكا ليه؟ فقلت له: رايح أتفسح. فقالي: معاك فلوس؟ فقلت له: فلوس إزاي؟ فقاللي: يعني هتصرف منين؟

عندك حساب في البنك؟

وكنت هاقوله روح يابني إبعتلي حد كبير أكلمه، فقلت له: أيوه عندي ومعايا الكارد إن ليمتد فقاللي: طب اتفضل استريح، فقلت له: ممكن أسألك سؤال، فقاللي: اتفضل. فقلت: له هو حضرتك وظيفتك إيه في السفارة فقاللي: أنا القنصل.

المهم بعد عشر دقايق نادى عليًا وقاللي: إحنا إديناك فيزا سنة عشان أول مرة وأعطاني الباسبور وقاللي: تنور أمريكا يا حاج أشرف، فتسمرت مكاني وبدت على وجهي الدهشة فقاللي: أنا كنت بهزر معاك أنا عارفك طبعًا وأخدت الباسبور وخرجت بره وأخدت اللواء حسين واتجهنا نحو السيارة وأنا عمال أشتم فيهم وأحكي لحسين بك السماحي ووصلنا العربية ولسه بافتح الباب لقيت حيطة بتخبط على كتفي وبيقوللي: حضرتك الحاج أشرف؟ فقلت له: أيوه. أنا فقاللي: سعادة السفير الأمريكي في انتظارك في مكتبه وبيستئذنك في فنجان قهوة معاه، فبصيت لحسين بك وقبل ما أتكلم أنا لالالالالالالالا أنا هاروح روح قابله إنت خلي السواق يوصلني ويرجعلك، وطلعت الدور العاشر ولقيت السفير واقف على السلم في انتظاري وراح واخدني بالحضن وقدم لي واحد نحيف بلحية خفيفة جدًا لونها دهبي وقاللي: ده الملحق التجاري هسيبك معاه خمس دقائق لأن معايا الرئيس بوش على الهاتف.

وأقسم بالله أنا فقدت السيطرة على ذهني وبقيت مش مركز المهم دخلت مكتب الملحق التجاري وكان بيتكلم مصري أحسن مني بكتير فقاللي: تشرب إيه؟ فقلت له: أي حاجة. فقاللي: عندنا سوبيا تحفة فقلت له: يعني إيه سوبيا، فداس على الجرس وطلب اتنين سوبيا وبص لي وقاللي: أخبار الحاج سيد إيه؟ فقلت له: الحاج سيد مين؟ فقاللي: الوالد هو مش عمل حادثة وطلع من المستشفى وعمل حادثة تانية.

أقرُّ وأعترف شجاعة بكل شجاعة وشفافية أنني لم أفهم مقصد السفارة الأمريكية مما حدث إلا بعد ثورة يونيو.

جلست مع الملحق التجاري وأول ما سألني وقالي: أخبار الحاج سيد إيه؟ فأقسم بالله أني افتكرته بيسأل عن واحد غير أبويا ولما قالي الحاج سيد والدك أنا قلت هو أبويا قتل حد أمريكي وأنا ماعرفش، وسرحت بدماغي وقلت أبويا يعرف الناس دي منين ده أكبر مسؤول عرفه أبويا هو العمدة بتاع بلدنا لأنه خالي وقطع صمتي الملحق التجاري وألقى القنبلة التانية وقالي: وأخبار الحاجة صفية إيه؟ فقلت له: صفية مين؟ فقالي: والدتك. فقلت له: أنت تعرف أمي كمان فقالي: يا سيد أشرف أنا أعرف عنك كل شيء منذ ولادتك في المنيرة حتى جلست معي الآن ووجدت شللًا أصاب لساني ولم أعد أعرف كيف أرد والذي أنقذني من الحيرة هو دخول السفير فرانك ويزنر علينا وسلم عليًا مرة أخرى واحتضني وأنا مستسلم تمامًا له وأخذني من يدي إلى مكتبه وجلسنا في ركن أنيق داخل مكتبه وبدأ الحوار معي وقال لي: أنا فرحان جدًا إنك رايح أمريكا وعلى فكرة أنا عازمك ولازم تنزل عندي في البيت فقلت له: أشكرك على لطفك ولكن أنا ذاهب زيارة عمل وأعدك أني سأزورك خصيصًا فقال لي: إحنا متابعين كل أعمالك هنا وبصراحة كلنا متعجبين إنك قدرت تنجو من مذبحة توظيف الأموال، وكل ده وأنا سرحان وعمال أقول في نفسي هو فيه إيه وإيه اللي بيحصل، حتى ألقى القنبلة الثالثة وكانت الأقوى فداهمني قائلا: لعلمك الرئيس بوش شخصيًا مهتم بك وعندنا أجهزة كثيرة تدرس عقليتك فاعتقدت أنه يسخر مني ولاحظ هو ذلك فقالي: أنا عارف إنك مستغرب بس أنا كنت فعلا هاطلب زيارتك الأيام القادمة، ولما عرفت إنك في السفارة فرحت جدًا وطلبت مقابلتك وأنا لا أزور أحدًا كثيرًا في بيته أو في مكتبه وحتى أثبت لك فأنا عازم نفسي عندك في المزرعة لأني عرفت أن أحلى عنب في مصر هو عنب مزارع السعد فحدد إنت الميعاد وأنا هانفذ فقلت له: خلاص الخميس الجاى وفعلًا أعددت له عزومة فلاحي بط وحمام ورز معمر وسفرة للأسف ماكنش فيه آي فون أيامها، وحتى

لو كان في كنت هاستحى أصورها وكان معاه معظم العاملين في مكتبه واختلى بي وبدأ يسألني عن علاقتي بالجماعات الدينية وطبعًا أنا زي الكرسي اللي قاعد عليه ماكنتش أعرف إنه عايز يجندني ااااااااااااااااااااااااه لو كنت أعرف.

واستمرت العلاقة تزداد قوة كل يوم، وكان معي رقم منزله وأخبرني إن مافيش حد كتير معاه رقم هاتفه في المنزل. وفي يوم كنت في زيارة لوزير الداخلية محمد عبدالحليم موسى وكان صديقي جدًّا وكنا جالسين نضحك في مكتبه وسمعنا هيصة خارج المكتب ودخل مدير مكتبه اللواء محمد حجازي وقاله السفير الأمريكي في المصعد، ودخل علينا السفير وسلم على الوزير وقاله: أصلي بدور على أشرف. فقالولي إنه هنا فقلت في سري: الله يحرقك هتودينا في داهية .

المهم سلم على الوزير وقاللي ابقى كلمني في البيت يا حاج أشرف عايزك ضروري واتحايل عليه الوزير يشرب قهوة فقاله أنا مستعجل. وبعد ماخرج لقيت الوزير وشه اتغير وقاللي: إيه حكايته ابن...... فقلت له: يا معالي الوزير عديها بقه عشان خاطري وأقسم بالله أنا قلت الوزير هيعتقله، وقاللي: هو عايز منك إيه ابن...... تلاقيه عايز ينصب عليك فقلت له: عديها يا باشا خلاص تلاقيه شارب كاس ولا حاجة.

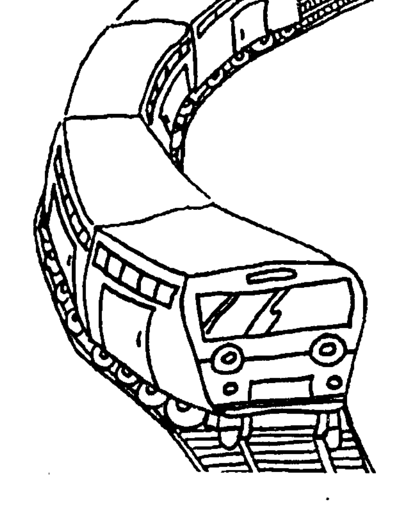
والغريبة إن بعد كده عرفت إن أمن الدولة كان عندها تحركات السفير بالكامل وإن العلاقة بين مدير أمن الدولة وبين الوزير لم تكن على ما يرام، فهناك قاعدة عند أمن الدولة وهي أن الوزير لو كان من خارج أمن الدولة بتكون علاقته بمدير أمن الدولة زفت فضباط أمن الدولة بيعتبروا ضباط الأمن العام أمن مركزي فقط فما بالكم لو كان الوزير من الإخوان.

وطبعًا هذه المعلومات عرفتها من علاقتي بالنبوي بك إسماعيل لما كان وزير كانت علاقته بفؤاد علام زي الزفت، وكمان الوزير عبد الحليم حكالي عن علاقته السيئة بمدير أمن الدولة وكان وقتها اللواء مصطفى كامل ونائبه اللواء رشاد الشرقاوي والد باكينام

الشرقاوي، وهو رجل عبارة عن كتلة من الأخلاق الحميدة تمشي على الأرض، ولكن كانت علاقتهم بالوزير عبد الحليم موسي زي الزفت وهذا من فم الوزير لي، ولذلك لم يكونوا يمدونه بمعلومات وكانت علاقة مدير أمن الدولة بالرئيس مباشرة وكان هذا يزعج الوزير جدًّا وعمومًا هذا موضوع شائك ويحتاج مواضيع أخرى لسردها.

واستمرت علاقتي بالسفير وأنا لا أفهم لماذا إصراره على تقوية هذه العلاقة وكل ما خمنته أنه راجل معجب بعقليتي، وقد يكون هناك نية للتعاون معي تجاريًّا إلى أن جاء يوم وعزمني في بيته على حفل عشاء مدعو فيه كبار رجال الدولة وأخبرني أني رجل الأعمال الوحيد ويمكن كان يقصد رجل توظيف الأموال الوحيد، لأني قابلت يومها هناك السيد محمد فريد خميس والحقيقة كنت أشعر أني غريب في المكان، وحسيت أني غلطت أني حضرت فمعظم اللي هناك سيدات متحررات ورجال معظمهم كل واحد في إيده كاس إلا أنا لابس الجلابية والعمة.

حدث موقف سخيف في الحفلة أنا بصراحة ندمان عليه للآن ولكن الذي يريحني هو أنني فعلته لوجه الله وقد كنت وقتها لم أكمل الثلاثين من عمري واعترف أنني كنت متشددًا بجهل، ولن أحكى كامل التفاصيل ولكن ما حدث جعل العلاقة بيني وبين السفير باردة للغاية ولكنها لم تنقطع، فقد جاءت زوجته لتصافحني فرفضت واعتذرت وكان من أسخف المواقف التي وُضعت فيها ومش عايز أدخل في تفاصيله، ولكن تفكير الشباب أكيد يختلف عن تفكير الرجال الراشدين فكان ينبغي أن أعتذر عن الزيارة وأنا أعلم أنها لم تكن في مسجد.



محطة (63)

المهم حضرتني الآن محطة رغم قسوة الوقت التي حدثت فيه إلا أنها كانت من ألطف محطات حياتي، فكنت قد تعرفت على تاجر كبير من قرية اسمها بهوت مركز بلقاس دقهلية، وكان يتاجر في الألبان المستوردة وكان يتاجر في العملة أيضًا بل كان هو أكبر تاجر عملة على مستوى قريته والقرى المحيطة، فكان يجمع العملة من العاملين في الخارج أثناء إجازاتهم ويبيعها في مصر، وصادف أنني كنت في البنك الوطني كما أسردت من قبل وغالبا أبلغوه أن في اتنين مشايخ جداد مسيطرين على سوق العملة الآن وطلع بص عليا ورجع بلده غاب أسبوعين ورجع، وأقسم بالله ملوك الكوميديا جنبه صفر، فقد كان على طبيعته قمة الكوميديا واسمه الحاج مصطفى الحلواني وكان ذكيًا جدًا، ولما شافني بلحية راح غاب لحد لما لحيته طولت وجه على البنك، وهو كان في سن الخمسين تقريبا وكان عنده سيارة مرسيدس كان اسمها خنزيرة، وكنت متعود أنا إني في وقت صلاة الظهر يوميًا أقف على سلم البنك وأرفع الأذان ثم أؤم المصلين، وفي هذا اليوم سمعت واحد يؤذن قبل الميعاد بنصف دقيقة فسألت فقالوا ده أحد تجار الجملة اسمه مصطفى الحلواني، ورغم أني عرفت إنه قعد أسبوع يتدرب على الأذان إلا أنه أخطأ فيه وبعد ما خلص الأذان دخل عليًا وعانقني، وقاللي: أخوك في الله مصطفى الحلواني، وبدأ يحتضني بقوة وهو يبكي ويقول: اللهم انصر الإسلام وبصراحة أثر فيًا جدًا، واعتقدت أنه فرحان لأن في ناس بلحى متحكمة في السوق، والله أعلم إذا كان متوضئًا يومها ولا لأ، وصلينا ودخل ورايا صالة البنك وقاللي: أنا من طرف أخوك عبد

المنعم سعودي وكان الدكتور عبد المنعم من أحب الناس لقلبي، وهو عم عبد الرحمن سعودي القائد الإخواني وعبد المنعم كان فلتة من فلتات الزمن، فكان يملك مصنع نيسان وسوزكي وكان صاحبي جدًّا فقلت له: أؤمر يا عم الحاج. فقاللي: شوف أنا باجمع العملة من بلدنا وبجيبها أبيعها هنا كل يوم والدكتور قاللي روح لأشرف وهو هيعطيك أحسن سعر وأنا بصراحة عايزك تفضلني عن شوية البهايم اللي هنا.

فقلت له: بتقول إيه، فقال: أستغفر الله زلة لسان، المهم أنا فعلا حبيته جدًّا وأصبح من الحاشية ولا أستطيع أن يمر يوم دون أن أراه وكنت باشتري منه فعلًا بأعلى سعر وأحيانًا كنت لا أكسب منه، وله معي مواقف كثيرة جدًّا لا تقل عن مواقف أبي طرافة ولكن ألطف موقف الذي لن أنساه عندما جاء يزورني في السجن وكنت باقابل الزوار في غرفة خاصة بالزيارات ولحظة كنت أنا وهو لوحدينا في الغرفة، وأرسلوا لي العسكري يستدعيني من الزنزانة ورحت لقيته لوحده في الغرفة، وأول ماشافني أغمي عليه لدرجة إني اتخضيت وجه الحارس رش عليه ماء وأفاق، وقام وهو بيبكي كالأطفال يحتضن فيَّا وشديت إيده وجلسنا على الكنبة لأني كنت لا أستطيع الوقوف كثيرًا، وجلس جنبي وازداد بكاؤه ورغم أني أعرفه جيدًا وعمره ما بكى إلّا لو خسر فلوس إلا أني صدقته لمدة دقيقة وبعدين بدأ يزداد نحيبه وحاضني ومش عايز يسيبني، وأنا أقوله يا حاج مصطفى أنا تعبان ماتتعبنيش أكتر فبعد عني قليلا وقاللي قولي يا حبيبي عامل وعاملين فيك إيه ولاد الكلب دول، عايش إزاي وبتنام إزاي؟ وفجأة حلف مليون طلاق ماهو مروح ولازم ينام معايا في الزنزانة. وكان عارف متانة علاقتي بالوزير فقلت له مش هينفع فقاللي إنت هتستهبل قوم كلم الوزير وقوله الحاج مصطفى عايز يبات معايا وبدأ يشتم في الدولة شتيمة من اللي قلبك يحبها، لحد ما جه عند الرئيس مبارك وقال والحمار اللي فوق ده أنت مش تعرفه ومتصور معاه إزاي يسيبك كده أكيد عايز ياخد فلوسك، ده ريحته طلعت في البلد والناس خلاص مش طايقاه، وبيقولوا هو اللي سرق الريان، وبدأت أشعر أن هابدأ أفك وينقلب حالي من غم إلى سعادة فسايرته في الكلام، وقلت

له بلاش افترى يا حاج فيبص حواليه وييجي جنب ودني ويقوللي اسمع كلام عمك مصطفى أنا جاتني أخبار من ناس فوق إن هو اللي ورا اللي بيحصل بس أنت قوم كلم الوزير وقوله خليني أخش أنام معاك النهارده، عليَّا الطلاق مانا ماشي إنت من يوم مادخلت هنا وأنا ماشفتش النوم وقعد ينهنه زي الحريم، وأنا ماسك نفسي وجت في دماغي فكرة تخرجني مما أنا فيه فقلت له هاروح الحمام وأرجعلك فقام وقف وعيط وقالي روح يا حبيبي روح ييجي ابن الكلب الحرامي يتفرج على الحمامات اللي كانت عندك ويشوفك كنت عايش إزاي، إلهي ما يوعى يتهنى بمليم من فلوسك يا أشرف يابن الحاجة صفية وهو كان بيموت في أمي ويضحكها كل ماتشوفه.

المهم أنا رحت للمأمور وكان صاحبي فقلت له: عايز منك خدمة واللي أنت عايزه هاعملهولك، فقالي: أؤمر والله لو في إيدى ماهاتأخر، فقلت له: عايزك تجيب جهاز تسجيل صغير وتخش عليَّ أنا والضيف اللي معايا وتقعد على المكتب وتبصلنا وبعد دقيقة تطلع الجهاز من الدرج وتبصلنا وتقول مين اللي كان بيشتم في الرئيس مبارك، ورحت أنا لحجرة الزيارة ولقيته لسه بيعيط وقام يبوس فيَّا ويقوللي: أنا فداك يا حبيبي وأنا أقوله: أصيل يا حاج، وبعد شوية جه المأمور وفي أقل من ثانية نشفت دموعه وابتسم وقام يستقبل المأمور ويقوله: اتفضل يا معالي الباشا وهو بينحني قدامه، ونسي أني موجود وقعد يقوله انتو عيون مصر الساهرة ويعلم ربنا أنا بادعيلكم في كل ركعة، أنا أخوك الحاج مصطفى الحلواني تاجر ألبان مجففة من بهوت، ومشي قدامه يفتح له الطريق رغم إن المسافة متر وماحدش معانا وجلس جنب المأمور وأنا عملت نفسي مش واخد بالي، بس الحاج مصطفى كانت رجليه بتخبط في بعض وعمال يبص للمأمور وفجأة طلع المأمور جهاز التسجيل وحطه على المكتب وأول ما شافه الحاج مصطفى حسيت إن فيه تحته ماء، وبدأ وشه يصفر وينتظر القاصمة وشعر أن كل كلامه اتسجل وكان عنده أمل أنه تكون تهيؤات إلى أن نظر إلينا المأمور وقال: مين فيكم اللي شتم الرئيس؟ - وأقسم بالله العظيم كل ما أقوله حدث بالحرف -- فعندما سمع الحاج مصطفى مين اللي شتم في

الرئيس راح قايم واقف وباصلي وقاللي: والله العظيم حرام عليك إنت والريان، فين فلوس الناس هي الحكومة هتعمل إيه ولا إيه، وطبعًا أنا دخلت تحت الكنبة وجبت اللي في بطني من الضحك وهو بيبص عليّا وعمال يشتمني أنا والريان بمنتهى الانفعال.

قبل ما أسيب الحاج مصطفى الحلواني ونوادره أتذكر في بداية معرفتي به ولما عرف إني أنا والريان بدقون ومتدينين وهو راح غاب أسبوعين وأطلق لحيته وجه عرفني بنفسه وقال لي: أخوك في الله الحاج مصطفى الحلواني، وكلمة أخوك في الله دي وقتها كانت بالنسبة لي زي بطاقة تعريف فلم يكن يقولها إلا الشيوخ المخضرمون بالنسبة لي.

وطبعًا كان أكبر مني سنًّا فاعتقدت أنه فقيه وليس متدينًا فقط وكنت باحترمه جدًّا واهزر معاه بحذر لفارق السن ولمكانته الدينية، خاصة إني عمري ما دخلت عليه البنك إلا وأجده فاتح المصحف ويقرأ فيه. ومرت الأيام وتوطدت علاقتنا جدًّا وأصبح كما ذكرت إدمانًا بالنسبة لي وكان متعود يجيب العملة وييجي تاني يوم ياخد مقابلها بالمصري.

وتصادف يوماً آني كنت ذاهبًا إلى القرية ولم أكن وقتها بنيت البيت الخاص بى في القرية، وكنت بانزل في بيت خالي الحاج أحمد وهو ابن خالة أمي ومن أعيان القرية، وكان بيت خالي الحاج أحمد على ثلاثة أفدنة تقريبا، وكان عبارة عن بيت بالحجر كما يسمونه في القرية وبيت بالطوب النيئ (الطين) كما يسمونه أيضًا. والباقي أرض فضاء كنت أستخدمها لتخزين السيارات قبل شراء المخازن الرئيسية وكان خالي الحاج أحمد عنده أفدنة لا أذكر عددها، ولكنه كان من أثرياء القرية وكنت أرى أولاده والفلاحين اللي بيشتغلوا في أرضه وأصدقاءهم يتجمعون في إحدى حجرات البيت الطين ويشربوا (الجوزة).

(وطبعًا أنا كنت باشوفهم قبل التدين وساعات كانت ريحة الحشيش بتبقى فايحة خاصة نص الليل).

وصادف يوماً إني كنت رايح البلد واتفقت مع الحاج مصطفى يقابلني في بيت خالي الحاج أحمد علشان أديله العملة المصرية مقابل اللي ورده لحسابي في البنك، ومش فاكر إيه اللي أخرني فرحت بعد الميعاد بساعتين ووقتها كان بادئ اسمي ينتشر بقوة، وكان الناس كلها بتعمل لي ألف حساب خاصة إني لما بدأت العمل كان معظم الموظفين معايا من أهل القرية وأجوارها.

المهم وصلت بيت خالي الحاج أحمد وكان يحيى السواق متعود أول ما نوصل يضرب كلاكس، وأول ما سمعوا الكلاكس لقيت الحاج مصطفى طالع جرى من البيت الطين ومتجه نحوى وهو في غاية الغضب، وأول ما شافني قال لي: بقى ياراجل ياللى تعرف ربنا تعمل في أخوك كده، وتقعدني مع شوية حشاشين وأنا قاعد في نص هدومي إخص عليك.

والله العظيم عيب عليك وإزاي تسمح بحاجة زي دي؟!

واستمر في كيل اللوم لي وأنا بدأت أخرج عن شعوري.

وسألت بصوت عالٍ: فين خالي الحاج أحمد؟

فأخبروني إنه نايم في البيت الحجر، وكان في انتظاري عشان عاملين عشاء للضيف ومارضوش ياكلوا إلا لما آجي.

فقلت لهم: طيب إدوله خبر إني في البيت الطين.

ومسكت إيد الحاج مصطفى وذهبت إلى غرفة الحشيش وأول ما دخلت كلهم وقفوا فجلست ولم أتكلم كلمة، وجلست وجلس الحاج مصطفى جنبي ولاحظت إن وشه أصبح لون الدم من الغضب.

وظن اللي في الغرفة إننا جايين نقعد معاهم ومافتحتش فمي وقلت هاستنى خالي وأشوف إزاي يقعدوا الحاج مصطفى في غرفة الجوزة. والغريبة إنهم استمروا في شرب

الجوزة عادي، وفجأة لقيت اللي بيرص الجوزة جايبها وبيديها للحاج مصطفى وبيقول له: مساء الخير يابا الحاج.

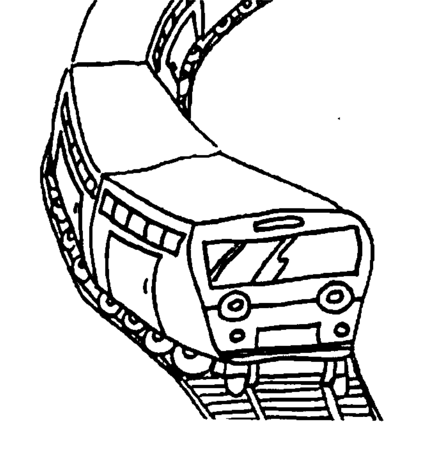
فلقيت الحاج مصطفى(وأقسم بالله) مسك الجوزة وراح حدفها بره الباب وفتح نيران السباب على الراجل وشتيمة بالأم والأب.

ويقول له: إنت إزاي يا كافر تعزم عليًّا بالجوزة؟!

ولقيت كل اللي في الغرفة اتكهربوا وفاقوا من السطل اللي هما فيه.

ولقيت الراجل بيقول له: في إيه يابا الحاج؟ ما أنت قاعد تشرب من الصبح معانا.

وقال له: ده حتة الحشسيش لسه في جيبك ماخلصتش .. تخيلوا إنتو الباقي.



محطة

(64)

لن أكذب إذا قلت لكم إن ثلاجة زانوسي أصبحت عندي كابني البكري، فقد كنت أشعر أنها ولدت على يدي وما أنفقته على المصنع من إعلانات حتى أصبحت هي الثلاجة الأولى في مصر، وبدأت المشاكل تهجم علي بعد الاندماج مع الريان وبعد توفيق أوضاعي وشعرت أنني مقضي عليَّ لا محالة خاصة بعد لقاء المهندس الزراعي التكنوقراطي الدكتور فج النور رئيس هيئة سوق المال.

وقلت: أنا أشعر إنك نفسك لم تعد تعلم ماذا يحدث وأنا الآن عندي المقدرة على تصفية الشركة بكل هدوء وأملاكي باعترافك ضعف أموال المودعين وأنا لا أريد أن يكون مصيري مثل مصير الريان.

فقال لي: وكيف ستصفي الشركة؟

فقلت له: أنا مختلف عن الريان فمعظم أملاكي قابلة لتحويلها إلى سيولة بأسرع وقت خاصة أنني أملك أسطول سيارات وأكثر من 8000 شقة فوق المتوسط، ولو عملت إعلان لتمليك الشركة للمودعين هما هيكسبوا وأنا هاخرج سالما.

فقال لي: القرار ليس قراري.

فقلت: قرار من؟

فقال: لازم أعرض الأمر على رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد وطبعًا أساتذة جامعة وتكنوقراط واتعقد الموضوع بالطبع.

وكان أول مسمار في نعش شركتي عندما استدعاني المدعي الاشتراكي وكان قد تحفظ على أملاك أحمد عبيد، وطبعًا اسمه معايا في الشركة شريك واستدعاني في نصف الليل وقابلت مستشارًا لم أقابل مثله من قبل وأول ما دخلت.

قال لي: عايزين فلوس أحمد عبيد اللي عندك.

فقلت له: كام؟

فقال لي: 150 مليونًا.

فقلت له: إنت غلطان.

فقال لي: إزاي تقول كده؟! إحنا كلفنا أكبر مكاتب المحاسبة.

فقلت له: لو ما فيها إساءة مني دي مكاتب بقالة.

فقال لي: إنت كده تعديت حدودك (وكان الكيل قد طفح عندي).

فقلت له: يا معالي المستشار أحمد عبيد عنده شركة توظيف أموال خاصة به وكل ما بها من أموال ملك لمودعين أليس كذلك؟

فقال: صح.

فقلت له: وأنا عندي شركة توظيف أموال أملكها أنا وأحمد عبيد، وأحمد عبيد ليس معه مستند واحد يثبت إنه دفع فيها مليم.

فقال لي: يعني بتنكر؟

فقلت له: أنا لم أنته من كلامي، ولو سمحت لي أكمل.

فقال: اتفضل.

فقلت: أنا كما قلت لك أنكم وكل مكاتب المحاسبة لا تملكون ورقة واحدة تثبت أن

الحاج أحمد له مليم عندي.

فقال لي: بس هو شريكك.

فقلت: هذا صحيح وأنا برضه لسه ماخلصتش كلامي.

فقاطعني وقال لي: إنت شايف الورقة دي؟

فقلت: نعم شايفها.

فقال: دي مكتوب فيها قرار التحفظ عليك.

فقلت له: وحضرتك بتستأذن مني؟! ما تروح تتحفظ.

فقال لي: إنت مش خايف يعني؟!

فقلت له: فضلا منك دعني أنهى كلامي وبعدين هدد زي ما أنت عايز.

وسألته: أليس عندي مودعون؟

فقال: نعم.

فقلت له: هل لو توقفت أنا عن إعطاء المودعين أموالهم مش حضرتك هتتحفظ عليًا زي الحاج أحمد عبيد والريان؟

فقال لي: طبعًا.

فوقفت وأقسم بالله خلعت جلابيتي وحطيتها قدامه على المكتب.

وقلت له: أقسم بمن رفع السموات بغير عمد إن هذه الجلابية ملك أحمد عبيد وهو ليس شريكًا بل هو كل شيء، وأنا لم أحمل جنيهًا إلا بسبب هذا الرجل، ولكن هناك شيء أهم من فلوس أحمد عبيد وفلوسي وهي فلوس المودعين وأنا هاكتب إقرار الآن وأوكلكم باستلام أملاكي.

وتمضي حضرتك إنك ترد أموال المودعين أولا، وبعد كده اللي يفيض إديه للحاج أحمد، وهو يقرر أنا ليا كام، لكن شغل حلق حوش ده أنا آسف مش هاخاف منه، ولو ماكنتش قابض عليًا الآن فأرجو أن تسمح لي بالانصراف لأني تعبت.

فقال لي: مش هاسيبك يا أشرف.

فقلت: الله موجود.

وخرجت من عنده وأنا متخذ قرار بتصفية كل شيء. وأثناء خروجي من عنده اتصل بي النائب العام وقال لي: أنا عايزك.

فقلت: يا أفندم إحنا نص الليل.

فقال لي: تعالى فورا.

فرحت لقيته فاتح ملف الريان وبيقول لي: إنت وردت للريان مائة مليون كاش في الاندماج؟

فقلت: فعلا حصل، ولما الاندماج إتفك أحمد رد لي أصول بيهم، منها المنقولة ومنها الثابتة.

فقال لي: إحنا هانلغي كل هذه البيوع لأنها تمت في فترة ريبة.

فوقعت على الكرسي وأنا دايخ مش قادر أفتح عيني.

وبعد فترة قلت له: يا معالي الباشا مافيش في إيدى حاجة أقف بيها قصادكم إلا ربنا.

فقال لي: وإحنا بتوع ربنا.

فقلت: إذاً مافيش خوف بس الكلام اللي حضرتك قلته مايرضيش ربنا.

فقال لي: طب إحنا البيوع المنقولة ما فيها مشكلة لكن العقارات سنعيد تقييمها.

فوافقت (وسأعود لمشكلة الريان).

وخرجت من عنده وفي الصباح استدعاني سوق المال وأصبحت من هنا لهنا وكلهم مش فاهم منهم حاجة أساتذة جامعة، أو جهاز المدعي الذي جعلوه يترك القضاء ويتفرغ لشغل محاسبين، وقررت فوراً أن أبدأ رحلة في العالم لبيع مصانعي فكانت أكثر من ثلاثين مصنعًا وحددت ميعادًا مع ملياردير إماراتي اسمه (مهدى تاجر) كان من أغنى أغنياء العالم، وقال لي الوسيط إنه في المغرب فذهبت إلى المغرب وقالوا لي إنه لم يصل وعلم شريكي محمد المنوفي إني هابيع نصيبي في زانوسي فحضر إلى المغرب ومعه أخوه وعرضوا علي 38 مليون جنيه ثمن حصتي ويحطوا في حسابي خمسة ملايين خارج العقد، ووافقت وذهبنا إلى سفارة مصر في الرباط ووقعنا العقد أمام السفير وكتب في العقد أنني بعت حصتى لأولاد المنوفي بشرط وضع المبلغ في بنك قناة السويس، وبعد الحصول على موافقة سوق المال ووزير الاقتصاد كان الرد منهم بالرفض.

فضربت تعظيم سلام واتصلت بالدكتور فج النور..

وقلت له: أظن مفيش حُسن نية أكتر من كده وانتو اللي رفضتوا.

فقال لي: عداك العيب.

ومرت الأيام وتم التحفظ علي وأودعت سجن المرج وكنت في حالة نفسية صعبة جدًا، وكان بجواري في السجن المخرج أحمد الخطيب شقيق ماجدة الخطيب وكان قد تعلق بي جدًا فترة سجني معه، وكان بينام على البلاطة اللي جنبي وفى الصباح لقيته ماسك الجورنال وبيتعمد إنه يوريني حاجة.

فقلت له: في إيه يا أحمد؟

فقال لي: في خبر عنك وأعطاني الجورنال فوجدت تصريحًا من المدعي إنه تم بيع حصة السعد لأولاد المنوفي بمبلغ 12 مليونًا فطار عقلي وكدت أجن وذهبت إلى غرفة المأمور.

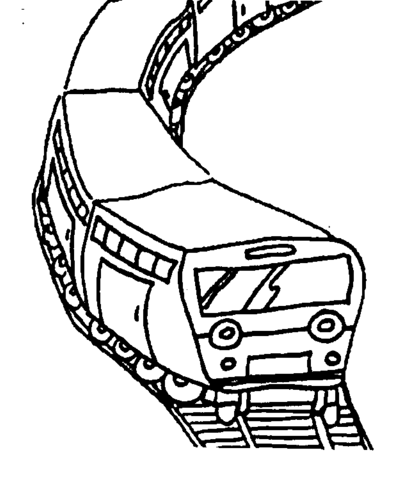
وقلت له: عايز ابعت تلغراف للرئيس مبارك وللنائب العام ولرئيس الوزراء وإلا والله العظيم هاقطع شرياني أمامك الآن.

(وكان إيماني لحظتها تبخر تماماً من عقلي).

فقام مسرعًا وقال: لالالالالالا ده من حقك أكتب اللي إنت عايزه وأقسم إنه هيبعتهم، فكتبت شكوى حكيت فيها ما حدث حتى الخمسة ملايين اللى خارج العقد وقلت له إن هم أنفسهم عرضوا 38 مليونًا ولو حد غيرهم كنت هأقول يمكن مش واخدين بالهم بس العقد عندهم.

وفعلاً الشكوى وصلت ووجدت تاني يوم المدعي الاشتراكي باعت يستدعيني من السجن وكان أسوَأ استدعاء في حياتي.

فهذا الرجل حتى قيام الثورة لم أكن أعرف ردة فعلى معه إذا قابلته........ ألقاكم في مكتب المدعي الاشتراكي.



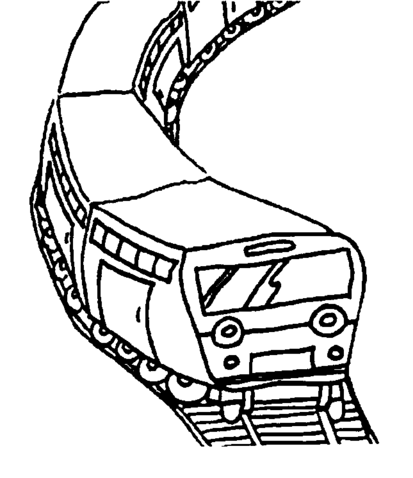
محطة (65)

رغم كل المآسي والآلام التي ستقرؤونها في المحطات القادمة إلا أنني عندما رأيت الرئيس مبارك ونظامه في قفص الاتهام ذهب من قلبي كل الحقد والغل الذي كان فيه بل تحول إلى تعاطف.

عندما أرسلت شكواي إلى رئيس الدولة وصورة منها إلى رئيس الوزراء وإلى المدعي الاشتراكي وكتبت فيها ما حدث بالتفصيل ومؤيد بمستندات موجودة لدى أجهزة الدولة، أخبرتني إدارة سجن المرج في الليل أن المدعي الاشتراكي أرسل في طلبي وهذه لوائح السجون أن يخبروا المسجون بميعاد جلسته قبلها بليلة. وقمت في الصباح ونادوا اسمي فخرجت فوجدت ضابط الترحيلات برتبة مقدم واصطحبني إلى سيارة الترحيلات، وقبل أن أصعد إليها قيد يدي من الخلف فقلت له هل من الإنسانية أن تفعل ذلك فلم يرد، وصعدت إلى السيارة ويدي مقيدة من الخلف وقطعت السيارة المسافة من المرج إلى ميدان لاظوغلي في ساعتين، وعندما وصلنا إلى جهاز المدعي نزل الضابط وصعد إلى السيارة وفك قيدي فقلت له ماتخلينى أنزل كده أمام الناس عشان يشوفوني، فلم يرد وفك القيد ووضع يده في القيد معي واصطحبني إلى المصعد وكانت أول مرة أدخل الجهاز بعد عودتي من الخارج رغم مرور شهرين على وجودى في السجن. ووصلنا مكتب مدير إدارة الأموال المستشار محمود سامي وكان مكتبه بجوار مكتب المدعي العام، وكان وقتها المستشار جمال شومان والغريب أن الفرق بين جمال شومان ومحمود سامي كالفرق بين النار والماء.

المهم أخبروه أنني بالخارج مع الحرس فأمر بدخولي وعندما دخلنا نظر إلى ضابط الحراسة وقاله فك الحديد من إيده، فأخرج الضابط المفتاح ووضعه في القفل وبالصدفة نظرت على مكتب المستشار ووجدت شكوتي أمامه، وبعد أن فك الضابط قيدي نظر له محمود سامي وقاله: انتظر أنت في الخارج وعندما خرج الضابط فاجأني محمود سامي بقنبلة لم أكن أتصور أن تحدث، ووجدته ينظر إليَّ وهو يصرخ ويقول: يا كلب إنت بتغلط في النزاهة يا كلب. وكانت أول مرة يتجرأ عليَّ أحد بهذه الطريقة ولم أشعر إلا والدموع تنهمر من عيني، ومع ذلك لم توقفه عن السباب، وكان مثل الثور الهائج وأمسك بشكواي وقال إنت بتتهم النزاهة يا كلب فتماسكت وخرج الكلام من فمي بصعوبة، وقلت له: أنا مش فاهم حاجة فقاللي: إنت فاهم، كويس ولو فاهم إن شوية الكلاب اللي كنت بتتحامى فيهم دول هينفعوك تبقى غلطان، فقلت له: برضه مش فاهم حاجة فقال لي: إيه اللي إنت كتبته ده؟ فقلت له: أنا كتبت اللي حصل ولو حضرتك كنت بتبيع لناس تانية كنت هاقول مش واخدين بالهم لكن أنتم تبيعون لنفس المشترين وهم شركائي وهم عرضوا من قبل ثلاثة أضعاف السعر وهيئة سوق المال رفضت. فقال: أنت مش عارف إني ممكن أسجنك. فقلت له: أنت جايبني من السجن. فقاللي: لالالالالالالالالالالالا السجن اللي هتشوفه حاجة تانيه اللي ولم يعطني أي فرصة لكلمة زيادة وضغط على الجرس واستدعى الضابط وقاله خده. ورجعت كما حضرت مقيدًا بنفس الطريقة ووصلت السجن وأنا عبارة عن حطام رجل ودخلت العنبر ووجدت مشرف العنبر حزينًا جدًا وأخبرني أن الأوامر أن أنام أمام دورة المياه. وأصبحت حياتي جحيمًا في العنبر حتى إن المساجين أنفسهم كانوا غاضبين من أجلي وتحت الضغط النفسي الذي مارسوه أرسلت خطابًا إلى المستشار محمود سامي وقلت له: إنني عندما دخلت السجن تعرضت لتناول أقراص مخدرة دسها لي المساجين في الشاي وأصبحت لا أعيش بدونها، وعندما كتبت الشكوى كنت تحت تأثير الحبوب فاستدعاني وقابلني بو-جه غير الوجه، ولاحظ أنني مرهق جدًا وتعبان فقاللي: لو عايز تـخش الحمام

تستحمى خش، فقلت له: مالوش لزوم أشكرك فقال لـي: عمومًا يا أشرف أنا قريت الشكوى مرة أخرى واستدعيت أبناء المُنوفي ورفعت السعر إلى 18 مليونًا وهناخد ثلاجات بأربعة ملايين نوزعها على المودعين يبقى السعر 22 مليونًا فقلت له: كده يبقى منتهى العدل ونبقى ضحكنا عليهم. وكان جنبه بعض الموظفين فضحكوا فنظر لهم نظرة كادوا يصابون بشلل، والتفت لي وقاللي: يعني خلاص هتمضي عقد البيع فقلت له: طبعًا هامضي، فقاللي: خلاص أنت ترجع السجن وأنا هابعت أجيب ولاد المنوفي وابعتلك عشان توقع. والغريبة أنه لم يكن يحتاج إلى توقيعي فالمحكمة أعطته حق البيع دون الرجوع لي ولكن هو كان يريد تأمين نفسه ألَّا أعود عليه في المستقبل وأتهمه أنه باع أقل من الثمن. وجاء وقت التوقيع وذهبت إلى مكتبه وعرض عليَّ العقد فوجدت أنني أبيع خمسين ٪ فتوقفت وقلت له: يا فندم أنا أملك 75٪ من المصنع، فقال: هما مقدمين عقد شراء لنسبة 25٪ منك وموقع في الشهر العقاري، وأعطاني العقد فقلت له: تديني الأمان أتكلم ولا أوقع وخلاص، فقاللي: لا اتكلم. فقلت له: تاريخ تسجيل العقد في الشهر العقاري كنت أنا في باريس وحضرتك كنت مبلغ السفارة المصرية أنها تبلغ الإنتربول يقبض عليَّا، فكيف دخلت مصر ووقعت في الشهر العقاري.



محطة (66)

الغريبة إني اعتقدت أن المستشار اقتنع وهو يحقق في التزوير الواضح والذي لا يحتاج لإثبات. والأغرب إني تأكدت أنه ليس له مصلحة أو ارتشى، ولكن وللأسف كان هناك صراع عنيف بينه وبين النائب العام وهذا ما علمته بعد خروجي من السجن وسأشرحه بالتفصيل، فقد كان النائب العام متحفظًا على شركة الريان والشريف ومحتاس فيهم ومش عارف يرد أموال المودعين. وكان المدعي الاشتراكي هو المسؤول عن السعد والهدى مصر وبدر، وطبعًا كان محمود سامي عايز يرد الأموال للمودعين بأسرع وقت حتى لو على حساب المودعين أنفسهم، لأنه للأسف باع معظم الأصول بواحد ٪ من قيمتها الحالية وأربعين ٪ من قيمتها وقتها، واسمحولي أقفز خارج الموضوع وأعود إليه في أسرع وقت، ويا ريت تركزوا شوية عشان تعرفوا حجم المأساة فالجهة التي قدمت البلاغ في شركة السعد هي هيئة سوق المال وقدمته للنائب العام، لأنه الجهة المختصة، واعتقد النائب العام أن شركة السعد مفلسة فأرسلها للمدعي الاشتراكي عشان يورطه فيها فأصبح النائب العام مسؤولًا عني جنائيا والمدعي الاشتراكي مسؤولًا عني إداريًا، يعني يبيع أملاكي ويسددها للمودعين ثم يبلغ النيابة العامة بمركزي المالي وأنا عندما خرجت من السجن لأني سددت كافة أموال المودعين رغم العبث الواضح والتبديد غير المسبوق لأموالي، إلا أن الأموال التي كانت تحت يد المدعي الاشتراكي قد سددت المودعين وتبقى عشرات الملايين، ولما خرجت من السجن كان لازم المدعي العام يبلغ

النيابة أنني قد سددت كامل أموال المودعين. والعجب العجاب أنني قابلت النائب العام وقالي بلسانه أنا بإيدي اللي عايزه القطع دي اللي حولتك للمدعي لأني كنت فاكرك مفلس واهو ابن................. (وطبعًا فوجئت بوابل سباب في المدعي) كذا وكذا دلوقتي بيترسم قدام الرئيس إنه سدد مودعين السعد. وباختصار طلب مني أن أساعده في إنهاء مشكلة الشريف والريان، وطبعًا أنا وافقت دون تفكير لأني عارف إن روحي ما زالت في يده وأنا عارف إني شتتكم الآن ولكن سوف أفك هذه الألغاز في أسرع وقت.

المهم أنا وافقت إني أقوم بسداد أموال الشريف والريان وهاكتب كيف تم الاتفاق على ذلك، ولكن قبل ذلك أخبركم بما فعله المدعي الاشتراكي عندما علم بلقائي مع النائب العام، وسألني: الكلام اللي أنا سمعته صح؟ فقلت: صح يا فندم فقاللي أنا باحذرك إنك تساعده ده راجل.......... شتيمة طبعًا فقلت له يا فندم هو بيحاكمني جنائيًا وأنت إداري وأنا بين فكي الرحا.......... المهم عشان لا أشتتكم فهذا الموضوع من أخطر المواضيع التي ممكن يقرأها المصريون سواء عوام الشعب أو حتى المسؤولين أنفسهم، وسأقصها بالتفصيل ولكن أعود الآن لقصة زانوسي، وما جعلني أكتب الحوار السابق هو سبب استغرابي لتعنت المستشار محمود سامي وحرصه على بيع ممتلكاتي بأسرع وقت حتى يظهر أمام الرئيس أنه هو الذي رد الأموال، وكان يطمع في منصب المدعي الاشتراكي وهذا ما لاحظته من صراع بين المدعي نفسه وبين نائبه، فالشعب المصري للأسف ضائع ليس بسبب الفساد ولكن بسبب الصراع على المناصب والتقرب من الحاكم حتى لو على حساب أنفسهم فكما قال الله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: 14] وهذا الموضوع مليء بالتفصيلات التي تشيب لها الرؤوس ومنها مواقف طريفة رغم ما بها من آلام.

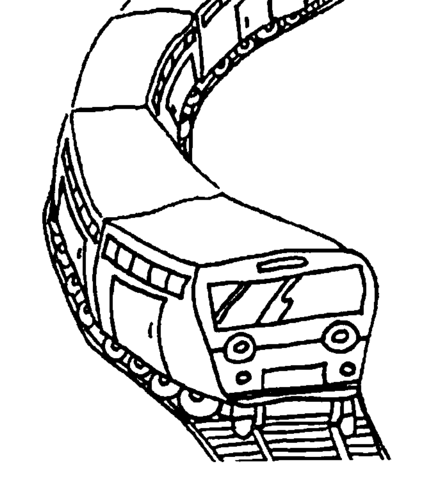
المهم قال لي المستشار محمود سامي: شوف يا أشرف إحنا اتفقنا على هذا السعر بغض

النظر عن نصيبك، فقلت له: خلاص حضرتك بيع ومن حقك تبيع من غير إمضائي فقاللي: إنت بتهددني؟! فقلت له: أنا ماقدرش أهددك لأني مسجون ومقيد الحرية، ولكن أنا عندي الشجاعة إني أقولك إن هؤلاء مزورون وحرامية، وأنا الذي أنقذتهم من أن يأتوا إليك مقيدين في الحديد بسبب القروض التي كانت عليهم. وبصراحة ماعنديش حاجة أقولها غير حسبي الله ونعم الوكيل، ولكن أقسم بالله أن طول مافيًّا نفس فلن أتركهم وهاحاكمهم سواء بك أو بغيرك.

فقال لي: إنت فاكر نفسك ليك قيمة وبدأ يثور كالثور الهائج لدرجة إني خفت أنه يموت، فقلت له: أنا هامضي عشان خاطرك فقاطعني وقاللي: لالالالا مش عايزك تمضي، وضغط على الجرس وقال للحراسة رجعوه السجن ورجعت السجن ووصلت قبل غروب الشمس، وذكريات السجن فعلا كئيبة ومزعجة جدًّا بالنسبة لي ولا أريد الغوص فيها. واسمحولي أعود بكم إلى الوراء وأعدكم أنني سوف أتغلب على شتات عقلي وأجبره أن يتذكر دون تشتيت، ولكن لا أستطيع أن أُكمل موضوع المدعي الاشتراكي وزانوسي دون العودة لأول يوم دخلت فيه السجن بعد عودتي من الخارج، وطبعًا لن تمر المحطات دون أن أقف على أسباب ذهابي إلى فرنسا ومنها إلى إنجلترا.

المهم وصلت مطار القاهرة وكان وزير الداخلية محمد عبد الحليم موسي صاحبي جدًّا، وكلمته في التليفون من مطار هيثرو وقلت له أنا راجع مصر فقاللي تشرف. وطبعًا لما قابلنى قاللي: إيه اللي رجعك ده أنت هتتفشخر؟ فقلت له: إنت مش قلت لي تشرف، فقاللي: إنت أهبل كنت عايزني أقولك ماترجعش عشان أنام أنا وأنت على بورش واحد، فضحكت وقلت له: لالالالالا أنا باهزر أنا عارف إن موقفك حساس وعارف إن مافيش في إيدك حاجة بس أنا عايز أشوف أمي وفعلا أرسل معي اتنين ضباط لأن كان فيه أمر بالقبض عليًا من المطار، والحقيقة كانت مخاطرة منه ولكن هو كان راجل بكل ما تحمل الكلمة وأرسل معي الحراسة ورحت البلد ونمت يوم عند أمي وتاني يوم رجعنا

ورحت لمجمع التحرير لحد ما يعرضوني على النيابة. والحقيقة كان الوزير موصى عليا في المجمع يعاملوني معاملة طيبة وجلست في المجمع 15 يومًا أذهب يوميًّا للنيابة للتحقيق معي والحقيقة السجن كان أرحم من المجمع كتير، بس الفرق إن الزيارة كانت مفتوحة 24 ساعة وعندما أمرت النيابة بحبسي 45 يومًا كان إجباريًّا أن يرحلوني لطرة وطبعًا أول ماشفت طرة افتكرته أيام ما رحت أنا والريان في بداية شغلنا، وطبعًا الاستقبال كان مختلفًا لأني المرة دي كنت مشهور جدًّا، فكان السجن واقف على رجل وعم نمر أول ما شافني خدني بالحضن.



محطة (67)

عندما رحلوني إلى طرة ودخلت إلى غرفة المأمور واستلمني من الحراسة والحقيقة الاستقبال هذه المرة كان مختلفًا عن استقبالي أنا والريان في بداية حياتنا، فعم نمر كان يعرفني من أيام الـ 500 جنيه، وطبعًا بعد ما اشتهرت فلم يسألني عن أي شيء وحتى إدارة السجن لم تدخلني عنبر الإيراد لأنني أصبحت من المشاهير، ومن لوائح السجون أن المشاهير لايودعون في عنابر مع المساجين خوفًا من أي احتكاكات عليهم ونظرا لأني من المشهورين جدًا فقد تم إيداعي التأديب، وهو عبارة عن سجن داخل السجن عبارة عن عنبر به 16 زنزانة يتم إيداع المساجين الذين يخالفون لوائح السجن بها لمدد مختلفة. أما أنا فكنت في التأديب كسكني وليس تأديبًا. ودخلت الزنزانة وكانت الزنازين الموجودة في العنبر كلها مغلقة لأنهم رحلوني بعد ميعاد غلق الزنزاين لأن الزنازين والعنابر تفتح من الثامنة صباحا حتى الرابعة مساء ولذلك لم أر أي مسجون وأغلقوا عليًا الزنزانة. وشعرت أن مجمع التحرير كان يعتبر هيلتون ولم يكن معي أي فراش فجلست على الأرض حتى الصباح، وأعتقد حتى لو كان هناك فراش كنت برضه مش هنام فبدأت أتذكر ما كنت فيه أيام ما اشتغلت شيال ثم عيشة القصور ثم هذه القبور التي سماها يوسف عليه السلام قبور الأحياء، ووقتها لم أكن أعرف أبدا طعم القهوة وعمري ما شربتها وكان اللي بيدخن أعتبره فاسقًا رغم إني كنت قبل أن أعرف جماعة التبليغ مدخنًا شرهًا وطبعًا لم أكن أسمع ولا أعرف عن حبوب مخدرة أو ما شابه ذلك.

المهم عندما جاء الصباح وفتحوا الزنازين جاء جيراني في الزنازين لزيارتي لأنهم عرفوا أن أشرف السعد موجود، وكان في الزنزانة المقابلة لي المتهم باغتصاب فتاة العتبة واللي جنبه 8 من الجماعة الإسلامية واللي بعدها واحد اسمه ممدوح متهم بقتل ومريض نفسي. وقبل أن أترك ممدوح أتذكر أن وإحنا في رمضان كانوا بيسمحوا لينا نفطر خارج الزنازين في الممر الموجود بين الزنازين وكان ممرًّا صغيرًا لايستوعب أكتر من أربعين شخصًا والحمد لله كنا أقل وكانوا بيسمحوا لينا نصلي التراويح.

وأول يوم رمضان وإحنا بنصلي في الركعة التانية لقينا مياه مجاري بتتحدف علينا من فوق فقطعنا الصلاة وبصينا لقينا ممدوح واخد الجردل بتاع قضاء الحاجة وطلع حدفوا علينا وقعد يقول عمليلنا فيها شيوخ يا ولاد........... طب وحيات نجوى أي........... هاشرَّح أمه واتضح إن نجوى دي مراته اللي قتلها.

المهم اتعرفت على زملائي في التأديب وكان فيهم تاجر مخدرات كبير بقه من أعز أصدقائي فترة السجن اسمه محمد سعد، بس والله مش قريبي ده كان فيهم واحد قاتل ولاده التلاتة. وكان في زنزانة في اتنين لوحديهم جماعة إسلامية واحد اسمه عادل زغلول وواحد اسمه مجد ياسين، وكانوا واخدين إعدام بتهمة قتل الأمير بتاعهم، لأنهم شكوا أنه تبع أمن الدولة وتم نقض الحكم، وكانوا في إعادة المحاكمة. وكان في الزنزانة الأخيرة للأسف الشديد 8 شواذ، واحد اسمه فريدة وواحد اسمه تهاني وواحد اسمه سوسن والباقي نسيت أساميهم، ودول بقه لوحديهم عايزين كتاب خاص بهم، فالمهم إدارة السجن جابولي مرتبة وكان أملي الوحيد في الدنيا إني أنام ولا أصحى مرة أخرى إلا في القبر أو خارج السجن، رغم أني كنت لسه ما شفتش السجن على أصوله. وسبب انتقالي بكم إلى هنا هو أنني في أول يوم عزمني أحد أصدقائي المتهمين في قضية مخدرات على شاي بلبن وجابهولي الزنزانة، وبعد نص ساعة حطيت راسي صحيت الصبح وفتحوا الزنازين وجه زارني عادل زغلول وقالي: خللي بالك من فلان اللي هو صاحبي بتاع المخدرات، لأنه بيحط صراصير في الشاي فقلت: صراصير؟ فقالي: آه. فقلت له: أنا

ماشفتش صراصير. فقاللي: ما هي بتدوب وخلاني كنت هاجيب اللي في بطني وسألته ليه بيعمل كده؟ فقاللي: عشان يبيعها فقلت له: يبيع إيه هي الصراصير بتتباع؟ فقاللي: آه بـ 15 جنيهًا، فقلت له: الصرصار؟ وبيشتريه منين فقاللي: بيهربه. فقلت له: إنت شارب حاجة؟ فقاللي: إنت يظهر مش فاهم.

الصرصار ده اسم أقراص هلوسة اسمها صراصير لما تاخدها تحس إن في صراصير على الحيطة، فقلت له: أنا ماحستش بحاجة أنا نمت دوغري فقاللي: يبقى حطلك أبوصليبة فحسيت إني في دولة تانية لا أفهم لغتها.

فقلت له: إيه الصليبة ده؟ فقاللي: ده قرص منوم بس غالي شوية وأكيد هو حطهولك عشان تاخد عليه وتشتري منه، فقلت له: هو فين ناديهولي الله يسترك فقاللي: ليه؟ فقلت له: ده ربنا بعتهولي من السما أنا هاشتري اللي عنده كله، فقاللي: خلي بالك ده ممنوع ولو عايز منوم أنا أجيبلك كل يوم قبل ما يقفلوا الزنانزين فقلت له: الله يسترك وأنا مستعد أدفع أي تمن، بس أنا عايز أنام طول اليوم فقاللي: خد القرصين دول وخد واحد قبل ما تنام بالليل بس خبيهم لأنه ممنوع فقلت له: ده أبوصليبة؟ فقاللي: لا ده نوع تاني قوي بس أرخص كتير، فقلت له: يا عم سيبك من التمن أنا عايز أنضف حاجة فقاللي: إنت هاتدعيلي واداني القرصين وخرج وأنا قلت: أنا لسه هاستنى لبليل وهاخبي وانيل، فقلت أخدهم واهو على الأقل أجربهم ولو صحيت قبل المغرب يبقى كداب ورحت شاربهم وصحيت تاني يوم على صوت إيد الشاويش وهو بيهز فيًّا وفتحت عيني بالعافية وماسمعتش هو بيقول إيه وجيت أتكلم لقيت لساني بيتهته وشبه مشلول.

شعر الحارس أني لا أستطيع الكلام فقاللي قوم عشان عندك زيارة فقمت ورحت واقع تاني لأني لقيت رجلي مش موجودة ولاحاسس بيها، فجرى الحارس ونادى المأمور وشالوني لحد مكتبه واستدعوا طبيب السجن وطبعًا عرفوا بسهولة إني واخد مخدر، فسألني المأمور وقاللي: مين ادهولك؟ فماعرفتش أنطق الاسم لأن لساني كان

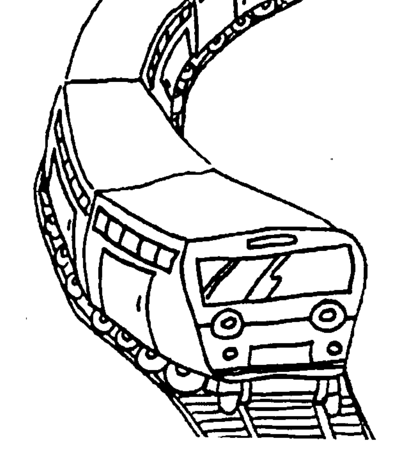
شبه مشلول، فراح المأمور للتأديب وسأل المساجين فعادل قاله: أنا اديته حبيتين من اللي الدكتور وصفهوملي لأنه كان عايز ينام واتضح أن اسمها حبوب استريبتزول مخصوصة للصرع.

المهم قعدت يومين شبه مخدر ولما فقت قلت لعادل أنت كنت هتموتني واعتذرلي وقلت له: لالالالالالالالالالالالالالالا أبوصلبية أحلى حاجة أنا أخدته ونمت وقمت عادي خلينا في أبوصلبية. ورحت للراجل اللي حطهولي في الشاي فأنكر وأقسم أنه محطليش حاجة في الشاي وعادل كداب، فقلت له: والله العظيم أنا فعلا عايز أي حبوب منومة مايكنش لها آثار، ومن هنا لهنا أقنعته وبقه يجيب لي كل يوم قرص أخده وأنام ماصحاش إلا الصبح. وحكيت الحكاية دي عشان لها ارتباط بسجني في المرج عندما أعادني المدعي الاشتراكي لسجن المرج بعد ما رفضت التوقيع ورجعت سجن المرج وكنت طبعًا قدرت أتفق مع أصدقائي في المرج تجار المخدرات أنهم يوردولي حبوب أبوصلبية عشان أنام، ولما رجعت كان ودخلت العنبر وكنت خلاص بقيت مسجون طبيعي لي بلاطتين بنام عليهم، وكنت شاري بلاطة من المسجون اللي جنبي عشان يبقى عندي ثلاث بلاطات وهو كان متخصصًا في وضع يده على بلاطات ويبيعها أقسم بالله أنا باحكي بالحرف فالسجون دولة داخل الدولة وأي حاكم لن يلتفت إلى السجون نهايته انتوا عارفينها، والمصيبة لو كان حاكم اتسجن قبل كده وطلع يعذب في المساجين حتى لو كانوا أعداءه.

المهم كان نبطشي العنبر (أقدم مسجون بيسموه نبطشي العنبر) كان بيحبني جدًا وكنت وعدته إني لما أطلع هاشغل ابنه فكان بيهتم بيا أول ما يقفلوا العنبر.

وكان رئيس المباحث اسمه مجدي خليل والله العظيم أنا مسامحه، بس لم يخلق الله مثله حتى الحجاج بن يوسف كان عنده رحمة أكتر منه. وفي الصباح أول ماتفتح العنبر لقيت الحرس بيقول انتباه فعرفت إن ممكن تفتيش أو الضابط بيمر، وكان مرور فعلا

وكان رائد اسمه سيد خليف ولازم أول ما يدخل كل المساجين يقفوا ووقفت معاهم، فدخل يتفقد العنبر وشور لي وقاللي: تعالى هنا فرحت فخرج بره العنبر وقاللي: تعالى، فخرجت، فقاللي: اسمك إيه؟ فقلت له: أشرف فقاللي: أشرف إيه؟ فقلت له: أشرف سعد. فقاللي: إنت السعد؟ فقلت له: أيوه أنا. فقاللي: إنت ليه مابتشتغلش مع زمايلك وتنضف الحمامات والعنبر، فقلت له: أنا محبوس احتياطي ومش مسجون وأنا عارف لوائح السجون ولعلمك أنا مش بارفض تكبرا أنا بارفض لأنك إنت جاي تتمنظر عليًا، بس والله العظيم لو حسيت إن أي واحد فيهم محتاج أساعده هاساعده رغم إن هما اللي بيعرضوا عليّ يساعدوني.فقاللي: بس أنا بأمرك، فقلت له: إسمع يا سيد بك لو سيادتك متوصي من المدعي فأنا أصلا مافيش بيني وبينه خصومة أنا خصومتي مع ولاد المنوفي وهاعرف آخد حقي، بس لو حضرتك بتعمل كده من نفسك فأنا مش هانفذ كلامك لأنه مش من سلطتك وسيبته ورحت اتجاه العنبر، فصرخ وهو منفعل وقاللي: أقف مكانك فوقفت فجه ناحيتي وقاللي: طب إيه رأيك إنك هتروح تنظف معاهم فقلت له بمنتهى الهدوء: لا إنت ولا مأمورك ولاوزيرك ولا رئيس جمهوريتك يقدر يخليني أعمل كده، وفلتت الدموع من عيني فقلت له: إوعى تفتكر دي دموع خوف أو توسل تبقى غلطان جدًّا وأنا باقولك إنت تقدر تعلقني الآن عشان في إيدك القوة وممكن تجلدني وممكن تودبني التأديب، بس مش هاديك شرف إنك ترجع لمراتك تقولها أنا خليت أشرف السعد يمسح البلاط، وسيبته ومشيت وهو بيصرخ:أوقف مكانك،ورحت للبلاطتين بتوعي في العنبر وخدت حباية من صديقي تاجر المخدرات وحاولت أنام بس مالحقتش لقيت العسكري ده قاللي تعالى.



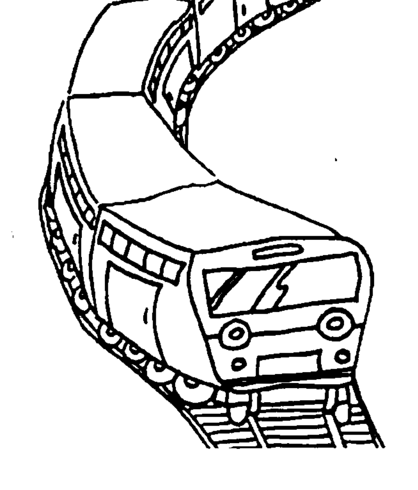
محطة (68)

أقسم بمن رفع السماء بغير عمد أنني لم أحك 1٪ مما حدث فما زلت في المقدمة وما زلت لم أقتحم المناطق الوعرة المملوءة بأسوأ الذكريات والآلام، ولكن هناك شيء أسال الله أن يشل يدي ويخرس لساني إن كنت أكذب وهو إني على استعداد فورا أن أنزل إلى مصر وأفتدى مبارك بنفسي، فعندما رأيته في القفص لم ألم نفسي وأجهشت في البكاء وتمنيت أنني مت قبل أن أراه هكذا، رغم أن كل ما حدث لي كان في عهده وأقسم بالله لايوجد في قلبي أي شيء من ناحيته ولكنني أيضًا أناديه من هنا وأنصحه وأنا أعلم أنه لم يشارك في جرائم ولكنها ارتُكبت بقوة استمدوها من علاقتهم به، ولذلك أدعوه أن يتطهر من كل مليم اكتسبه أولاده بسبب مكانة أبيهم ويرده إلى هذا الشعب الفريد من نوعه، ويكفي أن هذا الشعب رغم كل ما تحمله من عناء وضياع لحياته وكسر لظهره حتى أصبح حطامًا ومع ذلك لم يفعلوا به كما فعل الآخرون بحكامهم، بل كانوا أتباعًا لنبي الرحمة وأتباع كلمة الله وروحه التي ألقاها لمريم، فمسيحيو مصر ومسلموها شعب فريد من نوعه. وأتمنى أن يرد الرئيس مبارك المظالم إلى أهلها إن كان يعلم أنها سُلبت باسمه وما زلت أقرر أن نفسي وروحي فداء يوم واحد يقضيه خلف القضبان وأنا عن نفسي تصدقت بحقي وعرضي عليه وسامحته، أما من لهم حقوق عنده فهم أحرار إما يعفون أو يقتصون بالقانون وأنا لست أفضل من الشعب المصري بل تعلمت منهم الصفح والعفو وهم تعلمونه من سيد الخلق.

المهم أخذني الحارس إلى غرفة المأمور ودخلت عليه وكان يجلس معه رئيسا المباحث

أحدهم اسمه مجدي وهو طويل جدًا ونظر إلى المأمور وقالي: ليه ما بتنفذش كلام سيد بك؟ فقلت له: أعتقد هو أبلغك فقال: ودوه التأديب. وفي الطريق أوقفني رئيس المباحث في حوش السجن وجردني من ملابسي وقال لي: اجلس فجلست فاستدعى الحلاق وجز شعر رأسي والحمد لله لم يتجرأ على لحيتي، ثم أمر بإيداعي التأديب وتأديب المرج مختلف فهو عبارة عن مقبرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. وكنا في الشتاء وأنا مريض بالكبد وواقف بملابسي الداخلية فقط والدموع لا أعرف من أين تأتي، فلو وزنتها لفاقت وزني واسودت الدنيا في وجهي، وكلمت الحارس من شباك صغير وكان متعاطفًا معي جدًا وكنت أرى في عينه الغضب وعندما ناديت عليه قال: لي أتحمل يا باشا دول ولاد كلب فأبكاني، وقلت له: أنا عايز أنام ممكن تتصرف في قرص منوم وأنا هاديك أي مبلغ، وفعلًا راح العنبر وجاب قرصين أخدتهم ونمت كما أنا وتاني يوم رجعوني العنبر وكنت شبه بني آدم لا أقوى على حمل قدمي، وكنت أرى الحزن على وجوه كل السجناء ونمت على فراشي ومرت ساعة وأنا بين النوم واليقظة وشعرت بماء يُسكب على قدمي رفعت راسي ونظرت فوجدت رجلًا نائمًا على قدمي ومجهشًا في البكاء، فجلست فشعر بي إني جلست فرفع رأسه من على قدمي فإذا هو الساعي بتاع مكتبي واتسجن في خناقة بينه وبين جاره وحظه إني جابوه في زنزانتي وعرف إني موجود فلم يتمالك نفسه وسقط على قدمي يقبلها ويبكي، فقلت له وأنا أبكي: أنا مش ناقص ارحمني وقوم قولي إيه اللي جابك هنا فقالي: خناقة وحكموا عليَّا بغرامة ألفين جنيه ومادفعتهمش فقلت له: يعني أنت هنا عشان ألفين جنيه فقال: آه فقلت بأعلى صوتي: يا||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||||| |||||!|||||ارب وأجهشت في البكاء، فأنا محبوس عشان مليارات وهو محبوس عشان ألفين جنيه.. وأنا مستعد أتنازل عن كنوز الدنيا ولا أنام فيها ليلة وأنا أدفع ألفين جنيه في اليوم حتى أحافظ على ما تبقى من آدميتي ما بين مساجين يخدمونني ويساعدونني في الذهاب للحمام وعمل شاي لأني كنت عايش على الشاي بلبن فقط، لأنه يساعد على النوم مع الحبوب، وطبعًا ده عرفته من أصدقائي تجار المخدرات وكنت فقدت من وزني أربعين

كيلو لأني لم آكل خلال سنة سوى مرتين والباقي شاي بلبن المهم قلت له أبعت لأهلك يروحوا البيت عندي ياخدوا الفلوس واخرج، فأقسم ألا يخرج إلا إذا خرجت أنا وأقنعته بصعوبة ولم يكن يمثل بل كان يتكلم من قلبه. ومرت أيام وأخبروني أن حسن الألفي اتعين وزيرًا وكانت علاقتي به زي الزفت بسبب صداقتي لرفعت المحجوب. وهذه قصة طويلة سنمر عليها، ولكن عندما أخبروني أنه أصبح وزيرًا عرفت أن حياتي ستتحول إلى جحيم أكثر مما أنا فيه وفعلا أول يوم تعيينه أخبروني أنهم سيرحلوني إلى سجن المنيا الذي رأيت فيه عجب العجاب، والأعجب إن أماكن التحقيقات التي أذهب إليها أصلا بعيدة عن سجن المرج فما بالك بالمنيا، وكيف سأحضر يوميًّا للتحقيق وفعلا تم ترحيلي ووجدت أحمد الريان في نفس السيارة مترحل من سجن طرة إلى سجن أسيوط، فعرفت أن حسن الألفي بدأ في القصاص من رفعت المحجوب رغم أنه مات وكانت أغرب رحلة لأني لم أكن قابلت أحمد منذ سنتين ولما شفته لم أعرفه ولم يعرفني.



محطة (69)

عندما توقفت سيارة الترحيلات أمام سجن المزرعة بعدما تحركت بي من سجن المرج وكنت أتوقع أنها ستتجه مباشرة إلى المنيا وتفاجأت أن سبب الوقوف هو لترحيل أحمد الريان إلى سجن أسيوط وعندما ركب السيارة تفاجأ بي داخلها، وكانت خلف سيارة الترحيلات سيارة تستقلها امرأة كانت لا تترك سجنًا ذهبت إليه.إلا وكانت تجلس أمامه من الصباح حتى الليل، وهذه المرأة لها قصة مثيرة جدًّا وأثر كبير في حياتي وهي يهودية الديانة إنجليزية الجنسية أسلمت قبل زواجي منها بيومين، ولم أتعمد إسقاطها من سرد الأحداث السابقة ولكنني قبل أن أكتب أخبرتكم أن الأحداث في سردها لا علاقة لها بتواريخ حدوثها. هناك أسباب كثيرة لذلك ليس فقط تقدم السن وضعف الذاكرة ولكن كثرة الأحداث وصغر الوقت بين حدوثها، فلن أكذب أبدا إن قلت إن هناك عشر سنوات في حياتي لم تمر فيهما ساعة وإلا ويقع فيها أكثر من حدث إما إجباري وإما اختياري، وكل واحد يحتاج لكتيب ولذلك تركت العنان لعقلي يُملي على أصابعي ما يشاء ودون ترتيب، ولكن أستطيع أن أجزم أن التاريخ لا قيمة له في الحدث والأهم أنني أحكي الحدث كما وقع وطبيعته تجعله يفرض نفسه في الوقت المناسب وأكيد ستجرنا الأحداث إلى سرد قصتها بالتفصيل.

المهم ركب أحمد السيارة ولم يكن حاله أحسن من حالي إلا، أنه كان كعادته متماسكًا أكثر مني وأصيب بصدمة عندما رآني بقايا أشرف الذي يعرفه لأنني كنت فقدت من وزني أكثر من 40 كج، وصُدم أكثر عندما علم أنني أتناول هذه الحبوب ولا أذكر أننا

تحدثنا كثيرًا بألسنتنا وأذكر أن معظم الحوار كان عن طريق الأعين فكان تأسف تارة وندم تارة أخرى. وأذكر أنه عاتبني جدًّا أنني قد وكلت القاضي الذي حكم عليه بالسجن ليدافع عني بعد خروجه على المعاش، وأخبرته أنه هو الذي جاء لي إلى السجن وقال لي إنه قرأ ملف شركة السعد أثناء محاكمتك حتى يرى الفرق بين المراكز المالية وأنه متأكد جدًّا من براءتي، ولو كنت أعلم أن هذا سيحزنك ربما لم أكن فعلته وقلت له: لا أعتقد أن هذا يضرك إطلاقا وإن نفعني فأنا واثق أنه سيسرك، ولا أدري إن كنت أقنعته أم مات رحمه الله وهو يحملها لي ووصلنا سجن المنيا وسلمت عليه وعانقته وقلت له لعله آخر لقاء وقد كان.

المهم دخلت إلى سجن المنيا ووجدت الجميع في انتظاري، المأمور وكان من أهل المنيا وهم ناس في منتهى الطيبة وكان رئيس المباحث وكل ضباط السجن في انتظاري وأجلسوني في صحن مدخل السجن. وكان رئيس المباحث رجلًا عنيفًا قليلا وطبعًا لا يقارن بضابط المرج ولكن معظم ضباط المباحث الجنائية طبيعتهم متشابهة حتى الطيب منهم يريد أن يفرض هيبته بشتى الطرق. وأذكر أنهم بعد تفتيش أمتعتي وضعوني في زنزانة انفرادية وأول ما دخلتها شعرت أنني أريد أن ألجأ إلى الله وشعرت بخشوع في قلبي وكنت على وضوئي فنويت صلاة ركعتين، وشعرت أن قلبي يحلق في السماء ودعوت الله بالعامية وتكلمت معه كما أتكلم الآن وقلت: يا رب أنا مش قادر ولو سيبتني لنفسي هاهلك، وسمعت صوت باب الزنزانة بيتفتح والعسكري بيقول لحد واقف بعيد ده بيصلي فعرفت أنهم عايزني فسلمت فقاللي هات حاجتك وتعالى، ومشيت وراه ولقيته خرج من باب داخلي داخل السجن ومشينا أكثر من نصف كيلو في وسط أراضي مزروعة داخل السجن فسألته: إحنا رايحين فين؟ فقاللي: التأديب. وكان التأديب بعيدًا عن مبنى السجن بنصف كيلو، ولما فتح الزنزانة وقاللي: ادخل. فقلت له: أنا مش شايف هو مافيش نور فقاللي: عندك لمبة جاز جوه فقلت له مش شايفها فدخل وأشعلها وأغلق باب الزنزانة وخرج، وتيقنت هذه المرة أنه مقبرة فعلا وأن تأديب المرج كان رحمة

وأنا اتبطرت عليه وكان همي الأكبر إزاي هالاقي حبوب منومة هنا وحسيت إني لو مانمتش ممكن أنتحر. وبدأت الدموع كالعادة تمارس هوايتها وجلست أفكر في ذنوبي وأحاول أتذكر أي ذنب ارتكبته ليحدث كل هذا، وحاولت أتذكر كل أحاديث الصبر فلم أتذكر والحمد لله ولله الحمد أنا أحفظ عشرة أجزاء ابتداء من البقرة. وحاولت أتذكر حرفًا فلم أستطع ولكنني تذكرت حدثًا حصل لي في المنيا أول ما عرفت جماعة التبليغ وخرجت معهم وكان خروجنا في المنيا وكنت أول مرة أخرج معهم فيها وكنا حوالى عشرة أشخاص وكان أمير الجماعة طبيبًا بشريًا اسمه رفاعي وكان من قدامى التبليغ في مصر ومعه واحد اسمه ضياء لايزيد وزنه على أربعين كيلوجرامًا. وكان يحفظ القرآن عن ظهر قلب وكان أول احتكاك لي بناس ملتحية وكان عام 78، ذهبنا إلى قرية ركبنا مركبًا وعبرنا النيل لنصل إليها ووصلنا مسجد القرية ودخلنا المسجد، وأخبرنا الدكتور رفاعي إن لازم نصلي ركعتين تحية المسجد، وفعلًا بدأ أفراد الجماعة في صلاة تحية المسجد. وأثناء سجودنا سمعت أبواب المسجد تغلق علينا وسمعت أصواتًا خارج المسجد وكأنها ثورة أو مظاهرة، وبدأ غبار أقدام الناس يدخل من شبابيك المسجد وسمعت حد بيقول قفلنا عليهم وبلغنا المركز. وبصراحة أنا تركت الصلاة ورحت عند الشباك أشوف إيه لقيت أهل القرية عن بكرة أبيها أمام المسجد وشفت ست بتصرخ وتقول ابني كان جوه وقفلتوا عليه معاهم، وتذكرت وقتها جماعة التكفير والهجرة وقلت بس يبقى الجماعة دي تبعهم وأكيد هيقبضوا علينا وجهزت نفسي إن أول ما ييجي البوليس أقولهم إني لسه جاي من فرنسا وأنا عمري ماصليت. وكان ولله الحمد والمنة علبة السجاير في جيبي فقلت آدي أول دليل براءة وقلت أنا هاقولهم اللي حصل بالظبط وهاقولهم إني إخواتي البنات اتحجبوا وهابلغ عن كل اللي شوفتوا.

المهم لقيت الأمير بيقول تعالوا كلكم هنا في ركن المسجد وكله يقرا ياسين أربعين مرة. وطبعًا أنا ماعرفش ساعتها مين ياسين ده، وأقسم بالله لم أكن أعرف عمن يتكلم

وسألته فقالي سورة ياسين فقلت لالالالالالا الحمد لله دول مستحيل يكونوا تكفير وهجرة دول ناس هبل خاصة لما اداني مصحف ووراني سورة ياسين.

المهم سلمت أمري لله وجلست معاهم أنتظر البوليس وبصراحة كنت مركز جدًّا على وش الدكتور رفاعي لأنه كان بيدعو ويبكي بشدة وفجأة اتفتح الباب الرئيسي للمسجد ودخل منه رجل كبير يمكن يجاوز السبعين وحوله ناس كتير بيسندوه ووراه أهل القرية. وتم فتح كل أبواب المسجد وجلس الرجل على المنبر وأشار لأهل القرية أن يجلسوا بهدوء، ثم جاء إلينا وأخذ يتأمل في وجوهنا ولقيته سحب الدكتور ضياء الصيدلي من وسطنا وخده معاه عند المنبر وأجلسه جنبه، وقال لأهل القرية: فاكرين الرؤية اللي حكيتها لكم الجمعة اللي فاتت وقلت لكم إني شفت راجل راكب البحر جاي البلد وجايب خير معاه؟ فقالوا: آه فاكرين، فقالهم: هو الراجل ده.

عندما قال الرجل لأهل القرية إن الرجل الذي رآه بالمنام يركب البحر ويأتي بخير للأهل القرية انقلب الأمر مليون درجة وملأت الزغاريط شوارع القرية، وأصبحنا لأهل القرية مثل الكعبة يأتي الناس أفواجًا ليطوفوا حولنا ووقفوا طوابير حتى يلتمسوا منا البركة. ولم تمر ساعات إلا وامتلأ المسجد بأشهى أصناف الطعام وكأنها موائد نزلت من السماء على حواريي عيسى ابن مريم. وكان هذا هو اليوم الحقيقي الذي بدأت فيه رحلتي مع الله بكل ما فيها من طاعات وذنوب وصعود وهبوط في الإيمان، فشعرت يومها أن النبي بعث من جديد وأنني سأترك عبادة الأصنام لأعبد الرحمن.

وتذكرت وأنا في زنزانة سجن المنيا ما حدث في المسجد وحاولت استحضار سورة ياسين ورغم أنني وقتها كنت أحفظها كما أحفظ اسمي إلا أنني لم أستطع استدعاء آية واحدة. وكنت أستطيع أن أنظر إلى السماء من الشباك الحديدي في باب الزنزانة وأنا مستلق على الأرض وأتعجب من قدرة الله وتقلب الأيام وبدأ قلبي يخشع لله ويتوجه إليه والقلب هو العقل الحقيقي للإنسان كما قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] شعرت أنني ألفظ أنفاسي وربما لفظتها وأنا الآن في القبر وأتذكر ما حدث في الحياة وقطع كل هذه التهيؤات صوت مفاتيح باب الزنزانة تخترق الباب وتفتحه، وإذا برجل يحمل معه مصباحًا أشد ضوءًا من الذي في غرفتي ووضعه على الأرض ونزل إلى الأرض وجلس بجانبي فاعتدلت في جلستي ودققت في ملابسه فوجدته ضابطًا برتبة رائد ونظرت إلى وجهه فوجدته جميل المنظر وتبدو عليه آثار نعمة المال. وكان يحمل في يده لفة ففتحها وقاللي أنا جبتلك سندويتشات عمرك ماكلتها في القاهرة، واخترقت الكلمات أذني واعتقدت أنني باحلم ونظرت إليه ولم أرد فقال لي: أنا عارف إنك بريء وأنا متابع أخبارك منذ بدأت وأعرف عنك الكثير وأنا متعاطف جدًّا معك، وأنا عرفت إنك ما بتاكلش منذ فترة عشان الحمام وأنا هاخدك حالا لحمام المأمور بس من فضلك تاكل. فقلت له: أنت مش خايف فقاللي: أنا قلت للمأمور إني هافتح عليك، وقلت له: لو عايز تبلغ المصلحة بلغها وهو عارف إني عندك الآن، وأنا مستعد أتحمل أي نتائج، وأنا الحمد لله من عائلة كبيرة في المنيا وعائلة ثرية جدًّا وما عنديش شبهة إني أخاف يقولوا إني واخد منك فلوس فقلت له: اسمك إيه؟ فقاللي: أنا الرائد رأفت، ولمحت على صدره سلسلة ذهبية بس مش باين إيه اللي متعلق فيها، فلاحظ هو إني ببص على السلسلة فقاللي: أنا رأفت تواضروس فقلت له: ممكن أطلب منك خدمة، فقاللي: أي حاجة هاقدر أعملها هاعملها لك فقلت له: أنا عايز أحضنك.

كان رأفت بمثابة شمعة أضاءت في ظلام السجن. وحقيقة كان ظلامًا معنويًّا وظلامًا حقيقيًّا. والغريب إن أهل المنيا لا يختلفون عن أخلاق رأفت كثيرًا ولكن منذ دخولي السجن كنت أول مرة أقابل شخصًا مستعدًّا أنه يترفد أو ينقل من أجل إدخال الطمأنينة، ولن أقول السعادة، فكنت أيامها حذفتها من قاموس عقلي، فكان رأفت حالة خاصة في حياتي وما زال، ولولا ما حدث بعدها كانت ستكون الفريدة من نوعها.

المهم أخبرته إني مش هاعرف أنام لأني منذ دخولي السجن وأنا أنام على حبوب منومة فقاللي: أنا هاروح لدكتور السجن وأبلغه أنك مريض وهاخليه يكتبلك منوم ويبقى

قانوني. بس طبعًا تأثيره أقل بكتير فقلت له مش مهم وفعلا جه الدكتور وكشف عليًا وقاللي أنت كويس بس عندك أرق وطبعًا وماحبش يعرفني أنه عارف إني لا أستطيع النوم من غيره. وعلى فكرة هذا لم يكن إدمانًا فالمدمن يأخذ هذه الحبوب ليستيقظ وماعرفش بيضيفوا عليها أشياء عشان يفضلوا صاحين لكن أنا كنت باستخدمها للنوم فقط ومشى رأفت وأغلق الزنزانة وطبع الدكتور قاللي خد قرص هاينيمك فأخدته لقيته صحاني فخدت واحد تاني ولم أشعر بالنوم إلا بعد الخامس، فقلت برضه الغالي تمنه فيه فده قرص بخمسين قرش والتاني بـ 15 جنيهًا، بس كان يساوي ملايين عندي لأن رأفت اللي جابه وصحيت الصبح وفتحوا الزنازين اللي في التأديب وطبعًا المساجين اللي هناك مختلفين جدًّا عن أي مساجين في سجون أخرى فمستحيل تلاقي الكلام الفارغ اللي في السجون التانيه شواذ واغتصاب وسرقة حبل غسيل لالالالالالالالالا فقد أخبرني الحارس أن زميلي في الزنزانة اللي جنببي عايز يزورني وكنت مازلت ممددًا على الأرض وكنت أفضل التيمم لأنني كمن فقدت كل قواه فلا أستطيع المشي مسافة طويلة. والمهم جه يزورني وكان رجلًا يقترب من الخمسين من عمره وله هيبة حتى إني رأيت الشاويش يهابه أي نعم لم يؤد له التحية ولكن كنت تشعر أنه يحترمه. ودخل غرفتي وقال: منور يا عم الحاج أنا كنت عارف إنك جاي من إمبارح فقد أبلغني رئيس المباحث وقاللي افرح يا عم شعيب أشرف السعد بتاع توظيف الأموال جايلك النهارده، وعربية الترحيلات في الطريق بس للأسف وصلتوا بعد غلق الزنازين وكنت محضرلك أغلى غدا، وإحنا فيها عليَّ الطلاق الغدا عندي النهارده. إنت قوم بس اغسل وشك الحمام في آخر العنبر بره وتعالى هاتلاقي أحلى فطار وأشر للشاويش وقاله: خليهم يحضروا الفطار. وقاللي: قوم ده كل الزنازين عايزين ييجوا يسلموا عليك، فقلت له: أنا مش قادر أقوم أنا تعبان شوية ودايخ فزعق وقال: ياد يا سيد هات الماية هنا وخليهم يجيبوا الفطار هنا فأقسمت له إني بس عايز شاي بلبن ويكون لبن نيدو بدرة لأني لا أشرب غيره. فقاللي: كله موجود واعتبر نفسك في بيتك وسألني. إنت ماتعرفنيش؟ فقلت له: لسوء حظي والله. فقاللي:

أنا أخوك شعيب. فقلت له: أهلا وسهلا فلاحظ العسكري إني مافهمتش وكان واقفًا يسمع كلامنا فقاللي يا حاج أشرف ده الخُط شعيب. فرحت قاعد وكإنه قاللي حسني مبارك جاي زي يوم ما قابلني وقلت: خط؟! فقاللي: آه الخط شعيب، فقلت له: بس أنا شفت فيلم الخط وقتلوه فقاللي: لالالالالا ده جدي من درونكة أنا اللي القذافي أتكلم عليًا في التلفزيون وقال: أخويا شعيب، فقلت: أهلا وسهلا ورحت واخده بالحضن وعملتى نفسي خط أنا كمان بس يعلم ربنا فوقنى وقلت يعني يا رب أدعيك تخرجني من الكرب تقوم تبتليني بخُط وأنا بخاف من القط..... المهم بدأ الزوار يتوافدون ويعرفني بيهم الخط أخوك فلان واخد إعدام والنقض رجعه قتل أربعين واحد، وأخوك فلان واخد تأبيده كانت حزازيات بين عيلتين كبار قتلوا أبوه فقتل العيلة كلها وطلع العيل الوحيد فيهم قاتل 3 في خناقة هايفه، والوحيد فيه اللي ماكنش في قتل هو حسن أخو حكيم المغنى، كان ضارب مراته باين وواخد حكم صغير بس لما عرف إني موجود جه يسلم عليا ووقتها لم أكن سمعت عن حكيم والحقيقة كان راجل مؤدب جدًا وأحلى يوم قضيته في السجون هو اليوم اللي قضيته مع أخي وحبيبي ورفيق دربي الخط شعيب، فقد قضيت معه شهرًا كاملًا وأعلنت في العنبر أن أي حد هيعتدي على شعيب يبقى بيعتدي عليًا شخصيًا وإنه من اليوم في حمايتي وطبعًا بدأت أستعيد روح الفكاهة وهو كان شخصية غير عادية وهاحاول أحكي ذكرياتي معاه، وطبعًا أبو صليبة ده بقه زي الملبس عندنا وخلي أي ضابط يقرب ناحية العنبر وأنا والخط موجودين.

ومر يومين واكتشفت أن حمام التأديب معمول للخط مخصوص فكانت المياه فيه كأنها سيول ماء، فكنت أقف تحت الدش أحس إني هاقع من قوة دفع المياه وأحلى فترة بالنسبة للحمام قضيتها في سجن المنيا وطبعًا كنت باخد قرصين بدل قرص ساعة النوم لأن أخويا وحبيبي الخط موجود، وفي اليوم التاني أبلغوني أن عندي جلسة عند المدعي الاشتراكي والحراسة وسيارة الترحيلات جايه من مصر تاخدني الساعة 8 الصبح يعني أكون جاهز وفعلا قمت 8 الصبح لأني قلت للشاويش يفتح ويصحيني لأنه بعد الساعة

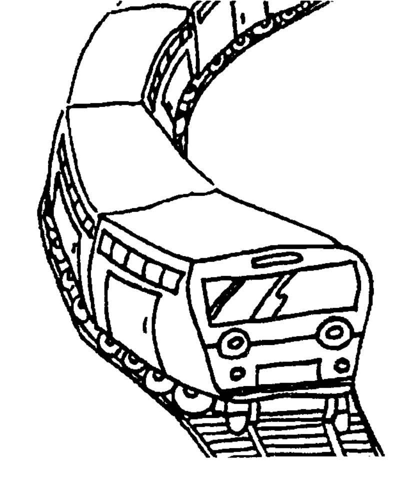
أربعة بيبقى محبوس زينا بس خارج الزنازين لكن باب العنبر مغلق عالجميع. ولبست الصبح وخرجت من التأديب ووصلت إلى مبنى السجن ودخلت في الممر وسمعت واحد بيقول انتباااااااااااااااااااااااااااه وافتكرت حد من الوزارة جاي يفتش لأن كل ضباط السجن واقفين وحتى المأمور واقف فلمن هذه الانتباه، واكتشفت أن ضباط السجن نفسهم حصلت لهم صدمة من الراجل اللي قال انتباه وأول ماشافني راح مؤدي التحية العسكرية وكانت هذه الانتباه لشخصي المتواضع، وعندما رأيت من أطلقها ووقعت عيني في عينه سقطت على الأرض ونقلوني لغرفة المأمور.

كان سقوطي على الأرض ليس لأن الضابط قال انتباه أو لأنه أدى التحية العسكرية لي، ولكن لأنني رأيته يبكي وهو المقدم محمد محمود وكان ضابطا بأمن الدولة في المطار وكان يأتي إلى مقر شركة السعد ليزور والده فوالده كان صولًا في البوليس وعندما خرج على المعاش كان وقتها نائب رئيس شركة السعد هو اللواء على نور الدين مساعد وزير الداخلية الأسبق، وهو إللي طلب مني تعيين والد المقدم محمد محمود وأخبرني أنه له خبرة كبيرة في المباحث، وممكن نستفيد به في الإشراف على الاستعلامات المختصة بدراسة ملفات العملاء الذين يريدون شراء سيارات بالتقسيط. وفعلا أصدرت له قرارًا بتعيينه رئيسًا للقسم وكان رجلًا قمة في الأخلاق ويجبر الجميع على احترامه وكان عندما يدخل عندي المكتب لازم أقوم أقف واستقبله وكان دائمًا يلومني ويقوللي أنا لا أستحق كل هذا فكنت أقوله إن المقامات محفوظة. وكان بيحكي لابنه عن كل حاجة بتحصل في الشركة ومرة قابلت ابنه وأنا راجع من الخارج في المطار واستقبلني وحكى لي كيف تغيرت حياة والده منذ عمل في شركة السعد وأنه يشعر أنه هو صاحب الشركة وليس أنت. وكان الحقيقة بيحاول يشكرني بأسلوب راق جدًّا قبلته منه بكل حب ويوم أن دخلت السجن أول مرة علمت أنه جاء السجن ولم يستطع أن يراني داخل السجن خوفًا من تأثره.

المهم عندما سلم على المقدم محمد واحتضني لمدة دقائق وأنا في ذهول من الموقف علمت أنه يغامر بمنصبه وهذا اليوم قد يفصلونه فعلا.. والأدهى من هذا أن القانون يجبره على وضع الحديد في يدي فحبيت أوفر عليه الإحراج ومديت إيدي للعسكري ليضع فيها الحديد وبمجرد اقتراب العسكري مني صاح في وجهه وقاله: ماتحطش الحديد في إيده. وبص للمأمور وقاله: يا فندم أنا باعفيك من أي حرج أنت والسادة ضباط المباحث وأنا متقبل جدًّا أنكم تبلغوا المصلحة بما حدث. وعلى فكرة هو هايركب جنبي مش هايركب ورا، وساعتها قلت له أرجوك أنا باستني الرحلة دي عشان أنام في السيارة من الخلف فهي قد الزنزانة أربع مرات وأنا هارتاح فيها. والله العظيم وكنت فعلا صادقًا فأنا طول الليل باجهز نفسي أفرش في الخلف وأنام لحد ما نوصل القاهرة فأقسم أغلظ الأيمانات أنني لن أخرج من السجن إلا وأنا بجانبه ثم يتوقف ويرجعني ورأى أن أنام براحتي وفعلا أوفى بوعده وفي وسط الطريق يقف ويفتح السيارة ويطمن عليًا وقبل ما نوصل القاهرة قاللي: على فكرة أنا قررت أوديك تشوف والدتك واللي يحصل يحصل. فصرخت وقلت له: أقسم بالله تبقى قتلتها لو شافتني كده ورب الكعبة تتشل وأقنعته بصعوبة، وشعرت أنه ناقص يقوللي هاوديك تتفسح في الهرم ونتغدى على الهيلتون، ويمكن لو طلبت كان عملها فلم أرَ في حياتي رجلًا أسره معروف بسيط فعلته في أبيه بهذا الشكل.

ووصلنا مبنى المدعي الاشتراكي وفتح باب السيارة وقاللي إنزل. فقلت له: أسمع يا محمد بك أنت اللي عملته اليوم لا يقدر بأي شيء بس الآن لازم تحط الحديد في إيدي، لأن المدعي بيتربص بي وممكن ينقلني من سجن المنيا أو ينقلك من الترحيلات ويضرك فبصلي بصة كلها حب وعطف وقاللي: إنزل وراح حاطط دراعه في دراعي وقاللي: تتشل إيدي يوم ماحط في إيدك الحديد، أنت لو تعرف أبويا كان عايز ييجي معايا وماقدرش يشوفك كده عشان كده أنا اقتنعت بموضوع والدتك، لكن والله العظيم لو رئيس الجمهورية جاي برضه مش هاحط الحديد في إيدك وخلى أي حد منهم يفتح بقه وفعلا طلعت للمدعي والقيود ليست في يدي والحمد لله لم يلاحظ أحد.

ودخلت للمدعي وكان مستدعيني عشان قضية كمال حسن علي وبيقوللي إنت عليك للبنك فلوس فقلت: نعم قولها تاني من فضلك. فقاللي: البنك مقدم فيك بلاغ. فقلت له: يا سعادة المستشار أنا ليًا في البنك أكتر من مائة مليون، وأنا موقع عقدًا مع كمال حسن علي عشان أنقذه من السجن فقاللي هما شالوه من البنك فقلت طظ العقد موجود وموقع منه ومن الأستاذ أحمد أباظة ومعايا تعهد أنهم لايمسوا ودائع الشركة. فقاللي بس هما، فقاطعته وقلت له: يا معالي المدعي كده كتير وأنا لن أتحمل وهاغلط فيهم وأنت لا تعطيني الحق أدافع عن نفسي فإذا ترى أن هم على حق خلاص أنهي معهم بس أنا مش هاوقع على شيء لأن كده كتير. وطبعًا وقتها كان رئيس البنك صلاح محمود وكيل الروزرويس ومعه عبدالرحمن الشربتلي. وأنا أكتب هذه الحروف وأقسم بالله مبارك لا دخل له بهذه القصة، إلا أنه كان في واد وهم في واد كان هو رئيس الاتحادية فقط وهم كل واحد منهم رئيسًا في مكانه منه لربنا، وصرخت بأعلى صوتي وقلت له: ده أنت اللي متحفظ عليًا وأنا أصلا مش المشكلة التي تواجهني هي استثمار فلوس المودعين وعندي فائض في البنوك يبقى استلفت إزاي منهم وفكرته لما كنت رايح أنقذ المدعي الاشتراكي اللي قبله لما ابنه ورطه، وقلت: إنت بنفسك اتحفظت على المزرعة اللي أنا اشتريتها منه وعارف قصتها فقاطعني وقاللي: ما هو كان حرامي زيك فقلت له: أرجوووووووووووووووووووك رجعني السجن أرجوووووووووووووووك انتهى الكلام. فصرخ وقال: أنا اللي أنهي الكلام مش أنت. فقلت له: اعمل ما تشاء بس باكررها عليك مرة أخرى ومن غير حلفان أنا مش هاسيب أي حد يعبث بمالي تحت سمعك وبصرك وحتى وأنا ميت والأيام بيننا.



محطة (70)

أذكر عندما تركت باريس عام 77 لم أكن أحمل معي سوى ماكينة حلاقة بلاستيك كانت منتجة حديثا وكان ثمنها خمسة فرنك واشتراها لي عطوة صديقي بالخمسة فرنك اللي كانوا معاه وحملتها وركبت الأتوبيس إلى مطار شارل ديجول وحاول عطوة يستلف ولو ثمن ساندويتش لعلي أجوع في الطريق ولم يستطع.

ووصلت مطار شارل ديجول وأنا أحمل معي كيس بلاستيك صغيرًا به خمس ماكينات حلاقة ذقن بلاستيك، وأحمل معها ذكريات كانت وقتها قمة الألم والضياع والحسرة ولكن كانت تحمل ذكريات صداقة جميلة ولدت بيني وبين عطوة.

وأكيد رغم كل ما حدث كنت مفتقدًا محمد ابن خالتي الذي اعتكف ليلتها في الحجرة

ولم يودعني حزنًا أنه لم يستطع أن يحقق لي آمالي ووقتها كنت قررت ألا أقترب إلى فرنسا مرة أخرى، فهي بيت ذكريات ألم وجوع وبرد وتشرد واستعداد للعمل في أي شيء يسد رمق الجوع بعد أن كان أملي في بناء مستقبل زاهر.

وعدت إلى مصر وتفاجأ الجميع بماكينة الحلاقة التي رجعت بها من باريس والحمد لله أنهم رحموني ولم يسخروا مني، بل أبدوا فرحة بعودتي ربما كانت ممزوجة بحزن مخفي بسبب عودتي بخفى حنين، ولكن لم يكن يعلم أحد ما يخبئه الله لي وأنتم تعرفون ما حدث، ففي خلال سنتين أصبحت من كبار رجال الأعمال وقررت الذهاب إلى باريس لزيارة عطوة خصيصًا ونجحت في الحصول على هاتف عمله، ولم أخبره بنية حضوري

ووصلت باريس وكان معي ابن خالي وحجزنا في فندق جورج سانك أغلى فنادق باريس وعندما وصلت إلى الفندق اتصلت بعطوة وكان يعمل في فندق صغير وكان يعمل كل شيء في الأوتيل فلم يكن هناك موظف غيره ورن جرس التليفون.

وقال: آلو وى (وطبعًا هو لسانه فرنسي 100٪).

فقلت له: أنا أشرف، فقلب لسانه مصري فورًا.

وقال لي: أشرف مين؟ (رغم أني كنت على يقين أنه عرفني ولكنه لم يصدق).

فقلت: أشرف صاحبك (الغبا) (لأنه كان مسميني الغبا).

من كتر اللي عملته في أم ماتيلدا وكانت هاتسلم بسببي يعني تكفر..

لأن اليهودي لما يحب يكفر يسلم.

المهم قال لي: إنت فين؟

فقلت: في باريس.

فقال لي: بتهزر؟!

فأقسمت له إني في باريس وأعطيته الرقم وقلت له: اطلبني أنا في غرفة كذا.

فطلب فرد عليه الأوبيرتور وقال: جورج سانك أوتيل فحوله لي وقال لي: هو فيه إيه إنت بتعمل إيه عندك أنت حد جابلك شغل هنا؟!

فقلت له: واحد قريبنا جابلي شغلانة هنا في الفندق.

فقال لي: إنت عارف يعني إيه جورج سانك؟ ده أنا والله ما أقدر أعدي قدامه.

فقلت له: طب سيب اللي في إيدك وتعالى.

فضحك وقال لي: لسه دمك خفيف زي مانت أسيب إيه إنت عايزني أترفد؟

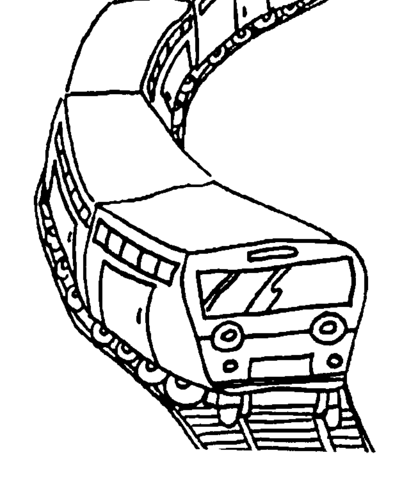
فقلت له: أترفد ولا يهمك أنا هاشغلك (وكان واخد عليًا جدًّا).

فأول ما قلت له كده قال لي:...... (شتيمة طبعًا).

وقال لي: هو فيه إيه بجد؟

فقلت له: أنا جاي عشانك مخصوص والله العظيم.

فقال لي: استنى أنا معايا سيجارة حشيش هاولعها علشان أعرف أتكلم معاك.



محطة (71)

حاولت أن أعود إلى ترتيب الأحداث في ذهني وأبدأ من حيث توقفت أو حتى أحاول أن أقترب من آخر محطة وقفت بها إلا أن عقلي أبى إلا أن يمارس ديكتاتوريته المعهودة ويفرض عليًا ما يريدني أن أكتبه وحاولت التمرد عليه بشتى الطرق ولو حتى بالاستعانة بأمريكا والجزيرة، ولكنني فشلت ولم يفلح معه لا تمويل خارجي ولا داخلي، فلم أجد مهربًا من الاستجابة له صاغرًا مطيعًا حتى لايصعد في قهره وديكتاتوريته.

فأذكر أنني بعد أن خرجت من السجن وتم إنهاء فترة انتداب المستشار محمود سامي الذي كان مسؤولا عن ملف إدارة أموال السعد ولي معه ذكريات كثيرة أعتقد أنني سأمر عليها كلما سمح لي الديكتاتور الذي في رأسي.

انتهت مدة الانتداب وتم تعيين المستشار عبدالله ندا مديرًا لإدارة الأموال ووقتها كانت المحكمة قد أفرجت عني وخرجت من السجن وتغيرت معاملة المدعي الاشتراكي معي مليون درجة، ووقتها كنت أشرف على بيع أملاكي مع المدعي الاشتراكي وكان المدعي الاشتراكي سدد 100 ٪من فلوس المودعين ولم يلتفت إلى أي دائنين آخرين إلا بعد أن سدد أموال المودعين والحقيقة كان موقفًا طيبًا منه ولكنه لم يستمر كثيرًا.

المهم كانت هناك تعاملات بين الشركة وبين مؤسسات كثيرة منها من هو مديون للشركة ومنها من هو دائن. وكان في هذا الوقت المدعي يستعين بي في تحقيق مديونيات المؤسسات وكان ناس كتير حاولت إخفاء مديونيتها وأنا داخل السجن ولكنني

استطعت بعد خروجي أن أبلغ عنهم وأثبت أنهم مديونون وهذا ليس هو بيت القصيد في محطتي هذه، فمقصدي هنا هو المؤسسات التي كانت دائنة لشركة السعد أي تطالب الشركة بمديونيات وعلى رأسها الصحف القومية والخاصة، فكان العرف المتبع في هذه الصحف أنها لاتنشر إعلانات إلا بعد أمر نشر من صاحب الإعلان ونظرا للعلاقة القوية التي كانت تربطني برؤساء الصحف القومية وعلى رأسها «الأهرام والأخبار والجمهورية والمصور» وخلافه، ومن الصحف الخاصة كانت تربطني بفؤاد باشا سراج الدين علاقة قوية جدًّا، فكانت كل هذه الصحف تنشر الإعلانات دون الحصول على أمر نشر مني ثقة مني مرة وتلقيح جتت مرة، فأنا كنت بتعامل مع «الأهرام والأخبار والوفد» وبمجرد نزول الإعلان في «الأخبار أو الأهرام» تجده تلقائيًّا في جميع صحف مصر. ولو راجل قول مش دافع تلاقي الصحيفة بأكملها جندت بفضحك بما فعلته وبما لم تفعله، فالمصائب لديهم جاهزة ومافيش أي مشاكل مش مهم تسرق أو تنصب ولا تتمسك في شقة مفروشة كل ده جاهز عندهم صوت وصورة كمان. عشان تثبت أنهم كدابين هاتصرف مليون ضعف اللي هما عايزينه فكنت مستسلم جدًّا لهم وخاصة حبيب قلبي وصديقي اللدود الأستاذ سمير رجب، كنت دوغري مجهزله الشيكات ولو أبوك جمال عبدالناصر ابقه قول أنا ماديتش أمر نشر.

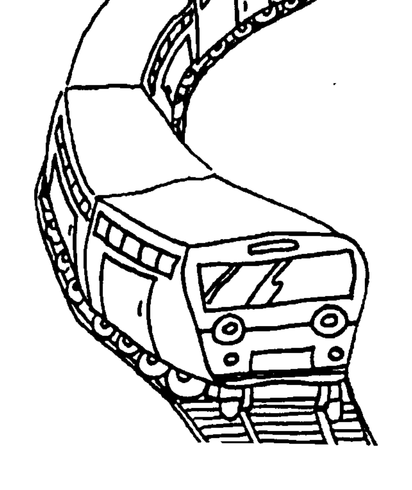
المهم الحقيقة كان مدير الإعلانات في «الأهرام» المرحوم الأستاذ عادل عفيفي، وأقسم بالله لو كان فيه خمسة في العالم زي عادل عفيفي كان الشر انتهى فقد كان أدبًا وخلقًا كريمًا يمشي على الأرض.

المهم كانت المديونية التي لم تدفعها الشركة للأهرام حتى يوم التحفظ مليون جنيه مصري. وكان المدعي الاشتراكي رافض يدفعها إلا إذا أقررت أنا بالمديونية لأنهم لم يكن معهم أمر نشر مثلهم مثل باقي الصحف، وحتى الأستاذ مصطفى حسين كان له ميت ألف جنيه لجريدة كاريكاتير وجه عند المدعي وطبعًا أقررت له لأنه أولا صديق حميم وثانيا أنا قلت له فعلا ينشر الإعلانات.

المهم كان هذا اليوم يومًا سعيدًا جدًّا بالنسبة لي لأنني كنت قد رددت أموال جميع مودعي السعد وبدأ المدعي الاشتراكي يستعين بي في سداد أموال الشركات الأخرى فكنت عامل زي الطاووس داخل المبنى وباتحرك في جميع المكاتب بكل أريحية. وفي هذا اليوم كنت في مكتب أحد مستشاري الجهاز لإنهاء بعض المعاملات الخاصة بالشركة وكنت جالس أضحك مع المستشار وصوتي جايب شبرا وطبعًا المعاملة كانت مختلفة تمامًا عن أيام ما كنت في السجن، ويومها دخل علينا مدير مكتب المدعي الاشتراكي نفسه المستشار جمال شومان وقتها وقالي: إنت فين يا حاج إحنا بندور عليك، فقلت له: خير. فقالي: المدعي عايزك فورًا فرحت معاه ودخلت مكتب المدعي لقيته قاعد وأمامه سيدة تبدو عليها علامة الثراء وفي نهاية العشرينيات ولاحظت أن المدعي مهتم بها جدًّا ويتعامل معها وكأنها رئيسته، وقالي: من فضلك ياشرف تشوف الأستاذة عايزه إيه وتحل لها مشكلتها، فقلت في نفسي مستحيل تكون مودعة في الشركة لأن المدعي سدد جميع المودعين، وحتى لو مودعة فهي ليست في حاجة لمساعدتي لأن المدعي مجبر أن يصرف لها والفلوس كلها عنده، فقلت له: خير يا فندم تحت أمرها. فقالت لي: إنت مش عارفني؟ فقلت لها: أنا آسف يا فندم يمكن السجن أثر عليًّا شوية فياريت حضرتك تفكريني، فقالت: إحنا أول مرة نتقابل بس كل أخبارك في «الأهرام» أنا اللي باكتبها فقلت لها: قصدك كل الشتايم اللي في «الأهرام».

وحسيت إن الجو اتكهرب والمدعى اتبرجل وهي بعد أن كنت أرى الرقة متجسدة في شخصيتها وتشعر لأول وهلة عندما تراها أنها مثل الطائر الذي يجذبك شدوه وجماله وفي لحظة أصبحت كأنها بركان سينفجر من الغضب، وردت والله أنا باكتب اللي المدعي بيقوله وأنا مش مسؤولة عن محتوى الكلام وأنا جايت هنا عشان المديونية اللي عليك للأهرام وعايزة توقيعك. وشعرت أن المدعي أمامها أصبح كعصفور كناريا وهي مثل الأسد المجروح، وهذا النوع من النساء أو الرجال يستفزني جدًّا فأنا أكره شيء في حياتي أن أشعر أن أحدًا يهددني فقلت لها: آسف جدًّا أنا ماعرفش حضرتك ومش هاوقع

إلا للأستاذ عادل عفيفي. فرد المدعي وقاللي: أرجوك يا أشرف الأستاذة إلهام شرشر هي مندوبة «الأهرام» وأرجوك ماتزعلهاش، فقلت له ده أمر ولا توصية وطبعًا كانت الكيمياء شغالة في المكتب وقلبتها عندي وولعت الدنيا وحسيت أنه هيتحفظ عليَّا من جديد ويسجني، ولكنني صممت وقلت لها أنا ماعرفش حضرتك ومش هاوقع حاجة والمدعى من حقه يصرف أي مديونية عليَّا وطلبت الإذن من المدعي في الانصراف وحسيت إني هاخرج عن طوري وهاقلب المكتب عليها هي والمدعى، وقلت في نفسي أقسم بالله لو هتيجي على سجني وفعلا تحركت نحو الباب للانصراف.



محطة (72)

الآن سأقتحم منطقة غاية الحساسية في حياتي سأحكي فيها الأحداث بشفافية وتجرد ولست أدري إن كنت ما أفعله الآن تاريخ يجب أن يعرفه الناس أم هي نزوة شهرة، ولكن ما يجعلني أقدم على كتابتها هو أملي أن يقرأها من تولوا مقاليد الأمور في مصر فربما يجدوا فيها أخطاء وخطايا يجب أن يقضوا عليها وفورا. وأعود إلى مكتب المدعي الاشتراكي وبعد أن أصبح الموقف شبه متأزم وصممت أنا على موقفي وطلبت الإذن بالانصراف طلب مني المدعي الاشتراكي أن ينفرد بي في غرفة ملحقة بمكتبه وقال لي أنا أول مرة أطلب منك طلب فأرجوك تنهى الموقف وماتخرجش الأستاذة زعلانة، وأنا أضمن لك أن «الأهرام» هي اللي مكلفاها وأن عادل عفيفي عنده خبر، وتحت الحاجة وافقت وخرجت للأستاذة وقلت لها فين الأوراق وأنا هامضيها فقالت أنها معها وبدأت في إخراجها فقال لها المدعي ياريت يا أستاذة هذا الأمر يتم خارج مكتبي وخلاص أشرف اقتنع فشوفوا مكتب أي مستشار وخليه يوقعلك ووافقنا وخرجنا معًا من باب المدعي ولقينا كل المكاتب زحمة فقلت لها: ده عنوان مكتبي في شارع التحرير لو تحبى تجيبي أوامر النشر وأنا أوقع عليها هناك، فقالت: هل عندك مانع أن أجرى معك حديثًا صحفيًّا أنشره في «الأهرام»؟ فقلت لها: بس من غير شتيمة، فقالت: وبعدين بقه إحنا مش اصطلحنا فقلت أنا بأمزح فقط واتفقنا أن نلتقي في مكتبي في شارع التحرير في السادسة مساء، وكنت وقتها مرتديًا الجلابية والعمامة كطبيعتي ونزلنا من مكتب المدعي وذهبنا إلى الأسانسير ننتظره لينزل كل واحد لوجهته إلا أن مدير مكتب المدعي جاء قبل وصول المصعد وأخبرني أن المدعي عايزني أنا

والأستاذة فذهبنا له ووجدته جالسًا ووجهه مكفهرًا وحاطط إيده على راسه وأول ماشافنا قال يادي المصيبية السودة فقلت أنا وهي في صوت واحد: خير إيه اللي حصل، فنظر إليها وقال نسيت أحذرك منه ده ممكن يتجوزك وأبقى أنا السبب وطبعًا أنا لم أستطع السيطرة على نفسي من الضحك وهي وشها احمر وغضبت جدًّا من كلامه. وأنا قلت له: ليه كده يا فندم حضرتك واخد عني فكرة وحشة، فلقيت المدعي في لحظة اتقلب إلى معلم في سوق الخضار وقالي نعم ياخويا فكرة إيه ده أنت ملفك كله نسوان ده إحنا اتحفظنا على نسوان أكتر من المشروعات، فقلت وأنا نايم من الضحك: يا فندم حضرتك كده بتضر بسمعة إنسان شريف فقالي: وهو بيقطع في شعره: أنا عندي ملف عشر ستات من جميع أنحاء العالم كل واحدة مقدمة فيك بلاغ أنها مراتك وعايزة نصيبها، فقلت له: والله حضرتك دمك خفيف وأنت بتهزر فقالي: أنا مابهزرش إحنا استدعينا مديحة كامل ونجمة إبراهيم فقلت له: دي ماتت يا فندم. فقالي: أنا عارف بقه ماتت ولا لا، وكل شوية واحدة من المغرب تيجي تقدم أنك اتجوزتها في لندن وواحدة من إيطاليا وواحدة من لندن عمومًا أنا حذرتك يا أستاذة فقلت له وربنا مانا خارج إلا لما تقولها أنك بتهزر فقال أنا قلت اللي عندي هو أي نعم معظمها بلاغات اتضح أنها كيدية ولكن في واحدة من المغرب وأنت قلت أنها مراتك وأنا بس بحذر الأستاذة. وطبعًا كان موقف كوميدي وخرجنا وهي بتقولي بجد الكلام ده فقلت له لا طبعًا حد يصدق مدعي اشتراكي وخرجنا واتفقنا نتقابل في الميعاد وفعلا ذهبت إلى المكتب في الموعد وأنا ذهبت إلى المكتب بعدها بخمس دقائق، وكنت لابس بدلة وعامل فالنتينو ودخلت المكتب وسلمت عليها فقالت: حضرتك أخو الحاج أشرف؟ فقلت بس لقينا لعبة، فقلت لها: فعلا أنا أخوه. فقالت: أنا عندي معاه ميعاد. فقلت: أنا عارف هو قالي هو في الطريق جاي حالا تشربي إيه؟ فقالت: أفضل أنتظره بس حضرتك شخصية مختلفة تمامًا عنه فقلت: أحسن ولا أوحش؟ فقالت: ليه الإحراج ده فقلت لها: مش هاقوله عمومًا أنا عارف إني ألطف منه بكتير ده إنسان رجعي متخلف لكن أنا متحضر وقعدنا نرغي مع بعض لحد ما قدرت انتزع منها اعتراف إني ألطف من أخويا بكتيييييير وهو برضه لطيف لكن متعجرف شوية وفيه شوية غرور ولاحظت إن الوقت

مر وأشرف مجاش، فقالت: معقولة معقولة يديني ميعاد ويتأخر كده بصراحة مش لطيفة منه فقلت لها: ربنا ماخلقش حد يقدر يتأخر عليكي يا أستاذة، ورب الكعبة أرفده فورًا. فقالت: هو إنت الرئيس ولا هو اللي أعرفه إن هو رئيس الشركة فقلت لها: عشان خاطرك أنا هابقى الرئيس من اليوم. وبدأت تستجمع قواها وراحت مصرخة بأعلى صوتها وقالت: لالالالالالالالالالالا والله العظيم إنت مجرم وكانت عايزه تقلع اللي في رجلها وتضربني بعد أن أصابتها كريزة ضحك لم تصبها من قبل. ومرت هذه الساعة بعد أن تركت انطباعًا أننا نعرف بعض من سنين وبدأت نبوءة المدعي تلوح في الأفق. وطبعًا جلسنا نتكلم في الحوار الصحفي وأكيد شعرت إني باتكلم بمنتهى الإرياحية وأن لأول مرة لن يستطيع أحد تحريف كلامي فكنت واثق أن مافيش عاقل يسمح لأحد أن يحرف حديث جوزه.

المهم قبل أن أخوض في تفاصيل لأول مرة في حياتي أقترب منها وهي تفاصيل كما قلت أتمنى من الله أن يقرأها من بيده الأمر وقبل أن أخوض فيها أعود إلى مكتبي هذا الذي تقابلنا فيه. فبعد تحفظ المدعي الاشتراكي على جميع أملاكي لم يصبح عندي مكان أستطيع ممارسة عملي منه وكان لي صديق هو الدكتور عبد المنعم سعودي صاحب مصانع سوزوكي ونيسان وأكبر قوة مالية في جماعة الإخوان، وكان رجلاً فريدًا من نوعه وهو عم عبدالرحمن سعودي شريك خيرت الشاطر وعضو مكتب الإرشاد وكان هذا العبد المنعم ملاكًا يمشي على الأرض، رجل ندر وجوده في هذا الزمن رحمه الله وكنت قد تعاملت معه في مئات الملايين ولم أجد رجلاً أسهل منه إذا باع وإذا اشترى وكان راجل يحمل جميل الناس ويرده أضعافا مضاعفة. وكانت العمارة التي يقع بها المكتب ملكه وهو الذي أعطاني المكتب لأدير منه أعمالي وكان مكتب مساحته ضخمة وفخم جدًّا وكان عيبه الوحيد أنه يطل على قصر البدراوي مكتبي سابقًا. ولذلك كنت لا أفتح الشباك ولم يأخذ مني مليمًا واحدًا، بل قال لي أنا وكل أملاكي تحت أمرك حتى تخرج من هذه المشكلة. وكانت تربطه علاقات قوية جدًّا بكل رجال السلطة وعلى رأسهم مبارك نفسه كان يحترمه جدًّا وكان دايمًا يقوللي يا أشرف مبارك ده هدية لمصر وأنا كنت باختلف معه أحيانا..........

الفهرس